الأستاذ العلّامة حسن زاده الآملي

الانسان الكامل في نهج البلاغة



الانسان
الكامل في نهج البلاغة

این کتاب با استفاده از کاغذ حمایتی وزارت فرهنگ
وارشاد اسلامی به چاپ رسیده‌است

هـويّـة الكتـاب :

إسم الكتاب : .... الانسان الكامل في نهج البلاغة .
تأليف : .... العلّامة حسن حسن زادة الآملي .
ترجمة .... عبد الرضا افتخاري .
نشر .... مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .
صفّ الحروف: .... مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .
الطبعة : .... الأولى ١٤١٦ هـ. ق .
المطبعة : .... پاسدار اسلام .
العدد : .... ٢٠٠٠ نسخة .
السعر .... ٦٠٠ تومان .

الانسان الكامل

في نهج البلاغة

الاستاذ العلامة

حسن حسن زادة الآملي

البيان للترجمة

الطبعة الأولى
١٩٩٥م - ١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية مولانا الإمام الوصيّ أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ **والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.**

ان كتاب «**نهج البلاغة**» العظيم «**بحرٌ لا يُنزف وغمرٌ لا يُسبر**»، «**كتاب لو يمرّ نسيمه بقبرٍ لأحيا نشره صاحب القبر**».

إنّ موضوع واسم هذه الرسالة المتواضعة هو «**الانسان الكامل في منظور نهج البلاغة**» يتقدم به ويهديه هذا الملتجىء بعتبة الولاية «**حسن حسن زاده الآملي**» إلى ساحة أهل الدراية والولاية المباركة، آملاً أن يحظىٰ بقبول أصحاب الفكر والنظر.

وقد نظمّتُه بمقدّمة ومدخل وأحد عشر باباً.

أما «**المقدمّة**» ففي أنّ:

المعجزات القولية للسفراء الإلهيين
أقوى حجة على كونهم حجج الله

مثلما يعدُّ القرآن الكريم أفضل حجة على رسالة خاتم الانبياء محمد المصطفى (صلّىٰ الله عليه وآله)، فكذلك تُعدُّ روايات اوصيائه (عليهم السلام) أفضل حجة على كونهم حجج الله، فهم (صلوات الله عليهم) أفضل أدلّة على إمامتهم؛ اذ «**الدليل دليل لنفسه**» وهل الشمس بحاجة الى دليل حين تشرق.

فلو انّ أحداً أمعن وتدبّر في روايات أهل‌البيت (عليهم السلام) وفي خطبهم وكتبهم ورسائلهم، وخاصّة في أدعيتهم ومناجاتهم، ونظر إليها نظر فاحصٍ وَمُنْصِف، لاعترف بأنَّ كلَّ هذه المعارف الحقَّة لا يمكن أن تصدر عن أشخاص وأوتاد وأبدال لم يحضروا مدرسة ولا استاذاً؛ غير تلك النفوس المؤيَّدة بروح القدس.

وإنّ هذه العلوم المرويّة عن الائمة المعصومين (عليهم السلام) تكفي الإمامية مؤونة إثبات أحقيّة الخلافة والإمامة لأولئك العظماء إماما فإماما بل إنّ الصحاح الستة وكتب الحديث الاخرىٰ لأهل‌السنة تكفي وحدها لإثبات هذا الموضوع الجليل.

إنّ كلمات السفراء الالّهيين وحاملي الوحي، وروايات أئمة اهل البيت (عليهم السلام) نفسها ـ هي أفضل حجّة ودليل على إمامتهم وحجّيتهم؛ فالدليل دليل

لنفسه، وشروق الشمس دليل على وجودها، و«**نهج البلاغة**» وشروق الشمس يعدُّ نموذجاً بارزاً لأمثال هذه البضائع الثمينة في «**أسواق المعرفة**».

ان الروايات هي المرتبة النازلة للقرآن، كما أنّ القرآن هو المرتبة الصاعدة للروايات، وروحُها.

والروايات بطون الآيات القرآنية وأسرارها الصادرة عن أهل بيت العصمة والوحي المرزوقين بـ«**العلم اللدني**». ولا يخْفىٰ أنّ مثل هذه المعاجز الكلامية لم تُرْوَ عن أحدٍ من الصحابة والعلماء ـ بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول الاكرم (صلىٰ الله عليه وآله) ـ سوى عن الائمة المعصومين الاثني عشر (عليهم السلام). ومن يقول بخلاف ذلك فليُطْلعنا على نموذج منها. واذا كان هناك من يعرف عدلاً لأقوال وكلمات آل طه (من نهج البلاغة حتى توقيعات الحجة(عـج)) فليخبرنا بها، أما نحن فمهما طال بحثنا لم نعثر على شيءٍ.

ثم ان الحديث ليس مجرد صياغة عبارات مقفّاة وكلمات مسجوعة فحسب بل الحديث عن الفصاحة والبلاغة في الكلام.. عن البيان المليء بالحقائق بأفضل التعابير العربية المتينة، وصبِّ أفضل المعاني في أجمل وأبلغ قوالب العبارة واللفظ، مما يعجز عن فهمه نوابغ الدهر وأساطين كل فنّ، ويمدّون أيديهم بالتضرع والابتهال الى عالم الملكوت ليمنحهم فهم وإدراك تلك الأقوال والأحاديث.

فالأدعية المأثورة كلّ منها مقامٌ من المقامات الانشائية والعلمية والعرفانية لأئمتنا (عليهم السلام).

ان اللطائف الشوقية والعرفانية والمقامات الذوقية والشهودية التي تختزنها الأدعية لا توجد في الروايات؛ وذلك لأنّ المخاطب في الروايات هم الناس،

وأنّ الأئمة يتحدثون معهم بما يناسب عقولهم وأفهامهم، لا كل ما يقال، «كما في البحار عن المحاسن عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال: **إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدْر عقولهم**»[١].

أمّا في أدعيتهم ومناجاتهم (عليهم السلام) فكانوا بين يدي الجمال والجلال المطلق، والمحبوب والمعشوق الحقيقي، فتفوّهوا بكلّ ما في أعماق دار السر ومنزل الحب وبيت الأدب، واظهروه على ألسنتهم.

إنّ معاجز السفراء الالهيين على قسمين، قولية وفعلية، المعجزات الفعلية هي التصرّف في الكائنات وتسخيرها والتأثير فيها، بقوة الولاية التكوينية الإنسانية بإذن الله تعالى، كما في شقّ القمر، والأرض، والبحر، والجبل، والشجر، وإبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتىٰ، وغير ذلك.

فكان إبراء الأكمه والأبرص من قِبل السيد المسيح (عليه السلام): **﴿وأبرىء الأكمه والأبرص وأُحي الموتىٰ بإذن الله﴾**[٢] وكان شقّ الجبل من النبيّ صالح (عليه السلام) كما ورد في التفاسير لقوله تعالى **﴿فقال لهم رسولُ اللهِ ناقةَ اللهِ وسُقْياها﴾**[٣].

وكان شقّ القمر وشقّ الشجر من قِبَل خاتم الانبياء (صلىٰ الله عليه وآله) حيث وردت الواقعة في نهج البلاغة ـ في الخطبة القاصعة: يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «**ولقد كنت معه** (صلىٰ الله عليه وآله) **لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد، انك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعِه آباؤك ولا أحدٌ من بيتك، ونحن نسألك**

---

(١) بحار الانوار ـ الطبعة الكمپانية ـ ج١، ص٣٠.

(٢) آل عمران: ٤٩.

(٣) الشمس: ١٣.

أمراً إنْ أنت أجبتنا اليه وأريتناه، علمنا أنّك نبيٌّ ورسول، وإن لم تفعل عَلِمنا أنّك ساحر كذّاب. فقال (صلىٰ الله عليه وآله) : **«ماتسألون؟». قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال** صلىٰ الله عليه وآله: **«ان الله على كل شئ قدير، فان فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق؟» قالوا: نعم، قال: «فانّي سأريكم ما تطلبون،وإنّي لأعلم أنكم لا تفيئون الى خير، وإنّ فيكم من يُطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب» ثم قال** صلىٰ الله عليه وآله: **«يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يديّ بأذن الله». فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد، وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله** صلىٰ الله عليه وآله... الخ الخطبة».

إن قلع باب خيبر من قِبل يد الله أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) هو من المعجزات الفعلية وقدرة الولاية التكوينية له (صلوات الله تعالى عليه).

روى العالم الجليل عماد الدين الطبري (من اعلام القرن السادس الهجري) في كتاب **«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى»** بإسناده ان علياً (عليه السلام) قال:

«والله ما قلعتُ باب خيبر وقذفت به أربعين ذراعاً لم تحسّ به اعضائي، بقوة جسدية ولا حركة غذائية ولكن أُيِّدتُ بقوة ملكوتية ونفسٍ بنور ربِّها مستضيئة».

كما روىٰ هذا الحديث نفسه، الشيخُ الصدوق في المجلس السابع والسبعين من أماليه، باختلاف يسير في اللفظ بإسناده ايضاً.

اما المعجزات القولية والكلامية فهي العلوم والمعارف والحقائق التي نزل بها أمناء الوحي من حَظيرة القدس على المرسلين ـ على حد تعبير الإمام الوصي في خطبة الأشباح، في نهج البلاغة.

فالقرآن الكريم هو راس قائمة المعجزات القولية، تليه المعارف الصادرة عن أهل بيت الوحي والعصمة وهي المنطق الصواب وفصل الخطاب، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية وكتب الحديث، وهي مرتبة القرآن النازلة، وان كانت كاشفةً عن اسراره وبطونه وتأويلاته ايضاً.

ان المعجزات الفعلية مؤقتة ومحدودة بحدود الزمان والمكان وهي مخلوقات الساعة، وسريعة الانقضاء، ولا يبقىٰ لها بعد وقوعها سوىٰ الوصف التاريخي والبُعد الخبري، خلافاً للمعاجز القولية التي هي معاجز على مرّ الزمن وتظلّ باقية الى الأبد.

ان المعاجز الفعلية هي للعوام الذين ادركوا المحسوسات والنشأة الطبيعية وأَلِفوها وتطبّعوا عليها ولم يجرّبوا السفر الى ما وراء الطبيعة. فهذا الصنف من الناس عليه ان يدرك بالحواس ـ وبشكل خاص بالعين ـ ليرىٰ بعينه ويقتنع. وهؤلاء محرومون من الوصول الى البهجة المعنوية، ونيل اللذات الروحية والسير في ديار المعقولات والمرسلات الفسيحة، بل حتى العبادات التي يؤدونها هي على أمل تفكيرهم القاصر في نيل الحور والقصود، ولم يتذوقوا عبادة الاحرار والعشاق. واخيراً فهم عوامّ سواء احترفوا الصناعة والكلمات الماديةام لا. يقول اميرالمؤمنين (عليه السلام):

ان قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»*.

فللخواص ـ الذين يشكّلون القوة العاقلة والمفكرة للمدينة الاسلامية الفاضلة ـ العلوم والمعارف. هذه الطائفة يطلبون المعجزات القولية التي هي

(*) نهج البلاغة ـ الحكمة رقم ٢٣٧.

موائد السماويين ومآدب الروحانيين؛ فهم يزِنون المطالب ويـفهمون الكـلام ويعرفون الدرر، ويعلمون ما هي بضاعة العـلم ومـن أيـن مـصدرها؛ وعـلى حد تعبيرالخواجـة فـي شـرح الاشـارات:«**الخـواصّ للـقولية أطـوع، والعـوام للفعلية أطوع**».

وأساساً فان الانسان ـ ومع الاحتفاظ بموضوع الانسان وعنوانه ـ ما هو الا تلك العلوم والمعارف، والا الشوق واللهفة اليها، والى الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة؛ والّا فان الثروة المادية ليست الا تراباً في مهبّ الريح؛ والانسان فيه كالطفل الذي يلعب بذلك التراب، وكما قيل، فإن «التراب ربيع الصبيان».

إنّ العاقل يستسقي إكسير الكمال المطلق، كما أنّ العارف يبحث عن الفناء في تأمّل جمال الحق.

كلام رفيع للمير داماد في «القبسات» في المعجزة القولية والفعلية

وللمرحوم الميرداماد (قدس سره) كـلام مـنيع ورفـيع فـي المـعاجز القـولية والفعلية في آخر كتاب «**القبسات**» يقول في المعاجز القولية:

«وبالجملة تنافس الحكماء فـي الرغـائب العـقلية أكـثر ـ وعـنايتهم بـالأمور الروحانية أوفر، سواءً عليها أكانت في هذه النشأة الفانية، أم في تلك النشأة الباقية ولذلك يفضّلون معجزة نبينا (صلى الله عليه وآله) أعـني القـرآن الحكـيم والتـنزيل الكريم وهو النور العقلي الباهر، والفرقان السماوي الزاهـر (الداهـر خ ل) عـلى معجزات الانبياء من قبل، اذ المعجزة القولية أعظم وأدوم ومـحلّها فـي العـقول الصريحة أثبت وأوقع، ونفوس الخواصّ المراجيح لها أطوع وقلوبهم لها أخضع».

ويقول في المعاجز الفعلية:

«وايضاً ما من معجزة فعلية مأتي بها إلّا وفي أفاعيل الله تعالى قبلنا من جنسها أكبر وأبهر منها وآنق وأعجب وأحكم وأتقن، فخلْق النار مثلاً أعظم من جعلها برداً وسلاماً على ابراهيم، وخلق الشمس والقمر والجليدية والحس المشترك أعظم من شقّ القمر في الحس المشترك. ولو تدبّر متدبّر في خلْق معدّل النهار ومنطقة البروج متقاطعين على الحدّة والانفراج لا على زوايا قوائم وجعل مركز الشمس ملازماً لسطح منطقة البروج في حركتها الخاصة وما في ذلك من استلزام بدائع الصنع وغرائب التدبير واستتباع فيوض الخيرات ورواشح البركات في آفاق نظام العالم العنصري لدهشته الحيرة وطفق يخرّ مبهوراً في عقله مغشيّاً عليه في حسّه،وذلك إن هو الّا فعل من أفاعيله سبحانه وصنع ما من صنائعه عزّ سلطانه، فاما نور القرآن المتلألىء شعاعه سجيس الابد فلا صودف في الأولين ولن يُصادَف في الآخرين فيما تناوله العقول وتبلغه الأوهام من جنسه ما يضاهيه في قوانين الحكمة والبلاغة، أو يدانيه في أفانين الجزالة والجلالة»*

ان الكلام هو في المعجزات القولية للرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين). فلقد عُرف صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) في كتب السير وتراجم الرجال والطبقات والتواريخ، ونقل فيها غرر كلماتهم من شعر ونثر؛ فأيّ منهم كان في واحدة من أوصافه الكمالية وفضائله الانسانية كفؤاً أو عِدْلاً لعليٍّ (عليه السلام) او على الأقل تفوّه ـ تقليداً أو محاكاة له ـ بخطبة تشبه احدىٰ خطبه التوحيدية في نهج البلاغة؟! مع انه (عليه السلام) كان يرتجل تلك

(*) القبسات / الطبعة الحجرية: ص ٣٢١.

الخطب في الموارد اللازمة. فليقل الآخرون في تروٍّ وتأنٍّ واحدةً مثلها!!!

ان الخطبة رقم (١٨٤) من نهج البلاغة هي واحدة من الخطب التوحيدية للامام، والتي يقول في عنوانها الشريف الرضي: «**وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة**»، ويمر اليوم اكثر من الف واربعمائة سنة على هجرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبين يدينا آثار نوابغ الدهر من اصحاب العلوم العقلية والمعارف العرفانية ومدّعي المكاشكات الذوقية والكتّاب المشهورين في العالم أجمع، وفي جميع اصقاع الأرض.. من قبل الاسلام وبعده.. ولا يسع احداً منهم أن يمنح نفسه الحق بأن يقارن بين كتابٍ له وبين بندٍ من بنود هذه الخطبة فقط.

واليوم، حيث يقال: ان مستوى العلوم والمعارف قد ارتقى، وانه عصر التقدم العلمي والتطور الثقافي، وقد ازدادت شهوة التأليف بشكل عجيب؛ من بوسعه ان يأتي بما يوازي بنود هذه الخطبة فقط.

أيّ اديب أو فنّان يستطيع أن ينشىء كلاماً على غرار عبارات الامام في هذه الخطبة ويقلّد صُوَرها.. وهذه «مقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني» و«منشآت المعري» و«خطب ابن نباته» و«رسائل ابن العميد» و«مكاتيب عبدالحميد» و«الكامل للمبرد» و«ادب الكاتب لابن قتيبة» و«البيان والتبيين للجاحظ» و«أمالي القالي» و...، تشهد بذلك.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٠ هـ: «إن افضل كلمة ترغّب الانسان الى طلب العلم والمعرفة قولُ امير المؤمنين (عليه السلام): **(قدر كل امرئ ما يحسن)**»(*).

(*) روضات الخونساري، ص ٢٧٤، الطبعة الحجرية.

أما ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفّىٰ عام ٢٥٥ هـ) وأول جامع للكلمات القصار لأميرالمؤمنين (عـليه السـلام) ـ اذ اختار مائة كلمة قصيرة للامام وسمّاها بـ«مطلوب كل طالب من كلام امير المؤمنين علي بن أبي طالب» فقد قال في وصف تلك الكلمات «كل كلمة منها تفي بألفٍ من محاسن كلام العرب».

وفي الجزء الاول من **«البيان والتبيين»** وفي وصف قول الامام (عليه السلام): **«قيمة كل امرئ ما يحسن»** قال:

«قال عليّ رحمه الله: **«قيمة كل امرئ ما يحسن»** فلو لم نقف من هذا الكتاب الّا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوىٰ قائله».

ويقول ابن خلكان في **«وفيات الاعيان»** المعروف بتاريخ ابن خـلكان فـي ترجمة عبدالحميد الكاتب ما يلي:

«أبو غالب عبدالحميد الكاتب البليغ المشهور كان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني امية وبه يُضرب المثل في البـلاغة حـتى قـيل فُـتحت الرسائل بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كل فنّ مـن العلم والادب إماماً».

ثم ينقل (ابن خلكان) عن (عبدالحميد الكاتب) انه قال:

«حفظت سبعين خطبة من خطب الأُصـلع فـفاضت ثـم فـاضت»، ويـقصد بالأصلع علياً عليه السلام.

كذلك يقول ابن خلكان في الكتاب المذكور في ترجمة ابن نباتة (صاحب الخطب): «ابو يحيى عبدالرحيم بن نباتة صاحب الخطب المشهورة كان إماماً في علوم الأدب».

ثم ينقل عنه قوله:

«حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق الّا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ».

ان منطق النهج الذي هو معيار الصدق ومحك الحق، يَعتبر قيمة الانسان بِحظّه من الحقائق النورية الكلية لحظائر قدس الملكوت، وكما قال هو (عليه السلام) لصاحبه كميل بن زياد (رضوان الله عليه):

«انّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها» *

لقد كانت للرسول (صلى الله عيه وآله) معاجز فعلية كثيرة، لكن معجزته الخالدة والباقية الى يوم القيامة هو القرآن الكريم أي الصورة الكتبية له (صلى الله عليه وآله) فهو وحده الناطق بالصواب وهو فصل الخطاب وهو خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام .

قبلة المدينة المنورة معجزة الرسول الفعلية

نعم ان المعجزة الفعلية الوحيدة الباقية للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) هي قبلة المدينة المنورة. فقد حدّد (صلى الله عليه وآله) القبلة فيها في غاية الدقّة والاستواء ومن دون اللجوء الى استعمال الآلات او القواعد الفلكية او خطوط الطول والعرض؛ حيث وقف (صلى الله عليه وآله) الى الكعبة وقال: **«محرابي على الميزاب»**.

وقد فصّلنا البحث في هذا الموضوع الأسمى والاسنىٰ في كتابنا **«دروس معرفة الوقت والقبلة»** فمن شاء فليراجع[1].

(*) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٤٧.

(١) احد مؤلفاتي كتاب «دروس معرفة الوقت والقبلة» والذي بذلت جهداً كبيراً فيه وبيّنت فيه

إنّ يد الحواس لتقصر عن الوصول الى ثمار معارف الأغصان المعتدلة لشجرة النبوة[١]، وان الأفكار المستأنسة بالماديات لتحسر عن إدراكها.

ان الذي من شأنه أن يفهم أسرار خزائن خُزّان الوحي، وأن يتشرّف بحريم فهم لطائفهم القلبية لهو العقل الناصح والقلب المجتمع والقوة القوية فوق طور العقل؛ وكما عبر عنه النهج نفسه من:

«انّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور أمينة وأحلام رزينة»[٢]

وقد أُثِر في هذا المعنى عبارات عميقةأخرىٰ من وسائط الفيض الالهي.. يفتح كلٌّ منها باباً من أبواب المعرفة الشهودية التي هي فوق مستوىٰ المعرفة الفكرية؛ لجميع النفوس على اختلاف مراتبها ودرجاتها.

فانّ الأحاديث ـ أيضاً ـ مراتب، وإن كانت كلها دون رتبة القرآن المجيد. وسيأتي بيانه.

فنرىٰ (**صدر المتألّهين**) في شرح أصول الكافي وفي معرض ابتهاله الى الفيّاض المتعال يسألُه التوفيق في فهم كلمات آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) ويقول مبتهجاً في تعليقة الفصل السابع، المسلك الخامس من الأسفار (في اتحاد العقل والعاقل والمعقول):

طرق تحديد الوقت ومعرفة القبلة في جميع البلاد، وشرحت الروايات والأقوال الموجودة في الكتب الفقهية حول القبلة والهلال والمسائل الاخرىٰ ـ كلاً على حده وتفصيل ـ على اساس البراهين الرياضية العالية ومباني الهيئة والنجوم والآلات الرصدية.

(١) لقد ورد التعبير ـ في اول الخطبة ١٥٩ من نهج البلاغة ـ عن أهل البيت (عليهم السلام) بالأغصان المعتدلة لشجرة النبوة، وعن معارفهم وعلومهم بالثمار:

«اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدّلة».

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٨٧.

«كنت حين تسويدي هذا المقام بكهك من قرىٰ قم، فجئت زائراً لبنت موسى بن جعفر (عليهما السلام) منها وكان يوم جمعة، فانكشف لي هذا الأمر بعون الله تعالى».

وكان تاريخ هذا الكشف وهذه الافاضة في ضحوة يوم الجمعة السابع من جمادى الاولى سنة (١٠٧٣)هـ، وكان عمْر (صدر المتألهين) يـومها يـتجاوز الخمسين عاماً، كما أشار هو الى ذلك في تعليقته الاخرىٰ علىٰ الفصل المذكور:

«تاريخ هذه الافاضة كان ضحوة يوم الجمعة سابع جمادى الاولى لعام سبع وثلاثين وألف من الهجرة وقد مضىٰ من عمر المؤلف ثمان وخمسون سنة».

ولقد نقلت هاتين التعليقتين من نسخ الاسفار الموجودة عندي.

مضافاً الى أن الكلمات الصادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) ليست مناهج وثرواتٍ ادبية ـ من حيث الفصاحة والبلاغة ـ لأمثال عبدالحميد وابـن نـباته، وحسب، بل انها ـ ايضاً ـ النهجُ القويم والطريق المستقيم فـي جـميع شـؤون الحياة الانسانية.

فأيّ مسؤول سياسي او قائد اجتماعي قدّم في التنظيم الاداري وادارة الدول وقوانين صياغة المدينة الفاضلة وآداب الراعي والرعـية كـالذي قـدّمه الإمـام علي (عليه السلام) في عهده الى مالك الاشتر النخعي (رضوان الله عليه)؟ وهذه وثائق (اردشير) ورسائله وعهوده الى الوزراء والقادة والامراء، وغير أردشيرا!

أي قائد عسكري او امير من امراء القتال والجيوش استطاع أن يعلم آداب الحرب وقواعد القتال والمبارزة مع العدو بمثل ما جاء في عدة فصول من نهج اسد الله الغالب علي بن ابي طالب عليه السلام؟! وهذا كـتاب سـياسة الحـروب للـهرثمي وكـتاب الحـرب فـي عُـيون الاخـبار لابـن قـتيبة وآداب الحـرب لـ«مباركشاه» وتبصرة ارباب الالباب للطرطوسي وغيرها!

اي عارف وصاحب مراحل ومنازل، لكلماته طعمٌ وأثر الى جانب مشرب

العرفان وكلمات سيد العرفاء علي عليه السلام؟! وهذه «الفصوص» و«الفتوحات» و«مصباح الانس» و«التمهيد»... كلها شهود عدل بين يدي نهج البلاغة.

أي حكيم متألّه يجرؤ على ان يمسك القلم ويكتب الى جانب خطب عليّ التوحيدية؟ وهذه رسائل الفارابي والشفاء والاشارات للشيخ الرئيس (ابن سينا) والقبسات والأسفار للميرداماد والملاصدرا حاضرة وشاهدة!

ان الحكيم ليفزع أمام **«ينحدر عني السيل»** وان العارف ليندهش اما **«ولا يرقىٰ اليّ الطير»**.

لقد شرّحت كلماته في وصف المتقين شريحاً[1]، ولقد تركت كلماته في وصف الطبيعة والخفاش والطاووس امثالي عاجزين عن البيان؛ بل تركت الادباء والشعراء امثال منوچهري حيرى في وصفه الرائع.

وخلاصة القول ـ والقول الحق ـ ما قاله الامام عليه السلام في الخطبة رقم ٢٣١ في نهج البلاغة بعباراته البليغة: **«وإنّا لأمراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه»**[2].

امعنوا النظر في هذه العبارة نفسها وتدبّروها، غوصوا في أعماقها وانظروا اية جملة قصيرة هي من حيث اللفظ، ولكن اية معانٍ رفيعة تكتنزها. وهذا الكلام ـ ذاته ـ خير شاهد صدق على صدوره من امير البيان.

فكم يجب على مثلي ان يجهد نفسه لكي يؤدي حق بيانه، وأن يعترف ـ في النهاية ـ بعجزه عن ذلك.

❀ ❀ ❀

---

(١) هو همام بن شريح الذي طلب من الامام ان يصف له المتقين ـ المترجم.

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٣١.

«وإنا لأمراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه».

(نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٣١)

أسانيد نهج البلاغة

انّ كلمات الامام في **«نهج البلاغة»** ليست نهجاً للبلاغة فحسب، بل هي النهج القويم والطريق المستقيم في جميع شؤون الحياة الانسانية. ولما كان الشريف الرضي(رضوان الله عليه) صاحب قلم قويّ في الأدب، وسحره أسلوب الامام واستهواه، فقد رآه ـ من وجهة نظره الادبية ـ انه نهج للبلاغة وسماه كذلك.

ان «نهج البلاغة» كتاب لو بحث فيه حسب الترتيب الهجائي للموضوعات في اي حقل من حقول العلوم والمعارف الالهية الحقة لوجد أنّ فيه اصولاً وأُسساً وقواعد يمثل كل منها شجرة طيّبة لها فروع واثمار كثيرة: **﴿اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَها كلّ حينٍ بإذن ربِّها﴾**.

الكلمات التي يشكّل كلٌّ منها موضوعاً للمسائل العقلية وقد وردت مصادرها وأسانيدها في نهج البلاغة

مثلاً: البحث في الاول، الآخر، الانسان، الايمان، الامامة، البرهان، البسط، التوبة، التقوىٰ، الثبات، الجسد، الجسم، الجلاء،الجزاء، الحق، الحساب، الحجاب، الحركة، الحبط، الختم، الخلق، الدعاء، الدنيا، الذكرالرب، الرسول، الرؤية، الرَّوع، الرزق، الرضا، الزهد، الزيغ، الزوال، السرمد، السبات،

السمع ،السعادة، الشقاء، الشأن، الصورة، الصبر، الصراط، الضلالة، الطلب، الطاعة، الطريقة، الطمانينة، الطهارة، الظل، الظهور، الظلم، العدل، العلم، العمل، العرفان، العمىٰ، الغيب، الغفلة، القبض، القول، الكتاب، الكلام، الليل، اللقاء، الموت، الملك، النور، النبوة، النفس، الوجود، الوحدة، الوجه، الوحي، الولاية، الوزن، الهمة، الهداية، الهجرة، اليوم، اليقظة، اليقين.. ونظائرها هي من الموضوعات الموجودة في الحكمة المتعالية مما وردت في كلمات امير المؤمنين عليه السلام سواء في النهج أو غيره. ويمكن الوصول الى اسانيد ومصادر مهمة حول كل منها مما يمكن الوصول اليها وإدراك عُمق احكامها ومسائلها في ظلّ «**الولاية**».

كما استند ويستند أساطين العرفان والحكمة المتعالية في الامور المذكورة الى كلام (**إمام الكل في الكل**) في كتبهم القيّمة.

كلام صدر المتألهين حول كلام اميرالمؤمنين(عليه السلام)

فمثلاً ان صدر المتألهين يتمسّك ويتبرّك في آلهيات أسفاره (في نفي زيادة الصفات عن ذات الواجب، وبعبارة اخرىٰ في عينية الصفات الكمالية مع الذات الأحدية) بالخطبة الاولى في نهج البلاغة ويقول:

«وقد وقع في كلام مولانا وإمامنا مولى العارفين وامام الموحِّدين ما يدل على نفي زيادة الصفات لله تعالى بأبلغ وجه وآكده حيث قال في خطبة من خطبه المشهورة: أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به ،الخ»[1].

كذلك فان الأعلام الآخرين ـ اعمّ من الخاص والعام ـ منذ صدر الاسلام

---

(١) الفصل الرابع: الموقف الثاني ـ الهيات الأسفار.

والى اليوم، وفي الفنون المختلفة لمؤلفاتهم من العلوم الادبية وحتى العرفان ـ يتبرّكون بكلمات وليّ الله الأعظم وإمام الأنام ويستشهدون بها، مما يستلزم نقل طائفة منها ـ لا كلّها ـ كتاباً مستقلاً عظيماً.

ولعظمة مقام، ومنزلة أقوال ذلك الامام الهمام، والتي هي مسحة من العلم الالهي وقبس من نور مشكاة الرسالة ونفحة من شميم رياض الامامة، فقد بذل الكثير من العظماء منذ زمان الامام حتى اليوم سعياً بليغاً في جمع كلماته وأوْلوه الاهتمام اللائق؛ ومنهم:

عبيدالله بن ابي رافع جامع قضاياه عليه السلام

فقد ذكر الشيخ الطوسي (قدس سره) (المتوفى ٤٦٠ هـ) في فهرسته أنَّ عبيدالله ابن ابي رافع، كاتب اميرالمؤمنين (عليه السلام) قد جمع قضاياه. قال: «عبيدالله بن ابي‌رافع رضي‌الله عنه كاتب اميرالمؤمنين (عليه‌السلام) له كتاب قضايا أمير المؤمنين (عليه السلام) أخبرنا به احمد بن عبدون ـ الى قوله: عن محمد بن عبيد الله بن ابي رافع، عن ابيه، عن جدّه، عن امير المؤمنين (عليه السلام) وذكر الكتاب بطوله».

زيد بن وهب الجهني المخضرم جامع خطب الامام عليه السلام

كذلك قال الشيخ الطوسي في كتاب «الفهرست»:

«زيد بن وهب له كتاب خطب امير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر في الجمع والأعياد وغيرهما، أخبرنا أحمد بن محمد ـ الى قوله: عن ابي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور الجهني عن زيد بن وهب قال خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وذكر الكتاب»...

عبيد وزيد هما أوّل من جمع قضايا امير المؤمنين (عليه السلام)

زيد بن وهب المكنّى «**أبو سليمان الجهني الكوفي المخضرم**»[1]، أسلم على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) غير انه لم يتشرف بلقائه ولم يدركه، فقد ارتحل الرسول (صلى الله عليه وآله) الى الرفيق الاعلى وزيد في طريقه إليه؛ ولهذا لا يعدّون زيداً من الصحابة وانما هو من التابعين، وكان من كبارهم. توفي عام ٩٦هـ.

يستفاد من اسانيد الشيخ الطوسي أنّ كتابي زيد وعُبيدٍ كانا موجودين في زمنه. وينبغي ان يكون هذان الشخصان أوَّل من جمعا قضايا الامام وخطبه، فيكون الاول هو من جمع قضاياه والثاني هو جامع خطبه (عليه السلام).

محمد بن قيس البجلي جامع قضايا علي (عليه السلام)

وبعد عبيد الله بن أبي رافع يأتي محمد بن قيس البجلي في جمع قضايا امير المؤمنين، وكان محمد ـ هذا ـ من اصحاب الامام الباقر (عليه السلام)، كما يقول الشيخ الطوسي في الفهرست:

«محمد بن قيس البجلي له كتاب قضايا امير المؤمنين (عليه السلام) أخبرنا به جماعة منهم محمد بن محمد بن النعمان ـ الخ».

ابراهيم بن حكم الفزاري جامع خطب اميرالمؤمنين (عليه السلام)

وبعد زيد بن وهب الجهني لا بد من ذكر «ابراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري» في مجال جمع خطب الإمام أمير المؤمنين علي(عليه السلام). وابراهيم

(١) المخضرم هو من أدرك عصري الجاهلية وصدر الاسلام.

الفزاري متولد عام ١٨٠ هـ، جاء عنه في الفهرست ايضاً:

«ابراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري ابن اسحاق صاحب التفسير عن السدي صنّف كتباً منها كتاب الملاحم وكتاب خطب علي (عليه السلام) الخ».

الاصبغ بن نباتة من خاصّة امير المؤمنين (عليه السلام). وراوي عهده الى مالك الاشتر ووصيته الى ولده محمد بن الحنفية

الأصبغ بن نباتة من خاصّة امير المؤمنين (عليه السلام) وراوي وصيته الى ولده محمد بن الحنفية، وعهده (عليه السلام) إلى مالك الاشتر. قال عنه الشيخ في الفهرست:

«الاصبغ بن نباتة (رحمه الله)كان من خاصّة امير المؤمنين (عليه السلام) وعمر بعده وروىٰ عهد مالك الاشتر الذي عهده اليه امير المؤمنين (عليه السلام). لما ولّاه مصر، وروىٰ وصية امير المؤمنين (عليه السلام) الى ابنه محمد بن الحنفية. أخبرنا بالعهد ابن ابي جيّد عن محمد بن الحسن الى قوله: عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) وأما الوصية فأخبرنا بها الحسين ابن عبيدالله ـ الى قوله: عن سعد بن طريف، عن الاصبغ بن نباتة المجاشعي قال: كتب امير المؤمنين (عليه السلام) الى ولده محمد بن الحنفية بوصيته ـ الخ».

نسبة العهد الى الأمير ليست منتحلة

بهذه العبارة المحكمة والمسندة يطرد شيخ الطائفة أيّ تشكيك في نسبة عهد مالك الاشتر الى امير المؤمنين بأن يقال ـ مثلاً ـ جاء في عهد اردشير كذا وقال بزرجمهر كذا وفي عهد فلان لفلان كذا، وان بعض عباراتهم تتشابه مع عبارات عهد الامام الى واليه مالك الاشتر؛ مما يعطي المجال للشك في نسبة العهد الى الامام.

ان الشيخ رفض كلَّ مثل هذه التخرّصات بقوّة وقال إنّ وجود بعض العبارات المشابهة لبعض اوامر الامام الى واليه ومالك، لا يعني ان نسبة العهد هنا الى الامام مشكوكة او انها منتحلة او غير صحيحة.

نحن نحترم عهد اردشير وكلمات بزرجمهر والعلماء الآخرين السابقين، الا ان لأقوال وكلمات الامام علي (عليه السلام)واسلوب كلامه طعماً آخر يختلف عنها تماماً.

ورد في **«دعائم الاسلام»** «ان هذا العهد مرويّ عن النبي (صلّى الله عليه وآله)»، اما الوصية فقد أوردها السيد الرضي في القسم الثاني من نهج البلاغة تحت عنوان «ومن كتاب له (عليه السلام)للحسن بن علي» وكذا ابن شعبة في تحف العقول.

اما الكليني فقد أوردها في الباب التاسع عشر من كتاب النكاح في **(الكافي)**؛ اذ نقل قسماً من اخرها على روايتين. وصرح في الثانية بقوله: **«كتب بهذه الرسالة امير المؤمنين صلوات الله عليه الى ابنه محمد»**. وينتهي سنده وسند الشيخ الطوسي في الفهرست الى جعفر بن محمد الحسيني عن علي بن عبدك الصوفي عن الحسن بن طريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام)ـ وكلاهما واحد. وليراجع الجزء السابع في بحار الانوار الطبعة الكمپانية ص٥٦ ايضاً.

اسماعيل بن مهران من اصحاب الامام الرضا (عليه السلام) وراويه وجامع خطب الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

ومن جامعي خطب الامام (عليه السلام) ايضاً «اسماعيل بن مهران بن محمد بن ابي نصر زيد السكوني»

يقول عنه الشيخ الطوسي في الفهرست «لقي الرضا (عليه السلام) وروى عنه وصنّف مصنّفات كثيرة، منها كتاب خطب امير المؤمنين (عليه السلام)».

أبو اسحاق ابراهيم القمي جامع قضايا الامام (عليه السلام)

ومن الذين جمعوا قضايا الامام (عليه السلام) «ابو اسحاق ابراهيم بن هاشم القمي»، يقول عنه الشيخ الطوسي فيالفهرست: «انه لقى الرضا (عليه السلام) والذي أعرف من كتبه النوادر وكتاب قضايا امير المؤمنين (عليه السلام) اخبرنا بهما جماعة من اصحابنا ... الخ».

صالح بن ابي حماد الرازي جامع خطب الامام (عليه السلام)

ومن الاشخاص الآخرين الذين جمعوا خطب الامام «صالح بن ابي حماد الرازي» يقول عنه النجاشي في رجاله: «لقي أبا الحسن العسكري (عليه السلام). له كتب منها كتاب خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)».

هشام الكلبي المتوفىٰ ٢٠٦ هـ جامع خطب الامام (عليه السلام)

ومن جامعي خطبه (عليه السلام) «هشام بن محمد بن سائب الكلبي» المتوفّىٰ عام ١٤٦ هـ كما اورده ابن النديم في فهرسته. وكان من مشاهير العلماء ونال شرف لقاء الامام الصادق (عليه السلام) يقول عنه النجاشي:

«كان يختص بمذهبنا وله الحديث المشهور قال: اعتللت علة عظيمة، نسيت علمي فجلست الى جعفر بن محمد (عليهما السلام) فسقاني العلم في كأس. فعاد اليّ علمي، وله كتب كثيرة منها كتاب الخطب».

علىٰ ان المراد من اطلاق النجاشي بقوله «كتاب الخطب» هو خطب الامامأميرالمؤمنين (عليه السلام). ذكر ابن النديم وفاة هشام عام ٢٠٦ هـ.

ابراهيم النهمي والمدائني جامعاً خطب الامام (عليه السلام)

ومن جامعي خطب الامام (عليه السلام) «ابو اسحاق ابراهيم بن سليمان النهمي الكوفي» يقول النجاشي في رجاله والطوسي في فهرسته «له كتب منها كتاب الخطب» .

وكذلك من جامعي خطبه (عليه السلام) «المدائني» المؤرخ المعروف. يقول ابن النديم في كتاب الفهرست «توفي ابو الحسن علي بن محمد المدائني عام ٢٢٥ هـ عن عمر يناهز الثالثة والتسعين» .

ويقول الخونساري في روضاته: «ابو الحسن المدائني الاخباري صاحب كتاب الأخبار والتواريخ الكثيرة التي تزيد على مائتي كتاب منها كتاب خطب امير المؤمنين (عليه السلام) .

ويقول ابن النديم في فهرسته في الطبعة المصرية في معرض عدّه لكتب المدائني «له كتاب خطب النبي (صلّى الله عليه وآله)» والظاهر ان الثاني ينبغي أن يكون خطب علي (عليه السلام).

عبدالعزيز الجلودي جامع خطب الامام ورسائله وأشعاره

عبدالعزيز بن يحيى بن احمد بن عيسى الجلودي جامع خطب الامام ومواعظه ورسائله وكتبه وقضائه ودعائه (عليه السلام)، وكذلك جامع الاشعار المنسوبة اليه .

جدّه عيسى الجلودي من اصحاب الامام ابي جعفر الباقر (عليهما السلام) يقول عنه النجاشي في رجاله: «له كتب قد ذكرها الناس منها كتاب مسند اميرالمؤمنين

(عليه السلام)، كتاب خطبه (عليه السلام)، كتاب شعره (عليه السلام)، كتاب قضاء علي (عليه السلام)، كتاب رسائل علي (عليه السلام)، كتاب مواعظه (عليه السلام) كتاب الدعاء عنه (عليه السلام)» وعدّه كتب اخرى عن الامام ذكرها النجاشي.

وأنا ارىٰ ان اكثر اشعار الديوان المنسوب للامام (عليه السلام) هي من نظم وتأليف الآخرين، وقد ذكرتها كلها مع ذكر مصادرها وأسانيدها في «**تكملة منهاج البراعة**»[1].

ان كثيراً من أشعار الديوان تعبّر عن الروايات المرويّة عنه (عليه السلام)، مما نظمها الآخرون في قوالب شعرية. ولما كان مضمون هذه الأبياتِ معبّراً عن كلمات الإمام فقد نسبت الأبيات إليه، من هذا الباب، مثل أبيات «يا حار همدان من يمتْ يرني » التي نظمها الإمام لحارث الهمداني، وقد نقل أصل الخبر الشيخُ المفيد في المجلس الاول من أماليه ثم أعقبه بقوله: «قال جميل بن صالح وأنشدني أبو هاشم السيد الحميري.. الخ».

ومن تلك الاشعار الواردة في الديوان بكثرة نصائحه (عليه السلام)، ووصاياه لابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام). فان اسلوب هذه الاستعارة من حيث البلاغة والفصاحة يختلف كثيراً عن مستوىٰ كلمات الامام الاخرى كخطبه ورسائله وحكمه في النهج وغيره، وتبدو ضعيفة ازاءها.

على ان الاراجيز المنسوبة اليه (عليه السلام) لا تخلو من قوة في أسنادها. فهذه كانت سيرة الابطال في ميادين القتال.

كما يبدو ان كثيراً من اشعار علي بن ابي طالب القيرواني قد نُسبت الى الامام سهواً لاشتراك الاسم.

---

(١) ص٣٠٦ـ ٣١٥، ج١.

السيد عبدالعظيم الحسني جامع خطبه (عليه السلام)

لقد ألّف السيد عبدالعظيم بن عبدالله الحسني العلوي المدفون في مسجد الشجرة في ري كتاباً يجمع خطب الإمام (عليه السلام). وقد نصّ الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على زيارته؛ قال: **«من زار قبره وجبت له على الله الجنة»** وفي رجال النجاشي عنه «له كتاب خطب امير المؤمنين (عليه السلام)» وكذا في «خلاصة» العلامة.

ابراهيم الثقفي جامع خطب ورسائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي من أحفاد سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن ابي عبيدة الثقفي؛ المتوفّىٰ سنة ٢٨٣ هـ؛ جامع خطب امير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله. يقول النجاشي في رجاله: **«وله تصنيفات كثيرة انتهىٰ الينا منها كتاب رسائل أمير المؤمنين** (عليه السلام) **وأخباره، وكتاب الخطب السائرة. مات ابراهيم بن محمد الثقفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين»** وذكر النجاشي من جملة كتبه **«الخطب المقريات»** ونسب الطوسي اليه **«الخطب المعربات»**. والظاهر ان المقصود بهما واحد.

محمد بن قيس

محمد بن قيس البجلي الكوفي المتوفىٰ سنة ١٥١ هـ من اصحاب الامام الباقر والامام الصادق (عليهما السلام). يقول عنه النجاشي في **«الرجال»** والطوسي في **«الفهرست»** والعلامه في **«الخلاصة»**: «له كتاب قضايا امير المؤمنين (عليه السلام)».

محمد بن خالد البرقي

محمد بن خالد البرقي من أصحاب الامام موسى بن جعفر والامام علي الرضا والامام الجواد (عليهم السلام) يقول عنه النجاشي «له كتب منها كتاب الخطب».

محمد بن احمد الكوفي الصابوني

محمد بن احمد بن ابرهيم الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني. يقول عنه النجاشي: **«وله كتب منها كتاب الخطب»**.

محمد بن عيسى الاشعري

محمد بن عيسى بن عبدالله الاشعري. يقول عنه النجاشي «دخل على الرضا (عليه السلام) وسمع منه» وروى عن ابي جعفر الثاني (يعني الامام الجواد ـ عليه السلام ـ)، له كتاب الخطب».

الجاحظ أوّل من جمع الكلمات القصار للامام (عليه السلام)

ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، صاحب **«البيان والتبيين»** المتوفّىٰ عام ٢٥٥ هـ، اختار (١٠٠) كلمة من كلمات الامام (عليه السلام) القصار وأسماها بـ«مطلوب كل طالب من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» وقال عنها: **«كل كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب»**.

ويقول في الجزء الاول من كتابه «**البيان والتبيين**»[١]: «قال علي رحمه الله: **قيمة كل امريء ما يحسن**» فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية وغير مقصرة عن الغاية».

وقد قام كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المعروف بابن ميثم ـ احد شرّاح النهج ـ بشرح مختارات الجاحظ من قصار كلمات الامام (عليه السلام) كما شرح تلك المختارات «**رشيد الوطواط**» و«**عبدالوهاب**» وطبعت هذه الشروح كلها في مجلد واحد بسعي وتصحيح المرحوم المحدث الأرموي.

رسالتا «نهج البلاغة چيست» و«ما هو نهج البلاغة»

لم نجد ولم نسمع من يقوم بجمع كلمات الامام (ع) القصار ـ تحت هذا العنوان ـ قبل الجاحظ، كما ان الرسالة المختصرة الموسومة بـ«**نهج البلاغة چيست**»[٢] تشهد على صدق المدّعىٰ؛ فقد وَرَد فيها أنّ أوّل من بادر الى جمع الكلمات القصار للامام علي (عليه السلام) هو الجاحظ المتوفّىٰ في ٢٥٥ هـ، باسم «**مائة كلمة**». ذكر في الرسالة المذكورة ٦٦ شرحاً على ألنهج وعدة شروح على بعض الخطب والرسائل والكلمات القصار للامام (عليه السلام).

وقد نوّهت الرسالة المذكورة الى رسالة السيد هبة الدين الشهرستاني في هذا المجال؛ فقد جاء في مقدّمتها: انها المرة الاولىٰ التي يكتب فيها رسالة عن نهج البلاغة باللغة الفارسية، وقد حرر قبل ذلك جناب السيد الأجلّ هبةُ الدين

(١) ص٨٣ طبع مصر ١٣٨٠ هـ.

(٢) اي ما هو نهج البلاغة ـ مؤلف في الفارسية.

الشهرستاني رسالةً في هذا الموضوع ـ بالعربية ـ أسماها**«ما هو نهج البلاغة»** طُبعت في بغداد عام ١٣٥٢ هـ. وقدترجم كثير من موضوعاتها في هذه الرسالة أي **«نهج البلاغة چيست»**. ولهاتين الرسالتين (العربية والفارسية) في موضوعهما اهمية فائقة وفي **«ما هو نهج البلاغة»** مباحث عدة حول **«نهج البلاغة»** جديرة بالتقدير والتجليل.

وقد عدّ المرحوم الأميني (قدس سره) في الجزء الرابع من كتابه **«الغدير»** ٨١ شرحاً على النهج. أما المرحوم آغا بزرگ الطهراني، فقد بلغ بها الى الضعف في الجزء الرابع عشر من كتابه **«الذريعة»**.

ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة وجامع كلماته القصار

وينقل ابن ابي الحديد (شارح نهج البلاغة) بعد انتهائه من الشرح ـ الف كلمة من الكلمات القصار للامام (عليه السلام) أو المنسوبة اليه ممّا لم تَرِدْ في النهج. وهذه الألف كلمة طُبعت في بيروت في كتاب مستقل يسمىٰ **«الحكم المنثورة»** كما طُبعت في النجف ايضاً ـ مرّة واحدة ـ الى جانب الكلمات الاخرىٰ المنسوبة للامام (عليه السلام).

يقول ابن ابي الحديد في آخر شرحه: «وهذا آخر ما دوّنه الرضي ابو الحسن (رحمة الله عليه) من كلام اميرالمؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى، ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضيّ مما نسبه قوم اليه فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روي عنه وعزي اليه وبعضه من كلام غيره من الحكماء لكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته، الخ».

الآمدي و«الغرر والدرر»

حوالي قرن بعد الشريف الرضي (رحمه الله) جمع العالمُ الأوحدي «**عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي**» المتوفّىٰ ٥١٠ هـ إحدىٰ عشر الف وخمسين كلمة قصيرة من كلمات الإمام أسماها بـ«**غرر الحِكَم ودُرر الكلِم**» رتّبها على الترتيب الهجائي. وقام بشرحها في اللغة الفارسية (**آقا جمالُ الخونساري**) المتوفىٰ ١١٢٥ هـ. وتمّ طبعها في سبعة اجزاء بضميمة رسالة شرح «**اخبار الطينة**» للسيد جمال، بهمّة وتصحيح المرحوم المحدث الأرموي. كما أُعيدت طبعة (الغرر والدرر) نفسها في (صيدا) مرة و(النجف) اخرىٰ.

في الغرر والدرر، للكثير من كلمات الامام في بيان عالم الامر، وخاصة معرفة النفس اهمية فائقة. والى حد علمي فانه لمْ يُدَوَّن لحدِّ الآن كتابٌ بهذا التفصيل يجمع الكلمات القصار للامام (عليه السلام).

ابو عبدالله القضاعي ودستور معالم الحكم

لقد كانت ولادة الشريف الرضي في عام ٣٥٩ هـ ووفاته في ٤٠٦ هـ. وفي تلك الفترة نفسها جمع أبو عبدالله القضاعي (ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن ابراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الشافعي) صاحب كتاب «**شهاب الأخبار**» المتوفّىٰ عام ٤٥٤ هـ ١٦ ذي القعدة في مصر ـ جزءً من كلمات الامام باسم «**دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم**» في تسعة أبواب، وذكر اسانيد بعضها. يقول في الديباجة بعد الخطبة: «أما بعد فاني لما جمعت من حديث رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله) ألف كلمة ومائتي كلمة في

الوصايا والامثال والمواعظ والآداب وضمّنتُها كتاباً وسمّيته بالشهاب، سألني بعض الاخوان ان اجمع من كلام امير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه نحواً من عدد الكلمات المذكورة وان اعتمد في ذلك على ما ازويه وأجده في مصنّف من أثق به وأرتضيه ـ الى قوله: وقد أعلمْت عند الكلمة التي أزويها علامة يستدل على راويها على ما ابينه آخر هذا الكتاب، وذكرت اسانيد الأخبار الطوال واعلمت ما كان منها وجادة جيما، الخ».

أحد طرق السند في النهج تنتهي الى كميل (رضوان الله عليه)

في الباب الرابع من كتابه[1]، روى كلام الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) الى كميل والتي تعدّ من حكم نهج البلاغة ـ كالتالي:

«اخبرني محمد بن منصور بن عبدالله عن ابي عبدالله التستري اجازة، قال اخبرنا ابوالفضل محمد بن عمر بن محمد الكوكبي الاديب، قال حدثنا سليمان ابن احمد بن ايوب، قال حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة، قال حدثنا ضرار ابن صرد، قال حدثنا عاصم بن حميد، قال حدثنا ثابت بن ابي صفية ابو حمزة الثمالي عن عبدالرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال اخذ امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بيدي فأخرجني الى ناحية الجبان فلما أصحر تنفّس الصعداء ثم قال: يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها للعلم؛ الخ».

وبكلمة فان هذا الكتاب يعدّ واحداً من المراجع والمصادر الروائية المهمة الكلمات الامام اميرالمؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة. تمّ طبعه في مصرعام ١٣٣٢ هـ.

---

(١) اي القضاعي في دستور معالم الحكم.

كلام المسعودي حول خطب الامام (عليه السلام)

يقول المسعودي (هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) المتوفى ٣٤٦هـ [اي قبل حوالي ١٣ سنة من وفاة الشريف الرضي].. يقول في كتابه **«مروج الذهب»**[1]: والذي حفظ الناس عنه (عليه السلام) من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيّف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً».

والعجيب ان الشريف الرضي مع قربه من عصر المسعودي لم يورد في النهج إلّا نصفاً مما ذكره المسعودي أو اقلّ من ذلك.

يقول ابن خلكان في **«وفيات الأعيان»** المعروف بـ**«تاريخ ابن خلكان»**: «ابو غالب عبدالحميد الكاتب البليغ المشهور، كان كاتب مروان بن الحكم الاموي آخر ملوك بني امية، وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماما... قال حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، ويعني بالأصلع امير المؤمنين علياً (عليه السلام)».

كذلك، يقول ابن خلكان في الكتاب نفسه:

«ابو يحيى عبدالرحيم بن نباته صاحب الخطب المشهورة كان اماماً في علوم الادب، قال حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق الّا سعة وكثرة، حفظت مائة فصلٍ من مواعظ علي بن ابي طالب (عليه السلام)».

ان كتاب «نثر اللئالي» وجيزٌ يضمّ مجموعة من كلمات سيد الاولياء

(١) ص ٤٣١، ج ٢ ط مصر.

(عليه السلام) بالترتيب الهجائي في ٢٩ باباً. وقد طُبع مرتين، الاولى حجرية مع عدة رسائل اخرىٰ، والثانية: مع كتاب **«ابي الجعد»** وكتاب **«الطب»** لابي عتاب عبدالله بن البسطام واخيه حسين البسطام. وقد قمتُ بتصحيح هذه المجموعة وطُبعتْ بأمر من آية الله العظمى البروجردي (قدس سرّه الشريف).

وقد أشار المرحوم سماحة العلامة الحاج ميرزا ابو الحسن الشعراني (رضوان الله عليه) الى عدد من الصحابة والتابعين الذين جمعوا خُطَب الامام وكتبه، في مقالة قيّمة اوردْناها في أوّل شرحنا على النهج. كما ذكر ذلك أيضاً في مقالته العلمية القيمة التي طُبعت في اول شرح المولىٰ صالح القزويني على النهج.

كذلك، فان العالم الجليل المرحوم علي بن عبدالعظيم التبريزي الخياباني ذكر في كتاب **«صيام وقائع الايام»**(١) أسماءَ عدد كبير من الأكابر الذين جمعوا كلمات ذلك المولىٰ العظيم.

وقد حصلت على مراجع ومصادر واسانيد نهج البلاغة من كتب الحديث والسير والحروب والغزوات والمجاميع والسفن العلمية والروائية، وكان جل اهتمامي منصبّاً على ان تكون المصادر سابقة على الشريف الرضي وكتاب نهج البلاغة؛ ولعلي وُفِّقت في الحصول على ثلثي مصادره. وقد ذكرت بعضاً منها في مواضع مختلفة لتكملة **«منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة»** الذي دُوِّن ونُظِّم وطُبع في خمسة مجلدات بمناسبات مختلفة. كذلك فقد ذكرت مستدركات قد لا تقل كمية عن النهج نفسه.

فمن تفحّص ونظر بإمعان في ابتداء كلّ خطبة وكتاب من خطب وكتب هذه المجلدات الخمسة، لأدرك قيمة الجهد المبذول والدقّة والتامّل والتحمل والاهتمام في جمع كلمات الامام وتحصيل مصادرها وأسانيدها. وليراجع -

---

(١) ص ٢٤٩ الطبعة الحجرية.

على الاقل ـ الى بداية المختار الثاني من كتب ورسائل الامام ـ على سبيل المثال.

وختاماً انتهز الفرصة لأثني على جهود الأخوة والسادة الذين بذلوا جهوداً مضنية في هذا المجال، أخصّ منهم، أصحاب الكتب التالية:

١ ـ «مستدرك نهج البلاغة ومدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه» تاليف الهادي كاشف الغطاء ـ طُبع ببيروت بالعربية.

٢ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة تأليف محمد باقر المحمودي / النجف ـ عربي ـ.

٣ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده تأليف عبدالزهراء الحسيني الخطيب العربي، طبع في النجف الاشرف.

٤ ـ استناد نهج البلاغة، تأليف امتياز علي خان العرشي. قدّم له وعنى بنشره الشيخ عزيز الله العطاردي ـ بالعربية، طُبع في طهران.

٥ ـ بحث قصير حول نهج البلاغة ومداركه تاليف رضا استادي، بالفارسية.

واما المدخل:

اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة

نهج البلاغة الحكمة ٦٨

موضوع هذه الرسالة الوجيزة هو **«الانسان الكامل في منظور نهج البلاغة»** وغرضه اثبات وجوب وجود مثل هذا الشخص دوماً في النشأة العنصرية والعالم الطبيعي.

ان كلمات وليّ الله الاعظم الوصي[1] في أوصاف اولياء الله اعم من الرسل والانبياء والاوصياء والاولياء تمتاز بالثبات وكونها دستوراً قويماً، شأنها شأن كلماته (عليه السلام) في الموضوعات الاخرىٰ؛ نقل السيدالشريف الرضي بعضاً

---

(١) لقد عُرف الامام علي ـ عليه السلام ـ بالوصي، في صدر الرسالة وبعد وفاة الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) وارتحاله، ولقد أوردت في الجزء الثاني من تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة مقالة تحت عنوان «الهداية والإرشاد»، وكتبت في هذا الموضوع، وأتيت بشواهد عدة من أقوال الصحابة وكبار التابعين مع ذكر المصادر والأسانيد؛ غير أنّ بني امية اتفقوا على محو آثار الامام (عليه السلام) وطمس فضائله. وهذا ليس قولي بل قول الفخر الرازي؛ ففي تفسيره الكبير يقول في تفسيره لسورة الفاتحة وفي مسألة الجهر بالبسملة (ص ١٦٠، ج ١، طبعة اسطنبول): «وذلك يدل على إطباق الكلّ على أنّ علياً كان يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم. إنّ علياً كان يبالغ في الجهر بالتسمية، فلما وصلت الدولة الى بني امية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في إبطال آثار علي (عليه السلام) ان الدلائل العقلية موافقة لنا وعمل علي بن ابي طالب (عليه السلام) معنا، ومن اتخذ علياً اماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ في دينه ونفسه» انتهى كلام الرازي بألفاظه. **(المؤلف)**.

منها في نهج البلاغة، ونتبرّك بنقل طائفة منها ونتزوّد من هذه المآدب والموائد الالهية التي «عليها مسحة من العلم الآلهي» ونشير إشارات حول كلمات الامام بمستوىٰ بضاعتنا المزجاة «**ان الهدايا على مقدار مُهديها**».

لقد وجدْنا حوالي ١٤٠ ، مورداًمن كلام الامام (عليه السلام) في نهج البلاغة؛ كلٌّ منها مشرب ماء الحياة ومنبع شراب الطهور، لكننا توخّياً للاختصار نقتصر على ذكر بعضها فقط:

بسم الله مجراها ومرساها

١ ـ الخطبة الأُولىٰ:

«واصطفى سبحانه من وُلده انبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلىٰ تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل اكثر خلقه عهد الله اليهم ... فبعث فيهم رسُلَه وواتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته.. ويثيروا لهم دفائن العقول. ولم يخل الله سبحانهخلقه من نبي مرسل أوكتاب منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة. رسلٌ لا تقصّر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله، على ذلك نُسِلت القرون ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلفت الابناء الى انبعث الله سبحانهمحمداً رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله) لإنجاز عدته وتمامنبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده ...».

«ثم اختار سبحانه لمحمد (صلّىٰ الله عليه وآله) لقاءه ورضي له ما عنده فقبضه إليه كريماً (صلّىٰ الله عليه وآله) وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها اذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم».

٢ ـ الخطبة الثانية: الكتاب نور لأنّ العلم نور

«أشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع، ازاحة للشبهات واحتجاجاً بالبينات وتحذيراً بالآيات وتخويفاً للمثلات».

٣ ـ ذيل الخطبة الثانية: آل النبي (صلّى الله عليه وآله) لهم خصائص الولاية:

«ومنها ـ يعني آل النبي (عليه السلام) ـ هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه.. لا يُقاس بآل محمد (صلّى الله عليه وآله) من هذه الامة احد، ولا يسوّىٰ بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين، اليهم يفيءُ الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن اذ رجع الحق الى اهله ونُقل إلى منتقله».

٤ ـ الخطبة الثالثة (الشقشقية): الامام ـ عليه السلام ـ قطب الخلافة الالهية

«اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ ينحدر عنّي السيل ولا يرقىٰ إليّ الطير».

٥ ـ الخطبة الرابعة:

«بنا اهتديتم في الظلماء وتسنّمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار ما شككت في الحقّ مذ أُريتُه. لم يُوجس موسىٰ خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجُهّال ودُول الضلال. اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل، ومن وثق بماء لم يظمأ».

٦ ـ الخطبة الخامسة:

«والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة».

٧ ـ الخطبة العاشرة:

«إن معي لبصيرتي ما لبّست على بصيرتي نفسي ولا لُبّس عليّ».

٨ ـ الخطبة الثالثة عشرة: (خطاب الى اهل البصرة):

«كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها... الخ».

٩ ـ ذيل الخطبة العشرين:

«وما يبلّغُ عن الله بعد رسل السماء الا البشر».

١٠ ـ ذيل الخطبة الثانية والعشرين:

«واني لعلىٰ يقين من ربي وغير شبهة من ديني».

١١ ـ الخطبة الخامسة والعشرين:

«واني والله لأظنّ هؤلاء القوم سيُدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل».

١٢ ـ الخطبة السابعة والعشرين:

«أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة اوليائه».

١٣ ـ الخطبة الثالثة والثلاثين:

«قال عبدالله بن عباس دخلت على امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال ـ عليه السلام ـ: «**والله لهي احبّ اليّ من امرتكم الا ان اقيم حقاً أوادفع باطلاً**».

١٤ ـ الخطبة الثامنة والثلاثين:

«انما سميت الشبهة لأنها تشبه الحق، فأما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدىٰ واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمىٰ».

١٥ ـ الخطبة الخامسة والخمسون:

«اما قولكم أكلّ ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي أدَخلتُ إلى الموت أو خرج الموتُ إليّ وأمّا قولكم شكاً في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلىٰ ضوْئي وذلك أحبّ إليّ من أن اقتلها على ضلال وإن كانت تبوء بآثامها.

١٦ ـ الخطبة السابعة والخمسون:

«اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم... وانه سيأمركم بسبي والبراءة مني، اما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فاني وُلدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة..».

١٧ ـ الخطبة التاسعة والخمسون:

لما قتل الخوارج فقيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال ـ عليه السلام ـ «**كلا والله انهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم**

منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين».

١٨ - الخطبة الستون:

لما خوّف من الغيلة «وان عليّ من الله جُنّة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عنّي واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم».

١٩ ـ الخطبة التاسعة والستون:

«بلغني انكم تقولون: علي يكذب، قاتلكم الله فعلىٰ من أكذِب أعَلىٰ الله؟ فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه».

٢٠ ـ الخطبة السبعون:

«اللهم... اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك. فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق».

٢١ ـ الخطبة السابعة والسبعون:

لما عزم على المسير الى الخوارج فقيل له يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال ـ عليه السلام ـ «أتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صُرِفَ عنه السوء ـ الخ».

٢٢ ـ الخطبة الخامسة والثمانون:

«وآخر قد تسمىٰ عالماً وليس به... فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان.. فأين تذهبون؟ وأنّىٰ تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار

منصوبة، فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فانزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلّىٰ الله عليه وآله وسلم انه يموت من مات منّا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام وألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل اليه الفكر».

٢٣ ـ الخطبة التاسعة والثمانون (خطبة الاشباح):

«فانظر ايها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فأنتم به واستضيء بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا سنّة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) والائمة الهدىٰ من اثره فكِلْ علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهىٰ حقّ الله عليك.

واعلم انّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السُدد المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمّىٰ تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقتصرْ على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

٢٤ ـ خطبة الاشباح ايضاً:

«ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته خلقاً بديعاً من ملائكته، منهم في حظائر القدس.. جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه وحملهم على المرسلين ودائع امره ونهيه.. اختار آدم خيرة من خلقه. فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتى تمّت بنبيّنا محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حجته، وبلغ المقطع عذره ونذره».

٢٥ ـ الخطبة التسعون:

«فاسألوني قبل ان تفقدوني فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها... ان أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنّها فتنة عمياء مظلمة... نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدُعاة، يفرّج الله عنكم بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عُنفاً ويسقيهم بكأسٍ مصبّرة لا يعطيهم الا السيف... الخ».

٢٦ ـ الخطبة الثانية والتسعون:

«حتى افضت كرامة الله سبحانه إلىٰ محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ فخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعزّ الارومات مغرساً من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه. عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تُنال، فهو امام من اتقىٰ وبصيرة من اهتدىٰ، سراج لمع ضوئه.. سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل».

٢٧ ـ الخطبة الثالثة والتسعون: في ذكر رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) ـ:

«مستقره خيرمستقر ومنبته اشرف منبت،في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الأبرار وثنيت اليه أزمة الأبصار.. كلامه بيان، وصمته لسان».

٢٨ ـ الخطبة الخامسة والتسعين:

«واني لعلىٰ بينة من ربي ومنهاج من نبيّي واني لعلىٰ الطريق الواضح ألقطه لقطا. انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يُخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردىٰ، فإن لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا».

٢٩ ـ ذيل الخطبة الثامنة والتسعون:

«الا إن مثل آل محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ كمثل نجوم السماء اذا خوَىٰ نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون».

٣٠ ـ الخطبة الثانية بعد المائة:

«اما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمّداً ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوة ولا وحياً.. وأيم الله لقد كنت في ساقتها حتىٰ تولّت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفتُ ولا جبنتُ ولا خنتُ ولا وهنت، وأيم الله لأبقرنّ الباطل حتىٰ أخرج الحق من خاصرته».

٣١ ـ الخطبة الثالثة بعد المائة:

«حتى بعث الله محمداً ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ شهيداً وبشيراً ونذيراً خير البرية طفلاً وأنجبها كهلاً اطهر المطهرين شيمة وأجود المستمطرين ديمة».

٣٢ـ الخطبة الرابعة بعد المائة:

«انه ليس على الامام الّا ما حُمِّل من أمر ربه، الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار السُهمان على أهلها. فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تُشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند اهله».

٣٣ـ الخطبة السادسة بعد المائة: في ذكر النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ

«اختاره من شجرة الانبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرّة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة.. ومن اين تؤتون، وانىٰ تؤفكون، فلكل اجلٍ كتاب، ولكل غيبة إياب، فاستمعوه من ربانِّيكم وأحضروه قلوبكم، الخ».

٣٤ـ ذيل الخطبة السابعة بعد المائة:

«نحن شجرة النبوة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم. ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة. وعدونا ومبغضنا ينتظرالسطوة».

٣٥ـ الخطبة الثانية عشرة بعد المائة:

«عباد الله ان تقوى الله حَمت اولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم فأخذوا الرّاحة بالنصب، والريَّ بالظّماء، واستقربوا الأجل. فبادروا العمل، وكذّبوا الامل، فلاحظوا الأُجل».

٣٦ـ الخطبة الرابعة عشرة بعد المائة:

«ارسله داعياً الى الحقّ وشاهداً على الخلق فبلّغ رسالات ربه غير وانٍ ولا مقصّر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذّر إمام من اتّقىٰ وبصر من اهتدى.

ولو تعلمون ما أعلم مما طوى عنكم غيبه اذاً لخرجتم الى الصّعدات تبكون على أعمالكم... امّا والله ليسلطنّ عليكم غلام ثقيف الذيّال الميّال، الخ».

٣٧ـ الخطبة السابعة عشرة بعد المائة (الامام هو القطب)

«وإنّما أنا قطب الرحى تدور عليّ وأنا بمكاني فاذا فارقته استحار مـدارهـا واضطرب ثفالها».

٣٨ـ الخطبة الثامنة عشرة بعد المائة:

«تالله لقد عُلِّمْتُ تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الامر، الخ».

٣٩ـ الخطبة التاسعة عشرة بعد المائة:

«أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه ـ الى قوله ـ عليه السلام ـ أولئك إخواني الذّاهبون».

٤٠ ـ الخطبة الثالثة والعشرون بعد المائة:

«وهذا القرآن انّما هو خط مسطور بين الدّفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان. انما ينطق عنه الرجال.. الخ»

٤١ ـ الخطبة السادسة والعشرون بعد المائة:

«كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ... فقال له بعض أصحابه: اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟ وقال للرجل... ليس هو بـعلم غـيب وإنما هو تعلّم من ذي علم... وما سوىٰ ذلك فعلم علّمه الله نبيّه ودعا لي بأن يعيَه صدري وتضطمّ عليه جوانحي».

٤٢ ـ التاسعة والعشرون بعد المائة:

«اللهم إنك قد تعلم إنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنردّ المعالم من دينك .. الخ».

٤٣ ـ ذيل الخطبة السادسة والثلاثين بعد المائة:

«فالزموا السنن القائمة والآثار البيّنة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة».

٤٤ ـ الخطبة الثانية والأربعون بعد المائة:

«أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم أدخلنا وأخرجهم بنا يستعطىٰ الهدىٰ ويستجلىٰ العمىٰ إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم».

٤٥ ـ الخطبة السادسة والاربعون بعد المائة:

«كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فابى الله الّا اخفاءه هيهات علمٌ مخزون... وانما كنت جاراً جاوركم بدني اياماً... غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلوّ مكاني وقيام غيري مقامي».

٤٦ ـ الخطبة الثامنة والاربعون بعد المائة:

«ألا ومن أدركها منّا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين، الخ».

٤٧ ـ الخطبة الخمسون بعد المائة:

«قد طلع طالعٌ ولمَع لامع... انما الأئمة قوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الّا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النّار الا من انكرهم وانكروه، الخ».

٤٨ ـ الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة:

«نحن الشعار والأصحاب والخَزَنة والأبواب ولا تؤتىٰ البيوت إلّا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً... فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن إن نطقوا صدقوا... واعلم انّ لكلِّ ظاهر باطناً على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه... واعلم ان كل عمل نبات وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرّت ثمرته».

٤٩ ـ الخطبة الرابعة والخمسون بعد المائة:

«فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها لها؟ فقال: يا علي إنّ امتي ستفتن من بعدي. فقلت يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشقَّ ذلك علي فقلت لي أبشر فان الشهادة من ورائك فقال لي: ان ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً؟ فقلت يا رسول الله: ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر».

٥٠ ـ الخطبة السادسة والخمسون بعد المائة:

«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه ألا ان فيه علم ما يأتي، الخ».

٥١ ـ الخطبة التاسعة والخمسون بعد المائة:

«ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجليّ... أسْرَتُه خير أسرة وشجرته خير شجرة. أغصانها معتدلة وثمارها متهدّلة».

٥٢ ـ الخطبة الثالثة والسبعون بعد المائة:

«والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، الخ».

٥٣ ـ الخطبة الرابعة والسبعون بعد المائة:

«وان لكم علماً فاهتدوا بعلمكم... انا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم، الخ».

٥٤ ـ الخطبة السابعة والسبعون بعد المائة:

«وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى، قال وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان» .

٥٥ ـ الخطبة الثمانون بعد المائة:

«لكان ذلك سليمان بن داود عليهما السلام الّذي سخّر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة... لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل».

٥٦ ـ الخطبة السابعة والثمانين بعد المائة:

«لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجة في الأرض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر... ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة. أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها».

٥٧ ـ ذيل الخطبة الثامنة والثمانون بعد المائة:

«فإنه من مات منكم على فراشه وهوعلى معرفة حقّ ربّه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عـمله وقامت النيّة مقام إصلاته بسيفه».

٥٨ ـ الخطبة التسعون بعد المائة (القاصعة):

«ولو رخص الله فيالكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصة انبيائه وأوليـائه ولكنه سبحانه كرّه اليهم التّكابر ورضي لهم التواضع فألصقوا بالارض خدودهم وعفّروا في التراب وجوههم وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين... ولو أراد الله سبحانه بانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارض لفعل... وقد علمتم موضعي من رسول الله... ولقد كان يجاور في كلّ سنة بِحراء فأراه ولا يراه غيري... أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحـي عليه (صلّىٰ الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا انك لست بنبيّ ولكـنك وزيروانك لعلىٰ خير».

«ولقد كنت معه صلّى الله عليه وآله... قال ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله والذي بعثه بالحق وجاءت ولها دويّ شديد... واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم... قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل».

٥٩ ـ الخطبة الخامسة والتسعون بعد المائة:

«ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ ولقد قُبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفّي فامررتها على وجهي ولقد وُلّيت غسله ـ صلى الله عليه وآله ـ والملائكة أعواني... فمن ذا أحق به مني حيّاً وميّتاً فانفذوا على بصائركم، الخ».

٦٠ ـ الخطبة الثانية والعشرون بعد المائتين:

«فقلت أصلة ام زكاة ام صدقة، فذلك محرم علينا اهل البيت».

٦١ ـ الخطبة السابعة والثلاثون بعد المائتين:

«يذكر فيها آل محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ «هم عيش العلم... هم دعائم الاسلام، الخ».

٦٢ ـ الكتاب الأول:

«وقامت الفتنة على القطب فأسرِعوا إلى أميركم».

٦٣ ـ الكتاب الثاني والثلاثون:

«والله ما فجأني من الموت واردٌ كرهته ولا طالع أنكرته وما كنت الّا كقارب ورد وطالب وَجد، وماعند الله خير للابرار».

٦٤ ـ الكتاب الخامس والعشرون:

«ثم تقول عباد الله أرسلني اليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدّوه الى وليّه».

٦٥ ـ الكتاب الثامن والعشرون:

«فإنّا صنائع ربّنا والناس بعدُ صنائع لنا».

٦٦ ـ الكتاب الخامس والأربعون:

«الا وان لكل مأموم اماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وانّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه. ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد. وانا من رسول الله كالصّنو من الصّنو والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها».

٦٧ ـ الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائة:

«إنّ الدّنيا دار صدق لمن صدّقها... مسجد أحبّاء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله».

٦٨ ـ الحكمة السابعة والاربعون بعد المائة:

«يا كميل انّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها... النّاس ثلاثة:فعالمٌ رباني ومتعلّم على سبل نجاة وهمجٌ رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق... ها إنّ هٰهنا لعلماً جمّاً وأشار الى صدره...».

«اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلّاتبطل حجج الله وبيّناته وكم ذا وأين اولئك؟ اولئك والله الأقلّون عدداً والأعظمون قدراًيحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتى يودعوهانظراءهم ويزرعوها فيقلوب أشباهم. هجَمبهم العلمُ على حقيقة البصيرة وباشروا روحاليقين واستلانوا مااستوعره المترَفون وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدّنيا

بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه. آه، آه، شوقاً الى رؤيتهم».

٦٩ ـ الحكمة الخامسة عشرة بعد الاربعمائة:

«الدّنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ ان الله تعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه».

٧٠ ـ الحكمة الثانية والثلاثون بعد الاربعمائة:

«إنّ اولياءالله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا عنها ما علموا أنه سيتركهم ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ودركهم لها فوتاً، اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون ولا مخوفاً فوق ما يخافون».

٧١ ـ الحكمة التاسعة بعد المائة:

«نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي».

هذه كانت من جملة كلمات الامام علي ـ عليه السلام ـ في مواضع من نهج البلاغة في وصف أولياء الله والانسان الكامل أعم من النبي والرسول والوصيّ والولي والتي يمكن تقسيمها الى خمسة اقسام على اعتبار والى اكثر على اعتبارات اخرى:

١ ـ في وصف الانسان الكامل والسفراء والحجج والخلفاء الهيين وأن الارض لا تخلو لله من حجة.

٢ ـ في أوصاف النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ الخاصة.

٣ ـ في أوصاف آل النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ الخاصة.

٤ ـ في أوصافه هو ـ عليه السلام ـ .

٥ ـ الدقائق والنكات اللطيفة التي تُستفاد من بعض عباراته واشاراته.

أما القسم الاول:

ان الانسان الكامل هو عبدالله وعند الله وصاحب مرتبة الولاية أعني ولي الله، وقلبه أوعىٰ القلوب وأوسعها، وهو قطب عالم الامكان، وحجة الله وخليفته والراسخ في العلم، وخازن ومنبع العلم اللدني، وينبوع الحكم، وزارع القلوب، ومثير دقائق العقول، والمأمون وأمين الله، والمتصرف في الكائنات، ومسخر الجن والانس والوحوش والطيور، وفي الوقت ذاته الزاهد في الدنيا، والشجاع، وفي مرتبة اليقين، وعلى الطريق الواضح والصراط المستقيم ومسير العدل في الافق الانساني الأعلىٰ، وهو العالم الرباني ومن لا تخلو الارض من مثله و... الخ.

أما القسم الثاني

فهو تمام النبوة، خاتم النبيين، الرسول، خيرالبرية، الداعي الشاهد، البشير، النذير، والسراج ... الخ

اما القسم الثالث:

فهم: آل النبي اي العترة، واهل بيته الذين اعتبرهم موضع القرآن، وناطقي القرآن، ومقيمي الدين، وشجرة النبوة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، والشعار، والأصحاب، والخزنة، والأبواب، وكنوز الرحمن، وقوّام الله على خلقه، والأغصان المعتدلة لشجرة النبوة، وعرفاء الله

على عباده، وأفضل عترة وأسرة، وعيش العلم، وموت الجهل، ودعائم الاسلام، ومعرفتهم توجب دخول الجنّة، ونكرائهم يُوجب ورود النار، واعتبر الهجرة منحصرة بمعرفةالحجة.

«وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا و... و... و...».

أما القسم الرابع:

القطب، الوصيّ،الوارث، الامام، أول من أسلم وآمن، ولي الله، خليفة الله، ترجمان القرآن، ناطق القرآن، مخاطب النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ.

«تسمع ما اسمع وترى ما ارى»،«ينحدر عنّي السيل ولا يرقى الى الطير»، «سلوني قبل ان تفقدوني»، «لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم»، «أنا من رسول الله كالصّنو من الصّنو والذراع من العضد»، «وإنّي لعلى بيّنة من ربّي» و... و... و.

أما القسم الخامس:

كقوله: **«وخلّف فيكم ما خلّفت الانبياء في اممها»** واعتبر آل النبي جبال الدين وقال: **«فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن»** ووصف القرآن بالثقل الاكبر واهل البيت بالأصغر، وفي شجرة النبوة قال: **«لها فروع طوال وثمرة لا تُنال».**

وفي وصف نفسه الشريفة قال:

«فاستمعوه من ربانيّكم».

«وانما كنت جاراً جاوركم بدني»، «إنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله»، «كل عمل نبات»، «أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم»، «لقد سالت نفسه في كفّي».

«هم عيش العلم وموت الجهل»، «إنّا صنايع ربنا والناس بعد صنائع لنا»، «ان

هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»، «يزرعوها في قلوب أشباههم» و...و...و.

وكل واحدة من هذه الأقسام تتطلّب بحثاً مستقلاً، لكننا سنشير إليها في هذه الرسالة على نحو الايجاز، على أمل أن تتوفّر الفرصة المناسبة في المستقبل لنتعرض لها بالتفصيل، لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً.

يتفق العقل والنقل على أن النشأة الطبيعية لا تخلو أبداً من الانسان الكامل المكمل وكلاهما (اي العقل والنقل) لسان حاله: «**الامام أصله قائم ونسله دائم كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها**».

وهذه سنة الله في النظام الرباني والعالم التكويني ﴿ **فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً** ﴾.

إمام الزمان في العصر المحمدي

ان امام الزمان في العصر المحمدي هو الانسان الكامل الذي يحوز ميراث خاتم النبوة بالنحو الأتمّ باستثناء النبوة التشريعية والمناصب التي يستأثر بها النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ وهذا الامام موجود بالجسد الطبيعي وفي العالم الطبيعي وسلسلة الزمان، كما يُشعر بذلك لقب «صاحب الزمان» وان كانت احكام نفسه الكلية الطبعية قاهرة ومسلطة على أحكام جسده الطبيعي، والنشأةُ العنصريةُ مقهورةٌ لروحه المجرّدة الكلية، ويعبَّر عنه بالقائم، وحجة الله، وخليفته، وقطب عالم الامكان، وواسطة الفيض، وعناوين اخرىٰ كثيرة.

مثل هذا الشخص في هذا الزمان هو سر آل محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ الامام المهدي الهادي الفاطمي الهاشمي ابو القاسم م ح م د نعم الخلف الصالح والجوهرة الوحيدة للامام الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ «**ان هذا لهو حق اليقين الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله**».

لزوم وجود نوعين من البحث على وجوب وجود الحجة القائم:

هنا لا بد من نوعين للبحث؛ الأول: كلّي، والآخر شخصي. والمتصور من الكلي هو قيام البراهين القطعية والعقلية على وجوب وجود حجة قائم بشكل دائم وشهادتها على امتناع خلوّ عالم الامكان من لزوم مثل هذه الواسطة للفيض الالهي «**الامام أصله قائم ونسله دائم**».

والمقصود من الشخصي أو الجزئي هو أن هذا البرهان ليس معرّفاً للفرد اي الجزئي؛ لانه لا كاسب ولا مكتسب؛ لهذا لا بد من معرفة ذلك من طريق آخر، كما ان الاحاديث المتظافرة بل المتواترة من اهل البيت ـ عليهم السلام ـ تنهض بتعريفه (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

نعم؛ الحق لو أن الانسان كان قاصراً عن إقامة أو إدراك البرهان علىٰ وجوب مثل هذا الانسان فإن الاحاديث المروية عن الفريقين والكاشفة عن اسرار وبطون وتأويلات آيات القرآن الكريم كافية في اثبات هذا المدعىٰ، بل ان كاتب هذه السطور يعتقد اعتقاداً راسخاً ... بأن كتب السنّة وصحاحهم ذاتها حجة بالغة علىٰ هذا السر الالهي. ونحن بحمد الله زدنا مع الايمان بالاخبار برهانا.

ان كثرة الكتب والرسائل لأعاظم علماء الفريقين وتظافر وتواتر احاديث كتبهم بشأن صاحب الأمر والزمان، ـ وإضافة على الاصول والبراهين العلمية في معرفة اسرار ومقامات ودرجات النفس الناطقة الانسانية ـ هي من الدرجة بحيث أرىٰ ان البحث في اثبات وجوب وغيبة وقيام وظهور ذلك الامام، كالحديث في اثبات وجود الشمس في رابعة النهار.

والخلاصة ان بحث الامامة يعادل بحث النبوة، فكما انه اول ما يبحث في النبوة هو النبوة العامة التي يجب ان تقوم على البراهين العقلية التي ترىٰ وجوب وجود الواسطة للفيض الالهي، ثم تبحث عن النبوة الخاصة، وان الشخص المعيّن هو النبي بدليل المعجزات القولية والعملية والدلائل الاخرىٰ التي تشير الى صدقه؛ فكذلك هو الأمر في بحث الامامة العامة والإمامة الخاصّة. فتبصر.

وأما الابواب:

الباب الأول: خصائص الولاية

مثل هذا الانسان هو ولي الله «**ولهم خصائص حق الولاية**»[1]

الولي من اسماء الله ﴿**وينشر رحمتهُ وهو الوليّ الحميد**﴾[2]. ولما كانت أسماء الله باقية ودائمة ﴿**فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة**﴾[3] لذا كان الإنسان الكامل هو المظهر الأتم والاكمل لهذا الاسم الشريف، اي (صاحب الولاية الكلية) ليستطيع ـ باذن الله ـ التصرف في مادّة الكائنات وتسخير القوىٰ الارضية والسماوية، ويكون كلُّ محالٍ عنده ممكناً «**لولا اشتغال النفس بتدبير قواها الطبيعية وانفصالها عنها لكان لها اقتدار على انشاء الاجرام العظيمة المقدار، الكثيرة العدد فضلاً عن التصرف فيها بالتدبير والتحريك اياها كما وقع لأصحاب الرياضات، وقد جرّبوا من انفسهم اموراً عظيمةً وهم بعد في هذه النشأة فما يكون شأنه هذا الشأن فكيف يكون محصوراً في بدن صغير مظلم مركب من الاخلاط معرض للعلل والامراض**»[4].

---

(١) نهج البلاغة: ذيل الخطبة الثانية.

(٢) الشورى: ٢٩.

(٣) يوسف: ١٠٢.

(٤) مفتاح الغيب ص ٦٢٧.

وسلطان هذا البحث تجده في الباب ٣٦١ من الفتوحات المكية وفصّ الاسحاقي من «فصوص الحكم». ففي الفتوحات المكية مثل هذا الانسان هو صاحب المقام الجمعي والخلافة الالهية وحائز رتبة «كن» كما تنبغي، ثم أوضح بقوله:

«ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطى كن سوى الانسان خاصة فظهر ذلك في وقت في النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ في غزوة تبوك فقال كن أبا ذر، فكان هو أبا ذر».

«وورد في الخبر في أهل الجنة: ان الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن عليهم في الدخول فإذا دخل ناولهم كتابا من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله وإذا في الكتاب لكل انسان يخاطب به من الحيّ القيوم الّذي لا يموت إلى الحيّ القيّوم الذي لا يموت أما بعد فاني اقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون، فقال ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: فلا يقول أحد من أهل الجنّة لشيء كن إلّا ويكون؛ فجاء بشيء وهو من أنكر النكرات فعمّ الخ».

العارف يخلق بهمّته

وفي فص الاسحاقي أيضاً في بيان هذا المقام الشامخ للانسان كلام في غاية الجودة هو:

«بالوهم يخلق كلّ انسان في قوّة خياله ما لا وجود له إلّا فيها وهذا هو الأمر العامّ، والعارف يخلق بهمّته ما يكون له وجود من خارج محلّ الهمّة، ولكن لا تزال الهمّة تحفظه ولا يؤدها حفظه اي حفظ ما خلقته، فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق؛ إلّا أن يكون العارف قد ضبط جميع

الحضرات وهو لا يغفل مطلقاً، بل لا بدّ له من حضرة يشهدها فإذا خلق العارف بهمّته ما خلق وله هذه الإحاطة ظهر ذلك الخلق بصورته في كلّ حضرة وصارت الصّور يحفظ بعضها بعضاً. فاذا غفل العارف عن حضرة ما أو حضرات وهو شاهد حضرة ما من الحضرات، حافظ لما فيها من صورة خلقه انحفظت جميع الصور بحفظه تلك الصّورة الواحدة في الحضرة التي ما غفل عنها لأن الغفلة ما تعمّ قطّ لا في العموم ولا في الخصوص، وقد أوضحت هنا سرّاً لم يزل أهل الله يغارون على مثل هذا أن يظهر، الخ».

وبما ان كلام صاحب الفصوص كان في عالم المثال، وهو مقيد ومطلق، والمقيد عبارة عن الخيال الانساني؛ والخيال يتأثر بالعقول السماوية والنفوس الناطقة التي تدرك المعاني الكلية والجزئية، اذن يظهر ان الخيال قد يتأثر بالقوىٰ الوهمية التي تدرك المعاني الجزئية وكفىٰ.

اذن فالصورة المناسبة للخيال هي المعاني الجزئية، وهذا الأخير بسبب سوء مزاج الدماغ أحياناً، وحسب توجّه النفس الى القوىٰ الوهمية أحياناً، قد يتوجه نحو ايجاد صورة من الصور،كمن يتخيل صورة محبوبه الغائب تخيّلاً قوياً. ولا شك تظهر صورة المحبوب في خياله ليشاهد محبوبه وهذا أمر عامّ يقدرعليه العارف بالحقائق من الخواص ويقدرعليه غيره بالحقائق من العوام.

لقد ذكر الشيخ (صاحب الفصوص) هذا المعنىٰ في هذا المقام ونبّه الى أن العارف ينشئ بهمته (ويقصد قوته الروحانية) صوراً خارجةً عن الخيال مما هو موجود في الأعيان الخارجية، كما هو مشهور عند الابدال أنّهم يحضرون في مناطق مختلفة فيآن واحد، ويقومون بقضاء حوائج عباد الله، اذن فالمراد من العارف هنا هو الكامل المتصرف في الوجود لا عارف الحقائق وصورها.

واحترز الشيخ بقوله **«ما يكون له وجود من خارج محل الهمة»** ما يكون من أصحاب (علم السيميا) و(الشعبذة)؛ لأن هؤلاء ايضاً يُظهرون من أخيلتهم صوراً موجودة في الخارج لكنها لا تخرج من محل الهمّة، والذي هو الخيال؛ لان تلك الصور موجودة في أخيلة الحاضرين، وان كان العارف المتمكن في التصرف يظهر في الشهادة والغيب صور الموجودات العينية والصور الروحانية إلّا أنه لا يجوز أن تنسب وتسند الخلق الى المخلوق بل عليك أن تعرف ـ بالتحقيق ـ أنّ الخالق ـ على الحقيقة ـ هو الحق في المقام التفصيلي كما هو خالقها في المقام الجمعي، لكن همّة العارف دوماً المحافظة على ذلك المخلوق [١]. ولا يؤده حفظه. اذن متى ما غفل العارف من حفظ مخلوقه، انعدم ذلك المخلوق لانعدام علته، الّا أن يكون العارف قد ضبط جميع حضراته أعني الحضرات الكليةالخمسة التي هي: عالم المعاني والاعيان الثابتة ـ عالم الارواح ـ عالم المثال ـ عالم الشهادة ـ وعالم الانسان الكامل الذي يجمع جميع هذه العوالم. وقد يكون المراد منها الحضرات العلوية ـ السماوية ـ السفلية ـ الارضية وغيرها من العناصر.

ولا يتصور طروء الغفلة على العارف أبداً بل لا معدل عن حضوره في حضرة من الحضرات، اذن لو أن العارف خلق بهمته وأحاطه بالحضرات ظهر ذلك المخلوق ـ على صورته في كل حضرة وان الصور لتحفظ بعضها بعضاً.

ولو غفل العارف عن حضرة او حضرات، لكنه شهد حضرةً منها واحتفظ ما

---

(١) هكذا ترجم الخوارزمي:«ولكن همّة العارف لا تزول عن المحافظة على ذلك المخلوق» ولكن رأينا أن لا تزال تعني (دوماً) و(أبداً) لذلك تصرفنا في العبارة، وقد قمنا بتصحيح هذا الكتاب أعني شرح الخوارزمي في دورة كاملة وبتفصيل وهو تحت الطبع وانه ـ بحمد الله ـ سيكون أثراً علمياً ثميناً (المؤلف).

يحتفظ به من صور خلقه في تلك الحضرة، فان جميع صور هذا المخلوق في الحضرات الاخرىٰ تقوم وتنهض بحفظ هذه الصورة التي حفظت في هذه الحضرة بواسطة عدم الغفلة عن المحافظة عليه.

لان ما يتحصل من الوجود الخارجي لا بد أن تكون له صورة في الحضرة العلمية ـ اولاً ـ ثم العقلية ثم اللوحية ثم السماوية ثم العنصرية ثم ما يتركب منها. ومن كانت همته ناظرة الى هذه الصور في حضرة من الحضرات العلوية، احتفظ بهذه الصورة في الحضرات السفلية، كما ان صورة الحضرات العلوية روحٌ للصور السفلية؛ واذا كان ناظراً بقيتْ هذه الصورة محفوظة له في الحضرات السفلية. وفي غير هذه الصورة ـ فكما ان المعلول يستلزم وجود علته ـ فان وجود الصورة دليل على وجود المعنىٰ، لأن الغفلة لا يمكنها أن تكون عامة أبداً لا في عموم الخلائق ـ ولا في خصوصه، لأنه لا معدل له عن أمر من الامور وكل أمر مظهر من مظاهر الأشياء الالهية؛ غاية ما في الباب أن العارف يعرف ان جميع الأمور مجالي (اي تجليات) ومظاهر الحق، وغير العارف لا يعرف هذا. ولا يمكن ان تكون الغفلة عامة بحيث لا يكون الانسان مشتغلاً بحضرة من حضرات الحق سبحانه، وقدقمت بإيضاح سرٍّ فيهذا المقام، وكان اهل الله يعزّون على اظهاره ويغارون عليه، وذلك هو سر إيجاد العبد بهمته هو،وحفظه في حالة عدم الغفلة.



الولاية التكوينية والتشريعية:

ومن أجل زيادة البصيرة حول الموضوع أعلاه لا بد من الاشارة الى الولاية التكوينية والتشريعية للتوضيح أكبر؛ فكما قلنا ان الولي من أسماء الله تعالى وان اسماء الله باقية ودائمة؛ لهذا فالانسان الكامل والذي هو المظهر الأتمّ والاكمل لهذا الاسم الشريف هو صاحب الولاية الكلية ويستطيع التصرف في مادّة الكائنات وتسخير القوىٰ الارضية والسماوية وإخضاعها تحت حكمه وتصرّفه فيكون حكمه وتصرفه في صورة هيولي عالم الطبيعة نافذاً وجاريا، وتستطيع الهيولا العنصرية (الطبيعية) حسب ارادته ان تخلع صورة وتلبس صورة جديدة مثل عصا موسىٰ(ع) التي خلعت صورتها الجمادية حسب ارادته وألبسها صورة حيوانية، حيث أخرجها على صورة ثعبان **﴿فألقىٰ عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾**[1].

وجميع المعاجز والكرامات وخوارق العادات هي من هذا القبيل، اذ اتخذت لنفسها صوراً بإرادة الكمّل ـ باذن الله تعالى ـ بحيث تكون العصا بيد موسى(ع) حية تسعىٰ باذن الله، فان الفعل والايجاد والتأثير في حقيقة الأمر هو من الله تعالى وان كانت العصا بيد موسىٰ وتسند اليه، فانهم ذلك. وأن اذن الله ليس أمراً

---

(١) الاعراف: ١٠٨.

قولياً بل هو الاذن التكويني المتفرع من الولاية الالهية الكلية المطلقة **﴿واذ تخلق من الطين كهيئة الطّير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتىٰ باذني﴾**(١).

في القرآن الكريم ينسب الله تعالى التسخير الى نفسه مطلقاً مهما كان من المظاهر في الظاهر **﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحنّ والطير ... ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها﴾**(٢).

ان هذه الولاية التي هي اقتدار النفس على التصرف في مادة الكائنات هي تكوينية لا تشريعية، لأن الولاية التشريعية مختصة بواجب الوجود الشارع المشرع الذي يقرر لعباده الشريعة والنظام، وليس لأحد سواه حق التشريع، وإلّا فهو ظالم **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾**(٣).

﴿شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً﴾(٤).

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾(٥).

ان الرسول مأمور بالانذار والتبشير والتبليغ المبين للاحكام وليس مشرّعاً **﴿إنّما انت منذر﴾**(٦) **﴿وما أرسلناك إلّا مبشراً ونذيراً﴾**(٧).

---

(١) المائدة: ١١١.
(٢) الانبياء: ٧٩ ـ ٨١.
(٣) الجاثية: ١٩.
(٤) الشورىٰ: ١٣.
(٥) الشورىٰ: ٢٢.
(٦) الرعد: ٨.
(٧) الاسراء: ١٠٦.

الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي في الباب ٣١٨ من الفتوحات المكية وفي ان التشريع من مختصات واجب الوجود؛ يقول:

«إنّا روينا في هذا الباب «عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما **انّ رجلاً أصاب من عرضه فجاء اليه يستحلّه من ذلك فقال له يا ابن عباس إنّي قد نلت منك فاجعلني في حلّ من ذلك. فقال: اعوذ بالله أن احل ما حرّم الله. ان الله قد حرّم أعراض المسلمين فلا أحلها ولكن غفر الله لك» فانظر ما أعجب هذا التصريف وما أحسن العلم. ومن هذا الباب حلف الانسان على ما ابيح له فعله أن لا يفعله أو يفعله ففرض الله تحلّة الأيمان وهو من باب الاستدراج والمكر الالهي إلّا لمن عصمه الله بالتنبيه عليه. فما ثمّ شارع إلّا الله تعالى، قال لنبيّه** ـ صلى الله عليه وآله ـ **«لتحكم بين النّاس بما أراك الله» ولم يقل له رأيت بل عتبه سبحانه وتعالى لما حرم على نفسه باليمين في قضية عائشة وحفصة فقال تعالى «يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك» فكان هذا ممّا أرته نفسه، فهذا يدلّك ان قوله تعالى «بما أراك الله» أنه ما يوحى به اليه لا ما يراه في رأيه فلو كان هذا الدين بالرّأي لكان رأي النبي** ـ صلى الله عليه وآله ـ **أولى من رأي كلّ ذي رأي. فاذا كان هذا حال النبي** ـ صلى الله عليه وآله ـ **في ما رأته نفسه فكيف رأي من ليس بمعصوم، ومنالخطاء أقرب اليه من الإصابة؟ فدلّ أنّ الاجتهاد الذي ذكره رسول الله** ـ صلى الله عليه وآله ـ **انّما هو في طلب الدّليل على تغيير الحكم في المسألة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة فإن ذلك شرع لم ياذن به الله.**

ولقد أخبرني القاضي الاسدي الاسكندري بمكة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة قال: رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام فسألته: ما رأيت؟ فذكر اشياء منها قال: ولقد رأيت كتباً موضوعة وكتباً مرفوعة فسألت: ما

هذه الكتب المرفوعة؟ فقيل لي : هذه كتب الحديث، فقلت: وما هذه الكتب الموضوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الرأي حتى يُسأل عنها أصحابها فرأيت الأمر فيه شدّة».

ان الشيخ العارف اضافة الى كونه افاد إفادة جديرة بالانتباه في مقولته التحقيقية في بيان الشارع المشرع، فهو قد ذكر ايضاً موضوعاً مهماً آخر من الأصول الاسلامية الاصيلة وهو بطلان القياس والاعتماد على الرأي في دين الله، فان ذلك يعتبر تشريعاً في مقابل الشرع الالهي وهو غير جائز وكم كان كلامه حسناً حين قال.

«فلو كان هذا الدين بالرأي لكان رأي النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ أولىٰ من رأي من ليس بمعصوم».

ويقول في باب آخر من الفتوحات:

«لا يجوز أن يدان الله بالرأي وهو القول بغير حجّة وبرهان من كتاب ولا سنة ولا إجماع، وأما القياس فلا أقول به ولا اقلد فيه جملة واحدة فما أوجب الله علينا الأخذ بقول أحد غير رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ».

ان كلام ابن عربي في هذا المجال يتّفق مع مذهب الامامية، والكلمات التي تدل على كونه اثنا عشرياً كثيرة في كتبه ورسائله، ومن جملة الدلائل التي احتُج بها على كونه شيعياً هو هذا الكلام نفسه الذي اورده في بطلان القياس والتفسير بالرأي والذي نقلناه اعلاه.

ان علماء السنّة يعدّون دليل القياس في إجراء الاحكام الشرعية برهاناً مستقلاً في مقابل الكتاب والسنّة والاجماع، ويعتبرون العمل بما يقتضيه متبّعاً. ولما كان الشيخ مخالفاً لعقيدة علماء الجماعة فقد انكر هذا المعنىٰ انكاراً بليغاً

وقال: «**فلو كان هذا الدين بالرأي لكان رأي النبي** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **أولىٰ من رأي من ليس بمعصوم**».

وقد بحثنا في رسالتنا (**الامامة**) في الجزء الثاني من (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) موضوع النهي عن العمل بالقياس، ونقلنا روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) واستفدنا كذلك من بعض المطالب العقلية في المقام[١].

واعلم كما انه لا يحق لأحد أن يشرع سوىٰ الله سبحانه فكذلك لا يحق لأحد سواه ان يعيّن الامام الذي هو خليفة الله؛ وكما قال: ﴿**اني جاعل في الأرض خليفة**﴾[٢].

هذه الآية الكريمة تناظر الآية الكريمة ﴿**اني خالق بشراً من طين**﴾[٣].

فالآية الاولىٰ تدل على ان ذات الحق جاعلة ذلك فقط كما ان الاية الثانية دالة على ان ذات الحق فقط خالقة كذلك، فكلمة (إنّي) في الآية موضع للتأمل كما هي كذلك في الآية التالية وكذا المضاف والمضاف اليه في كلمة عهدي ﴿**واذ ابتلىٰ ابراهيم ربُّه بكلمات فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[٤] واعلم ـ كذلك ـ ان الولاية هي من اختصاصات الرسالة والنبوة حسب الرتبة الاعلى والارفع، لأن الولاية هي باطن النبوة والرسالة، وان نيلها والوصول إليها مستنده الى الولاية ومبني عليها.

وليس المقصود من هذا الكلام ان الولي مطلقاً هو أعلىٰ من الرسول والنبي، بل إن المراد ان ولاية الرسول اعلىٰ من رسالته، وكذلك ولاية النبي أعلىٰ من

---

(١) تكملة منهاج البراعة ج٢ ص٩٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) سورة ص: ٧٢.

(٤) البقرة: ١٢٠.

نبوته؛ لان الولي متبوع فمثلاً ان النبي الاكرم صاحب الولاية أفضل من تابعيه؛ لان المفضول غير متبوع والافضل غير تابع، وان كان شخصاً واحداً كالنبي فهو من حيث كونه ولياً افضل من حيث هو نبي؛لان الولي التابع أفضل منه؛ فافهم.

ان لولاية النبي جنبة حقانيّة واشتغالاً بالحق تعالىٰ وان لنبوة النبي وجهة خلقية (الخلق بمعنىٰ العباد) لان توجه النبي في النبوة الى خلق الله ولا شك ان الأول أشرف لانه أبديّ خلافاً للثاني فهو منقطع.

ان الرسول والنبي ليسا من اسماء الله، أما الولي فهو من أسمائه، لهذا فالولاية لا تنقطع؛ خلافاً للرسالة والنبوة، ففي سورة يوسف(ع): **﴿فاطر السموات والارض انت وليىّ في الدنيا والآخرة﴾**[1].

وحكم الله تعالى القطعي هو: **﴿ماعندكم ينفد وما عند الله باق﴾**[2].

اذن لما كانت الرسالة والنبوة من الصفات الكونية الزمانية فهما ينقطعان بزمن النبوة والرسالة خلافاً للولاية التي هي من الصفات الالهية؛ وقد قال الله سبحانه يصف نفسه **﴿وهو الولي الحيمد﴾**[3].

اذن فان القرآن الفرقان لوحده كافٍ لاثبات وجوب وجود الانسان الكامل الولي على الدوام في نشأة العناصر، وان الروايات والصحف العليمة تعضد ذلك، بل هي من بطنانه.

يقول المرحوم الحكيم السبزواري: «ولما كان الولي من اسماء الله فهو يتطلب المظهر دوماً، اذن فانقطاع الولاية لا يجوز، وان اولياء الله موجودون في

(١) يوسف: ١٠٤.
(٢) النحل: ٩٩.
(٣) الشورىٰ: ٢٩.

العالم ابداً بخلاف النبي والرسول الاسمين الخلْقيين فان انقطاعهم جائز»[١].

وبعد التدبر في معنىٰ الولي والنبي والرسول يظهر ان معنىٰ النبوة والرسالة اسم ظاهر يتعلق احكامهما بالتحلية اما معنىٰ الولاية فهو اسم باطن وهو يفيد التجلية، ولكلٍ علامةٌ؛ وعلامةُ السفراءالالهيين الولاية. ولما كانت الولاية تشمل الرسالة والنبوة التشريعية والنبوة العامة غير التشريعية، لذا فقد عبّر عنها بالفلك المحيط العام كما في فصّ العزيري العزيز من فصوص الحكم:

«واعلم أنّ الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم ينقطع، ولها الانباء العام، وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة وفي محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **قد انقطعت فلا نبي بعده مشرّعاً أومشرعاً له ولا رسول وهو المشرع».**

ان المشرّع بالهيئة الفاعلية هو النبي صاحب الشريعة كموسىٰ وعيسىٰ ومحمد (صلوت الله عليهم) والمشرّع له بالهيئة المعفولية هو ذلك النبي الذي ليس صاحب شريعة لكنه داخل وتابع لشريعة نبي مشرّع كأنبياء بني اسرائيل التابعين لشريعة موسىٰ ، يقول القيصري:

«وإنما أُطلق اسم الفلك على الولاية لأنها حقيقة محيطة لكل من يتّصف بالنبوة والرسالة والولاية كإحاطة الافلاك لما تحتها من الأجسام، ولكون الولاية عامة شاملة على الانبياء والاولياء لم ينقطع اي ما دام الدنيا باقية، وعندانقطاعها ينتقل الأمر الى الآخرة».

يعبّر في اصطلاح اهل الولاية عن النبوة غير التشريعية بالنبوة العامة تارة وبالنبوة المقامية تارة اخرىٰ وبنبوة التعريف أحياناً؛ مقابل النبوة التشريعية، ففي النبوة العامة الإنباء والإخبار بالمعارف والحقائق الالهية اي ان الولي يطلع في

---

(١) مثنوي، الطبعة الحجرية ص١٨٢.

مقام الفناء في الله تعالىٰ على الحقائق والمعارف ثم يقوم بدوره بالإطْلاع والإخبار عن تلك الحقائق. ولما كان هذا للأولياء ولا يختص بالنبي او الرسول التشريعي، فقدعبّر عنه في لسان أهل الولاية بالنبوة العامة وأسماء اخرىٰ ايضاً.

في باب فضائل الخضر(ع) من كتاب الفضائل في صحيح مسلم[1] باسناد عن سعيد بن جبير روىٰ:

«حتىٰ اتيا[2] الصخرة فرأى رجلاً مسجّى عليه ثوب فسلّم عليه موسى فقال له الخضر انّي بأرضك السلام قال: انا موسى. قال: موسى نبي اسرائيل قال: نعم، قال: إنّك على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه، قال له موسى عليه السلام: هل اتبعك على أن تعلّمني مما عملت رشداً، الحديث.

وفي هذا الباب نفسه قول الخضر(ع) الذي ورد في صحف اهل التوحيد من ان النبي من حيث النبوة التعريفية (اي من حيث كونه) وليّاًيقوم بالإنباء عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله سبحانه، ومن حيث النبوة التشريعية يقوم بتبليغ الاحكام. والتأديب بالاخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة.

ان النبوة المقامية في الحقيقة هي في نيل الولاية، فالانبياء لكونهم المظاهر التامّة للولاية المطلقة وسائر الفيوضات الالهية، صاروا قبلةً للناسِ وانجذَب الناسُ إليهم. فهم في القمّة الشامخة للمعرفة يَدعونهم الى الأعلىٰ ويقولونَ لهم: تعالَوا اي ارتقوا الينا. وحاشا لدعوةِ تلكالارواح الطاهرة والافواه العاطرة ان

---

(١) ج٧ ط بيروت ص ١٠٤.

(٢) اي موسى ويوشع -عليهما السلام-.

تكون لغواً أو سخرية أو استهزاءً أو هزلاً. يقول تعالى:

«قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»[١].

اذن لو أن سعيداً لبّىٰ نداءَهم حقيقةً لا مجازاً، إستطاع أن يرتقي على قدر همته إلى مقامات منيعةٍ ودرجات رفيعة، وينال قرب النوافل بل قرب الفرائض، وإن كان لا يصل الى فضل رتبة النبوة والرسالة والإمامة التشريعية وهذه هي الولاية التكوينية التي ينبغي تحصيلها على مائدة الرحمة الرحيمية. يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم في قصة موسى(ع):

«ولما بلغ أشدّه واستوى أتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين»[٢].

ومن هذه الآية الكريمة ونظائرها في القرآن الكريم تتميز النبوة التشريعية عن النبوة المقامية كما ان مفاد ﴿**وكذلك نجزي المحسنين**﴾ في سياق الآية هو أن الانسان الواصل والنازل الى منزل الاحسان يبلغ المشرب الموسوي أو النبوة المقامية في اصطلاح اهل التوحيد، وإن كان لا يبلغ المنصب الموسوي اي فضل النبوة التشريعية.

لا يصير العبد رباً بالعبادة، لكنه قد يبلغ رتبة كليم الرب[٣].

ومنزل الاحسان هو مقام المشاهدة والكشف والعيان وله مراتب أولها **«ان الله كتب الاحسان على كل شيء»** وبعده **«الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه»** والذي هو التعليم والخطاب لأهل الحجاب لينتهي بالتالي رفع (كأنّ) لتصبح **«لم أعبد رباً لم أره»** لأنه **«والله في قبلة المصلي»**.

---

(١) البقرة: ٦٧.

(٢) القصص: ١٤

(٣) مضمون بيت شعر فارسي هذا نصه:

از عبادت نَمى توان الله شد *** ميتوان موسى كليم الله شد.

هنيئاً لمن هم دوماً في حالة الصلاة[١].

وأعلم أنّ كلّ ما قلناه في الولاية التشريعية والتكوينية يعودان في مقام توحيد الفعل الى ولاية واحدة «**لا اله إلّا الله وحده وحده وحده**» الذي هو توحيد الذات والصفات والافعال وليس تاكيداً لفظياً ﴿**اليه يرجع الأمر كله**﴾ ﴿**اليه ترجع الامور**﴾﴿**قل كل من عندالله**﴾﴿**ان الى ربك الرجعىٰ**﴾ ﴿**وإن الى ربك المنتهىٰ**﴾.

لذلك ورغم قوله تعالىٰ في آية ﴿**الله يتوفّىٰ الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾[٢]، قال ايضاً: ﴿**قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾[٣] فافهم.

واعلم كذلك ان الله تعالىٰ سمّىٰ نفسه ورسوله والمؤمنين في القرآن الكريم بـ«**الولي**» وان حقيقة الولاية هي رتق الولي وفتقه في الامور المولّىٰ عليها فيمسك عنها في بعض ويرسلها في بعض لتصل إلى كمال السعادة المطلوبة والمقدرة، وهذه هي الولاية الحقيقية المبتناة على حقيقة الملك وهي لله تعالى وحسب فهو المولىٰ الحقيقي فقط ﴿**الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور**﴾[٤].

ولما كان الله سبحانه منزَّهاً عن مجانسة مخلوقاته فقد نصب خلفاء ووكلاء وممثلين عنه لتربية المملوكين وعبيده.. ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[٥].

ولما كان من لوازم ولاية الحق تعالى على العباد هو أن يضحّوا له بأرواحهم

---

(١) خوشا آنان كه دائم در نمازند.

(٢) الزمر: ٤٣.

(٣) السجدة ١٢.

(٤) البقرة: ٢٥٨.

(٥) المائدة: ٦٢.

وأموالهم واولادهم لأن صدق وخلوص وحقيقة عبوديتهم إنما تظهر بأمثال هذه الامور التي هي من لوازم العبودية، فقدنصب خليفة وجعله ولياً لعبادة وفرض عليه طاعته **﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾**[١].

والولي والمؤمنون خلفاء الله تعالى في الولاية لا شركاؤه فيها «**سبحانه وتعالىٰ عن أن يكون له ولي من الذل**».

في صحف أهل الولاية اعتبروا الولي تارةً في مقام المحبوب وتارةً في مقام المحب. فالولي المحبوبي ولايته ليست كسبية، وهو صاحب نفس مكتفية وولايته أزلية ذاتية وهبية كما قال سيد الاولياء والاوصياء(ع) «**كنت ولياً وآدم بين الماء والطين**» اما الولي المحبي فولايته كسبية وعليه أن يحصّل الاتصاف بصفات الله والتخلق بالأخلاق حتى يكون ولياً.

تبصرة:

من المطالب المتقدمة في الولاية، وخاصة في بيان الاذن، نعلم سر قول أرباب البصيرة وأصحاب العقول ان «**بسملة العارف بمنزلة كن الباري تعالى**».

يقول الشيخ محي الدين بن عربي في رسالته الشريفة «**الدر المكنون والجوهر المصون في علم الحروف**»:

«**ومن فاته في هذا الفن سرّ بسم الله الرحمن الرحيم فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء الى قوله: واعلم ان منزلة بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة كن من الباري جلّ وعلا**».

كذلك عَنْون الشيخ هذا الموضوع في المجاورة (١٤٧) من الفتوحات المكية: «**ما تأويل قول بسم الله؟ الجواب: هو العبد الكامل في التكوين بمنزلة كن**

---

(١) الانفال: ٤٠.

للحق، الخ» وهذه النقطة في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ باب بحث «**العارف يخلق بهمته ما يكون له وجود من خارج محل الهمة**» في فص الاسحاقي من فصوص الحكم والمعنونة في بيان مقام «كن» في الباب **٣٦١** من الفتوحات المكية تنسجم مع النتائج العرفاتية في معارف المقامات الانسانية.

ان البحث المذكور باب الاسحاقي فيأول الوجود الذهني من الاسفار[١].

والبحث في مقام (كن) مقرر في الفصل ١١ الباب الثالث من الاسفار[٢] والله ولي التوفيق.

التمثيل في الولاية التكوينية:

إنّ واقعة الشجرة آخر الخطبة القاصعة في نهج البلاغة التي انقلعت من مكانها بأمر الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ لتنتصب أمامه، وجميع المعاجز والخوارق والكرامات من قبيل شقّ القمر والجبل والبحر، وقلع باب قلعة خيبر وغيرها، جميعها من الولاية التكوينية التي هي من تأثيرات النفوس المؤهّلة المؤيَّدة بروح القدس في الكائنات بإذن الله تعالى ففي الرسالة التي كتبها الامام علي ـ عليه السلام ـ الى سهل بن حنيف، قال:

«**والله ما قلعتُ باب خيبر ورَميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسديّة ولا حركة غذائيةٍ لكنّي أُيِّدْت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربّها مضيئة**».

هذا الحديث الشريف وهو من غررالاحاديث؛ مطابق لنقل الصدوق في

(١) ص ٦٥ ج ١ ط ١.

(٢) ص ٣٤ ج ٤ ط ١.

الأمالي [١] لكن عماد الدين الطبري وهو من اعلام القرن السادس الهجري رواه في كتاب «بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ» [٢] بالصورة التالية:

«والله ما قلعت باب خيبر وقذفت به اربعين ذراعاً لم تحسّ به اعضائي بقوة جسديّة ولا حركة غذائية ولكن أُيِّدْتُ بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة».

وقد قام الشيخ الرئيس ابن سينا في النمط العاشر من كتاب الاشارات بنقل الكلام المتقدم. قال:

«لما كان فرح العارف ببهجة الحق اعظم من فرح غيره بغيرها وكانت الحالة التي تعرض له وتحركه اعتزازاً بالحق أو حمية الهية أشدّ مما يكون لغيره، كان اقتداره على حركة لا يقدر غيره عليها أمراً ممكناً، ومن ذلك يتعيّن معنىٰ الكلام المنسوب الى عليّ ـ عليه السلام ـ:

والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعتها بقوّة ربّانية».

الانماط الثلاثة الأخيرة للاشارات:

النمط الثامن والتاسع والعاشر من الاشارات هو في الولاية التكوينية، وعلم الانسان الكامل، وكرامات الاولياء، وخرق العادات، ومعجزات الانبياء، وفي كثير من اسرار الآيات؛ وهي ثلاث رسائل مستقلة الاستدلال وقيّمة، وتعتبر من الذخائر والكنوز العلمية.

فضل النبوة ومقام الولاية

في الخطبة القاصعة وهي الخطبة الثامنة والخمسون من النهج يُخبر الامام

---

(١) أمالي الصدوق مجلس ٧٧ ص٣٠٧ ط ١ الحجرية.

(٢) بشارة المصطفىٰ ص ٢٣٥ ط النجف.

عن نفسه ويقول: «**أرىٰ نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة**».

كذلك جاء في الخطبة نفسها ان النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ قال:

«**إنك تسمع ما أسمع وترىٰ ما ارىٰ إلّا انك لست بنبي**».

ليس لعلي ـ عليه السلام ـ فضل النبوة إلّا أنه بنور الولاية يسمع ما يسمعه الرسول ويرىٰ ما يراه.

ينقل المسعودي في مروج الذهب ، عن السبط الاكبر لرسول ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **الإمام الحسن المجتبى** ـ عليه السلام ـ انه قال في وصف أبيه التحاقه بالرفيق الاعلىٰ:

«**والله لقد قُبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلّا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون الخ**».

وهذا يدلل على ان احداً من الانبياء أو الاوصياء أو الاولياء لم يتقدم علىٰ علي ـ عليه السلام ـ إلّا بفضل النبوة.

وروىٰ ثقة الاسلام الكليني في الحديث الخامس (باب الكون والمكان) عن كتاب التوحيد (اصول الكافي) ان حبراً من الأحبار سأل الامام ـ عليه السلام ـ:

«**افنبيّ أنت؟ فقال** ـ عليه السلام ـ **ويلك أنا عبد من عبيد محمد** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ»[1] بل ان البحراني في تفسيره (البرهان) للآية: ﴿**ولما جاء موسىٰ لميقاتنا وكلّمه ربّه**﴾[2] عن صادق آل محمد ـ عليهم السلام ـ قوله: «**وادنىٰ معرفة الامام أنه عدْل النبي إلّا درجة النبوة ووارثه وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسوله**»[3].

اذن فهذا الكلام الكامل لدوحة شجرة النبي الخاتم ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ مفتاح

(١) اصول الكافي المعرب: ج ١ ص ٧٥.
(٢) الاعراف: ١٤٤.
(٣) البرهان الطبعة الحجرية ج ١ ص ٣٦٧.

لفتح أبواب الحجة والامامة.

في الكافي والبحار والعوالم وغيرها من أنه قد لا يكون للولي فضل النبوة لكنه قد يكون حسب ولايته أعلم وأفضل من نبي.

بل ان المرحوم السيد المدني في (روضة السالكين في شرح صحيفة الساجدين) في شرح الدعاء (٤٧) من الصحيفة ينقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ رواية قال فيها:

«علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل» «انّ لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون»

وجاء في الباب ١٠١ (الإمامة) في البحار[1] في هذا الموضوع:

«إنهم ـ يعني الائمة (عليهم السلام) أعلم من الانبياء (عليهم السلام)».

وفي السؤال ١٤٦ باب **٧٣** من (الفتوحات المكية) حول الحديث الشريف **«ان لله عباداً ليس بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم الى الله تعالى»** عنْوَن الجواب على نهج النبوة التشريعية والمقامية، والذي سيتضح في البحث الآتي من الولاية. وقد روى حديث الغبطة في مسند (احمد بن حنبل) باسناده الى ابي مالك الاشعري وضمن عنوان حديث ابي مالك الاشعري عن الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ[2]

«ثم إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لمّا قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال: **يا ايها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا انّ لله عزّوجلّ عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله».**

فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده الى نبي الله ـ صلى الله عليه

---

(١) ص ٣٢٢، ج ٧، طبع كمپاني.

(٢) مسند احمد، ج ٥، ص ٣٤٣.

وآله ـ فقال يا نبيّ الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانـبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟! أنعتهم لنا ـ يعني صفهم لنا، فسرّ وجه رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: **«هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابّوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزَع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».**

ونقل ذلك السيد حيدر الآملي في (نص النصوص في شرح فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي)[1] عن أبي جبير:

قال: سمعت عن رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ انه قال:**«ان من عباد الله ما هم ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالىٰ»** قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟ قال: **«هم تحابوا في الله من غير أرحام بينهم ولا أحوال يتعاطونها، فوالله ان وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور، لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس،** ثم قرأ الآية: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾»**[2].

وقصه النبي موسى ـ عليه السلام ـ مع عبد من عباد الله الذي كان معلَّماً بالعلم اللدني والذي جاء ذكره في سورة الكهف من القرآن الكريم تؤيّد حديث الغبطة؛ ان كهف القرآن هو كهف سرّ الولاية:

﴿فوجد عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما قال

(١) نص النصوص ط ص ٢٦٢.

(٢) يونس: ٦٣.

موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾.

وكما قلنا ان المحاورة ١٤٦ باب (٧٣) من (الفتوحات المكية) هي حول هذا الحديث. ان الحكيم محمد بن علي الترمذي طرح ١٥٠ سؤالاً ذوقياً عرفانياً من باب التمحيص والاختبار، وقد اجاب عليها الشيخ في (الفتوحات المكية)؛ من جواب هذا السؤال وجّه الحديثين المذكورين توجيهين؛ الثاني منهما مطابق لرواية ابن جبير من أن الانبياء والشهداء يوم القيامة يغبطون اولئك العباد؛ وعبارته هي:

السؤال السادس والاربعون ومائة: ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم الى الله تعالى.

الجواب: يريد ليسوا بأنبياء تشريع لكنهم انبياء علم وسلوك: اهتدوا بهدى انبياء التشريع، غير انهم ليس لهم اتباع لوجهين:

الوجه الواحد لغنائهم في دعائهم الى الله على بصيرة عن نفوسهم فلاتعرفهم الاتباع، وهم المسوّدون الوجه في الدنيا والآخرة من السؤدد عند الرسل والانبياء والملائكة، ومن السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة في ذلك اليوم.

والوجه الآخر انهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان في القيامة جاءت الأنبياء خائفة يحزنهم الفزع الاكبر على أممهم لا على أنفسهم وجاء غير الانبياء خائفين يحزنهم الفزع الاكبر على انفسهم وجاءت هذه الطائفة مستريحة غير خائفة لا على أنفسهم ولا يحزنهم الفزع الاكبر على أممهم اذ لم يكن لهم أمم

وفيهم قال تعالى: **لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يـومكم الذي كنتم توعدون** أن يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حق انفسكم وحق الامم اذ لم يكن لكم امة ولا تعرفتم لأمة مع انتفاع الامة بكم ففي هذاالحـال تـغبطهم الانبياء المتبوعون، اولئك المهيمون في جلال الله تـعالى العـارفون الذيـن لم تفرض عليهم الدعوة إلى الله.

تبصرة:

من التحقيق المتقدم يتّضح وجه الروايات المرويّة عن الفـريقين ان النـبي عيسىٰ بن مريم(ع) يصلّي خلف الحجة القائم من آل محمد ويجاهد بين يديه، مع أن النبي عيسى(ع) هو من الانبياء اولي العزم، وذلك لأن النبي(ع) له فضل النبوة اما الامام المهدي فليس له فضل النبوه وقد ختمت بخاتم الانبياء «**فلا نبي بعده**» وحسب موازين الكـتاب والسـنّة وقـواعـد الحكـمة المـتعالية واصـول المعارف العرفانية والتي هي في الحقيقة نفس شرح وتـفسير بـطون واسـرار الكتاب والسنّة يصح ان يكون الانسان متصّفاً بحقائق ورقائق اسماء الله تعالى دون ان يكون له فضل النبوة وهو منصب تشريعي، الا انه في غير هذا المنصب وفي الجهات الاخرىٰ مقدم عليه وقدوة له كما لو كان منصوباً لمنصب القضاء فله علوّ المكانة والمرتبة من هذه الجهة ايفضيلة منصب القضاء، وهذا مقام ومنصب عرضي وزائل، وحتىٰ الوقت الذي هو باق في هذا المنصب فحكمه نافذ وجار، وقد يكون الآخر أعلم وأفضل منه وله الصفات الحقيقية للكمالات الانسانية وغير محكوم بحكم أحد في النصب والعزل لكنه غير معين في منصّة

القضاء، لا شك أن حكم القاضي نافذ في حقه وهو في هذه الجهة يتبع القاضي المنصوب بل هو في الحقيقة تابع مقام القضاء كما قال الشيخ العارف ابن عربي في آخر فص الادريسي من (فصوص الحكم) في بحث العلو الذاتي والصفاتي والعلو بحسب المكانة والمكان اي العلو المرتبي والمكاني. يقول:

«علو المكانة يختص بولاة الأمر كالسلطان والحكام والوزراء والقضاة وكلّ ذي منصب سواء كانت فيه أهلية ذلك المنصب أو لم يكن، والعلو بالصفات ليس كذلك فإنه قد يكون أعلم الناس يتحكّم فيه من له منصب التحكم وان كان أجهل الناس فهذا عليّ بالمكانة بحكم التبع، ما هو علا بنفسه فإذا عزل زالت رفعته والعالم ليس كذلك».

الغرض من المثل المذكور هو انه مهما كان لعيسىٰ -عليه السلام- حسب الولاية التشريعية فضل النبوة وهو ما ليس للمهدي -عليه السلام- ولكن مع ذلك لا منافاة ان يكون للمهدي -صلىٰ الله عليه وآله- علو المكانة والمرتبة في الاتصاف بتحقق الاسماء الالهية الى حد بحيث يكون حسب الولاية التكوينية أفضل من عيسىٰ ومن أن يكون من هذه الجهة قدوة ومتبوعاً حتى من اولي العزم وأصحاب الشريعة.

ان كهف القرآن هو كهف لسر الولاية، ان موسى الكليم من اولي العزم وهو اضافة الى رتبة النبوة فهو صاحب شريعة وحائز لمقام الرسالة والامامة فعندما وجد مع فتاه (يوشع) عبداً الهياً (الخضر-عليه السلام-) أخذ يتبعه ويسأله كي يعلمه من علومه ويسمع من جوابه **﴿انك لن تستطيع معي صبرا﴾** بل انه فيما بعد يسمع جواباً أشدّ من ذلك الا وهو **﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾** وفي المرتبة التالية اكثر شدة من ذلك الا وهو **﴿هذا فراق بيني وبينك**

سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ فافهم.

«واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً ـ الى قوله تعالى ـ **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً، قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما عُلّمت رشدا، قال انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، الآيات».**

في باب فضائل الخضر ـ عليه السلام ـ من كتاب الفضائل في صحيح مسلم روىٰ بسند عن سعيد بن جبير ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ قال: **«يرحم الله موسىٰ لوددت انه كان صبر حتىٰ يقصّ علينا من أخبارهما»**[1] .

وذكر العارف الجامي في (نفحات الانس) في شرح مؤيد الدين الجندي ما يلي:

قال ـ يعني الجندي ـ سمعت من شيخي صدرالدين ـ يعني صدرالدين القونوي ـ بأن الشيخ الكبير يعني محي الدين بن عربي التقىٰ بالخضر ـ عليه السلام ـ ،قال: لقد اعددت لموسى بن عمران (صلوات الرحمن عليه) ألف مسألة جرت عليه منذ ولادته وحتىٰ زمان الاجتماع وانه لم يستطع الصبر على ثلاث منها والاشارة هنا الى المعنىٰ الذي قاله صاحب الرسالة ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ حيث قال **«ليت أخي موسىٰ سكت حتى يقصّ عينا من أنبائهما».**

❀ ❀ ❀

---

(١) صحيح مسلم ط بيروت ج ٧ ص ١٠٥.

الباب الثاني

الإنسان الكامل خليفة الله

«اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه»[1]

(ب) مثل هذا الانسان هو خليفة الله كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: **﴿إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة﴾** حيث ان الوصف دائمي لحقيقة الحقائق «جاعل»، اذن يجب ان يكون المجعول دائماً كذلك لانه تعالى يقول: جاعل وهي غير جعلت وأجعل ونحوهما، وجاعل ليس مقيداً بشخص ما او زمان خاص حتى تكون عبارات مثل: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾** **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾** محدودة.

والخليفة يجب ان يكون علىٰ صفات المستخلف عنه وفي حكمه، وبخلافه فانه ليس بخليفة؛ لذا قال تعالى: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾** حيث استخدم الجمع المحلىٰ بالألف واللام المؤكدة بـ«كل» وقدم كل ذلك على «الخليفة» لاهميته.

قال الامام الصادق ـ عليه السلام ـ: **«الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»**.

اذن فان الآية في دلالتها على لزوم وجود الخليفة الى يوم القيامة من الامهات

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٤٧.

والمحكمات، وكما أن ذلك يدل على المعنى المذكور فانه يدل ايضاً على أن تعيين الخليفة ليس من مسؤولية الامة فافهم.

تعريف الاسم وتوقيفه واشتقاقه

المطلب المهم في هذا المقام هو المعرفة بمعنى الاسم في اصطلاح اهل التحقيق اعني اهل المعرفة والولاية،والذي هو نفس الاسم الوارد في الكتاب والسنّة. نقول في بيان ذلك.

محض الوجودالبحت مبني على أساس المفهوم القويم للوحدة الشخصية للوجود بحيث يكون مبرَّءاً عن ممازجة ومخالطة الغير ويعبرون عن ذلك بغياب الهوية واللاتعيُن، ويقولون ايضاً (حضرة الاطلاق الذاتي) والذي لا مجال لاي وجه من الاعتبارات فيه حتىٰ إعتبار عدم الاعتبار ايضاً لا يوجد فيه، وغيرمشوب باي نوع من اللواحق الاعتبارية وان التركيب والكثرة لا طريق لهما اليه اطلاقاً. وهذا المقام هو اللاإسم واللارسم؛ (لأنّ اسم الذات مأخوذ بصفة ونعت ما، اي أن يؤخذ متن الذات وعينها باعتبار معنىٰ من المعاني (سواء كانت تلك المعاني وجودية أو عدمية)، فذلك المعنىٰ يسمونه صفةً أو نعتاً، وان شئت قلت: الذات باعتبار تجلٍ من تجلياته هو الاسم كما في الرحمن والرحيم والراحم والعليم والعالم والقاهر والقهار حيث أن عين الذات مأخوذة بصفات الرحمة والعلم والقهر، وان الاسماء المحفوظة والمتداولة هي اسماء هذه الاسماء العينية.

والفرق بين التعبيرين كما يلي:

ان الأول وبما أن حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من تعيّنات صفاته الكمالية

فهو اسم ذاتي أما الثاني فلأن الذات مأخوذة باعتبار تجلٍّ خاصٍّ من التجليات الالهية فهو إسم فعلي، والذي سيأتي تفصيله لاحقاً.

من هذا البيان المذكور في تعريف الاسم، يتضح مراد الروايات الواردة عن اهل بيت العصمة ـ عليهم السلام ـ من ان الاسمَ غيرُ المسمىٰ، وكذلك مراد أهل التحقيق في الصحف العرفانية في ان الاسم عيْن المسمىٰ. فهو غير صحيح وهو عين الصحيح أيضاً. يقول عارف الجندي في رسالته:

«مقتضى الكشف والشهود أن الاسم الله ليس عين المسمّى من جميع الوجوه بل من وجه كسائر الاسماء»[١].

فكلام الجندي هذا ناظر لمقام الواحدية لا الاحدية. ويقول القيصري في بداية شرح (الفصّ الآدمي) من فصوص الحكم:

«ان جميع الحقائق الأسمائية في الحضرة الأحدية عين الذات وليست غيرها، وفي الواحدية عينها من وجه وغيرها من آخر[٢]» يعني عينها من وجه المصداق والوجود، وغيرها من وجه المفهوم والحدود.

وكذلك يعرف المراد من توقيفية الاسماء الالهية في المنظر الاعلىٰ لأهل المعرفة كما أفاد بذلك صائن الدين علي بن تركه في «تمهيد القواعد» في شرحه لرسالة جده ابي حامد.

«ان لكلّ اسم مبدءاً لا يظهر ذلك إلّا في موطن خاص من مواطن تنوعات الذات ومرتبة مخصوصة من مراتب تنزلاتها لا يطلق ذلك الإسم عليها إلّا بذلك الإعتبار وهذا معنى من معاني ما عليه أئمة الشريعة رضوان الله عليهم أنّ اسماء الحق توقيفيّة»[٣].

---

(١) مصباح الانس: الطبعة الحجرية ص٣٣٣.

(٢) فصوص الحكم ص٦٢ ط١ الطبعة الحجرية.

(٣) تمهيد القواعد، الطبعة الحجرية ص٧٨.

نقول توضيحاً: الاسماء حقائق عينية، والظهورات والبروزات هي تجليات الهوية المطلقة. وهذه هي هوية مطلق الوجود والوجود المطلق باطلاق السعي الكلي وهي الصمد؛ يعني (لا جوف ولا خلاء له) وهذا الظهور وبروز التجلي يعبّر عنه بالاسم، وبحسب غلبة أحد الاسماء في مظهرٍ ما، يسمىٰ ذلك المظهر بذلك الاسم الغالب.

لقد ذكرنا قيد الغلبة لنبين ان سلطان الوجود أنّىٰ نزل بجلاله فان جميع عساكر الاسماء والصفات تكون بمعيته لانها من لوازمه حيث ان هذه اللوازم تكون ظاهرة في بعض المظاهر وباطنة في بعضها الآخر كما سيأتي بحثه التفصيلي لاحقاً.

الاسم على قسمين، أحدهما: اسم تكويني عينيخارجي والذي هو شأن من شؤون الذات الواجبة الوجود ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾[1].

والاسم الآخر: هو الاسم الذي هو عبارة عن اللفظ.

والمرتبة العالية للاسم القرآني والعرفاني هو الأول وليس الثاني ﴿**وعلّم آدم الاسماء كلها**﴾[2].

وان كان لكلٍ من الاسم واسم الاسم احكامه الخاصة وفق حكم الشرع.

﴿**قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الاسماء الحسنىٰ**﴾[3].

ولما لم يكن ثمة مرجع للضمير في كلمة (فله) ـ في هذه الاية الكريمة ـ فانه يُحكم بأنّ كلمة «هو» هي الاسماء الحسنىٰ، نعم ﴿**ليس كمثله شيء وهو**

(١) الرحمن: ٣١.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) الاسراء: ١١٢.

السميع البصير﴾[1].

وتمثيلاً نقول: ان الذات مع الصفة المعينة التي هي الاسم مثل أمواج البحر التي تعكس تطورات تكسرات ماء البحر، فكل موج هو ماء متشئّن بحد وهو الانكسار فليس لهذه الامواج وجودات استقلالية على الرغم من ان كلاً منها ليس بحراً لكنها ليست منفصلة عن البحر ايضاً. فذات الماء بتكسّرٍ خاص هو موج، وهذا الموج هو أحد الاسماء، وموج آخر هو اسم آخر، واذا اردنا أن نضع لهذه الاسماء الشؤونية لبحر الألفاظ بما تقتضيه خواص الماء في هذه المظاهر، وبحسب غلبة وصف من أوصافها فان هذه الالفاظ هي اسماء لتلك الاسماء الشؤونية والتي هي أسماء الأسماء.

ولزيادة التبصر والفهم نرىٰ من الصواب أن ننقل بعضاً من أقوال أساطين فنّ العرفان في تعريف الاسم. قال عبدالرزاق القاساني في الاصطلاحات: **«ان الاسم باصطلاحهم هو اللفظ بل هو ذات المسمّىٰ باعتبار صفة وجوديّة، كالعليم والقدير، أو سلبية كالقدوس والسلام».**

قال القيصري في الفصل الثاني من مقدمات شرح فصوص الحكم:

«والذات مع صفة معيّنة، واعتبار تجلّ من تجليّاته تسمى بالاسم فإنَّ الرّحمن ذات لها الرّحمة، والقهّار ذات لها القهر. وهذه الأسماءالملفوظة هي أسماء الأسماء. ومن هنا يعلم أنَّ المراد بأنّ الإسم عين المسّمى ما هو».[2] انتهى ما اردنا من نقل كلامه.

متى ماأخذ عين الذات يعني حقيقة الوجودمع صفة معينة من صفاته الكمالية فهو اسم ذاتي، ومتىٰ ماخذ الذات مع اعتبار تجلٍ خاص من تجلياته فهو اسم

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) شرح فصوص القيصري ص١٣.

فعلي. وفي هذا المجال يُنقل الكثير من التحقيقات والتوضيحات المستفيضة من كلام المتأله السبزواري. ولقد ذكرنا في تعبيراتنا العين والمتن لغرض التمييز بينها وبين الاسم المشتق المستخدم في العلوم الرسمية، فتبصّر.

وتأتي أهمية الذي فعله القيصري بعد تعريف الاسم انه قال: «**ومن هنا يعلم أن المراد أن الاسم عين المسمىٰ ما هو**» بسبب ما كان موجوداً من نزاع كلامي متجذّر في المؤلفات حول ما اذا كان اسم العين مسمىٰ أو غير ذلك؛ ولهذا السبب أيضاً طُرحت اسئلة على الأئمة الهداة المهديين بخصوص هذا الباب وهو هل ان الاسم عين المسمىٰ أم غير ذلك. وفي المجامع الروائية ـ مثلاً ـ في باب معاني الاسماء في كتاب التوحيد في أصول الكافي روىٰ باسناده.

«**عن هشام بن الحكم انه سأل ابا عبدالله** ـ عليه السلام ـ **عن أسماء الله واشتقاقها، الله مما هو مشتق؟ فقال: ياهشام الله مشتق من اله واله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّىٰ فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشركوعبد اثنين. ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد. أفهمت يا هشام؟ قال: قلت زدني. قال: لله تسعة وتسعون إسماً فلو كان الإسم هو المسمّىٰ لكان لكلّ اسم منها إلهاً ولكنّ الله معنىً يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره. ياهشام الخبز اسم للمأكول، والماءاسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنّار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع الله عزّوجلّ غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبّتك يا هشام. قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد متى قمت مقامي هذا**».

قال الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي في الفص الشيثي من «فصوص الحكم».

«وعلى الحقيقة فما ثمة إلّا حقيقة واحدة تقبل جميع هذه النسب والإضافات التي كنّى عنها بالأسماء الالهية».

قال صدر المتألهين في شرح آية الكرسي:

«والتكثّر في الاسماء بسبب تكثر الصفات، وذلك التكثّر أنّما يكون باعتبار مراتبها الغيبية التي هي مفاتيح وهي معان معقولة في عين الوجود الحق بمعنى أن الذّات الإلهية بحيث لو وجد في العقل أو أمكن أن يلحظها الذهن لكان ينتزع منه هذه المعاني ويصفها به فهو في نفسه مصداق لهذه المعاني» انتهىٰ.

قال الفيض المقدس في علم اليقين:

«إنّما يفيض الله سبحانه الوجود على هياكل الموجودات بواسطة أسمائه الحسنى قال عزّ وجلّ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم هو الذات من حيث تقيّده بمعنى، أي الذات الموصوفة بصفةمعينة كالرّحمن، فانه ذات لها الرحمة، والقهار ذات لها القهر، ومن هنا قال «سبح اسم ربك» فاسمه سبحانه ليس بصوت فانه لا يسبّح بل يسبح به، وقال: «تبارك اسم ربك ذوالجلال والاكرام» فوصفه بذلك يدلّ على انه حيّ لذاته فالاسم هو عين المسمّىٰ باعتبار الهويّة والوجود وان كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم فهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء. سئل الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ عن الاسم ما هو؟ قال: «صفة لموصوف» وعن الصادق ـ عليه السلام ـ: «من عبدالله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد

المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه به ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته فاولئك هم المؤمنون حقاً».[(١)]

قال المتألّه السبزواري في شرح الاسماء (بند ٥٦ يا من له الاسماء الحسنى):

«الإسم عند العرفاء هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعين من التعينات الصفاتية من كمالاته تعالى، أو باعتبار تجلّ خاص من التجليات الالهية (وهذا اسم فعل والاول اسم ذاتي. وهذا ظهورعلى الماهية الإمكانية كماهية العقل الكلي، والأوّل ظهور بمفهوم الصّفة الواجبة الذاتية). فالوجود الحقيقي مأخوذاً بتعين الظاهرية بالذت والمظهرية للغير الاسم النور،وبتعين كونه ما به الانكشاف لذاته ولغيره الاسم العليم، وبتعين كونه خيراً محضاً وعشقاً صرفاً الإسم المريد، وبتعين الفيّاضيّة للنورية عن علم ومشية الإسم القدير، وبتعيّن الدراكية والفعالية الاسم الحي، وبتعين الإعراب عمّا في الضميرالمخفي والمكنون الغيبي الإسم المتكلم وهكذا. وكذا مأخوذاً بتجلّ خاص على ماهيّة خاصّة بحيث يكون كالحصة التي هي الكلي المضاف إلى خصوصية تكون الاضافة بما هي اضافة وعلى سبيل التقيد لا على سبيل كونها قيداً داخلة والمضاف اليه خارجاً لكن هذه بحسب المفهوم ، والتجلي بحسب الوجود اسم خاص، والمقصود أنه كما أنَّ مغايرة الكلّي والحصّة اعتباريّة اذ التغاير ليس إلا بالإضافة وهي اعتبارية والمضاف اليه خارج كذلك التجلي ليس إلّا ظهور المتجلى وظهور الشيء لا يباينه، الّا ان الكلي والحصّة يطلقان في عالم المفاهيم والمتجلي والتجلي يطلقان على الحقيقة.

فنفس الوجود الذي لم يلحظ معه تعيّن ما بل بنحو الّلاتعين البحت هو المسمى، والوجود بشرط التعين هو الاسم، ونفس التعين هو الصفة، والمأخوذ

---

(١) علم اليقين، الطبعة الحجرية ص ٣١١.

بجميع التعينات الكمالية اللائقة بـه المستتبعة للوازمـها مـن الأعـيان الثـابتة الموجودة، بوجود الأسماء كالأسماء بوجود المسمى هو مقام الاسماء والصفات الذي يقال له في عرفهم المرتبة الواحدية كما يقال للموجود الذي هو اللاتعين البحت: المرتبة الأحديّة. والمراد من اللاّتعين عدم ملاحظة التعيّن الوصفي (قد يطلق التعين ويراد به التشخُّص اي ما به يمنع عن الصدق على الكثرة، ويقال له الهوية ولا هو الّا هو، وقد يطلق ويراد به الحدّ والضيق، واللاتـعين هـنا بـهذا المعنى ومنه:

وجود اندر كمال خـويش سـارى است

تـــعيّنهـــا امـــور اعـــتبـــارى است [1]

وامّا بحسب الوجود والهوية فهو عين التشخص والتعيُّن والمتشخص بذاته والمتعين بنفسه. وهذه الالفاظ ومفاهيمها مثل الحي العليم المريد القدير المتكلم السميع البصير وغيرها أسماء الأسماء.

إذا عرفت هذا عرفت أنّ النزاع المشهور المذكور في تفسير البيضاوي وغيره من أن الاسم عين المسمّى او غيره مغزاه مـاذا، فـإنّ الإسـم عـلمت أنـه عـين ذلك الوجود الذي هو المسمى، وغيره باعتبار التعيّن واللاتعين،والصـفة أيـضاً وجوداً ومصداقاً عين الذات ومفهوماً غيره، فظهر أنّ بيانهم فـي تـحرير مـحل النزاع غيرمحرّر بل لم يأتوا ببيان، حتّى ان شيخنا البهائي أعلى الله مقامه قال في حاشيته على ذلك التفسير: قد تحيّر نحارير الفضلاء في تحرير محل البحث على نحو يكون حرياً بهذا التشاجر حتى قال الامام في التفسير الكبير: ان هذا البحث يجري مجرى العبث وفي كلام المؤلف إيماءٌ الى هذا أيضاً انتهى كلامه رفع مقامه.

---

(١) اي ان الوجود سار في كماله الذاتي وان التعينات امور اعتبارية.

(قوله: «حتى قال الامام ...» لانه ان اريد به اللفظ فلا ريب انه غير المسمى، او المعنى فلا شك انه عينه، أو الصفة فهو مثلها في العينية والغيرية والواسطة عند الاشعري، والفرق بين الاسم والصفة كالفرق بين المشتق ومبدئه فالعليم والقدير مثلا اسم والعلم والقدرة صفة فالنزاع عبث لا طائل تحته).

وانا اقول: لو تنزلناعمّا حرّرنا على مذاق العرفاء الشامخين نقول: يجري النزاع في اللفظ بل في النقش اذ لكلّ شيء وجود عينيوذهني ولفظي وكتبي والكل وجوداته وأطواره وعلاقتها معه اما طبيعيّة أو وضعية فكما أنّ وجوده الذهني وجوده، كذلك وجوده اللفظي والكتبي إذا جعلا عنوانين له آلتين للحاظه فإنّ وجه الشيء هو الشيء بوجه وظهور الشيء هو هو فإذا سمع لفظ السماء مثلاً أو نظر إلى نقشه يستغرق في وجوده الذهني الذي هو أربط وأعلق به ولا يلتفت الى انه كيف مسموع أو مبصربل جوهر بجوهريته وظهور من ظهوراته وطور من أطواره، ومن ثم لا يمسّ نقش الجلالة بلا طهارة ويترتب على تعويذه وتعويذ أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام الآثار.

(وكذا خطّ المصحف ومن ثم يصحّح قول المتكلم القائل بأن كلام الله قديم حتى ما بين الدفتين لأن القرآن له منازل عالية ومجالي شامخة إلى العلم العنائي حتى ان المشّائين عندهم الصّور العملية القديمة كلمات الله وكلّ واحدة منها كالكاف والنون لأنها علة لما يكون وخطاب لم يزل بما لا يزال ان الكلام لفي الفؤاد، والحروف في نقطة المداد).

ثم انه يمكن أن يراد بالأسماء الحسنى في هذا الاسم الشريف الأئمة الأطهار كما ورد عنهم -عليه السلام- «نحن الاسماء الحسنى الذين لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا» وفي كلام اميرالمؤمنين علي -عليه السلام-: «إنا الاسماء الحسنى»، فإن

الاسم من السمة وهي العلامة ولا شك أنهم علائمه العظمى وآياته الكبرى كما قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ : «من رآني فقد رأى الحق». ولأن مقام الأسماء والصفات مقامهم عليهم السلام وحق معرفته حاصل لهم والتحقق بأسمائه والتخلّق بأخلاقه حقهم فهم المرحومون برحمته الصّفتيّة، والمستفيضون بفيضه الأقدس كما انهم مرحومون برحمته الفعليّة والفيض المقدس، واما معرفة كنه المسمّى والمرتبة الأحديّة فهي مما استأثرها الله لنفسه. (قولنا ولان مقام الاسماء والصفات مقامهم أي الاسماء والصفات التي في المرتبة الواحدية كما يقال لها «سدرة المنتهى» لانها منتهى مسير الكمل وظهور الذات بها رحمته الصفتية كما أن أشراقه على الماهيات الإمكانية رحمته الواسعة الفعلية ولا يقبل الله عملاً بمعرفتنا لانا وسائط الحادث بالقديم والاسماء الحسنى روابط ومخصّصات لفيضه المطلق ولولاها لم يتحقق عالم الكثرة)»[1].

وخاتمة كلام المرحوم الحاجي في شرح الاسماء مع تعليقاته ما نقلناه بين هلالين، ولهذه الشخصية مطالب مفيدة في تبيين مراتب وجود الشيء في «اللئالئ المنظومة» في المنطق وكذلك في الشرح والحواشي حيث يقول:

وإنّ في وجودات الامور رابطة
ترشدكم صناعة المغالطة
وتلك عينيّ وذهنيّ طبع
ثمة كتبيّ ولفظيّ وضع

---

(١) شرح الاسماء للسبزواري الطبعة الحجرية ص ٢١٤.

ويقول الشيخ البهائي في الكشكول:

«اعلم أن أرباب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معينة، وتجلٍ خاص وهذا الاسم هو الذي وقع فيه التشاجر مع إنه هو عين المسمّىٰ أو غيره، وليس التشاجر في مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون فسوّدوا قراطيسهم وأفعموا كراديسهم بما لا يجدي بطائل ولا يفوق العالم به على الجاهل»[١].

كانت تلك بعضاً من مقولات اساتيذ هذا الفن بخصوص تعريف الاسم والصفة رأينا أن ننقلها لغرض المزيد من التبصر في رفع أي إبهام في معنىٰ الاسم والذي يعتبر من أهم الامور في مسائل موضوع الرسالة.

وخلاصة القول ان وحدة الظاهر وكثرة وتعدد المظاهر والتي هي في الواقع من شؤون وظهورات وبروزات وتجليات الهوية المطلقة اي نفس تلك الوحدة الحقة الحقيقية؛ يلزم تدقيق الفكر وتلطيف السريرة وكذلك هو ما نقله العلامة الشيخ البهائي في الكشكول.

«قال السيد الشريف في حاشية شرح التجريد: إن قلت: ما تقول في من يرى أن الوجود مع كونه عين الواجب وغير قابل للتجزّي والانقسام قد انبسط على هياكل الموجودات وظهر فيها فلا يخلو منه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها وعينها وانما امتازت وتعيّنت بتقيّدات وتعينات وتشخصّات اعتبارية ويمثل بالبحر وظهوره في صورة الأمواج المتكثرة مع أنّه ليس هناك إلّا حقيقة البحر فقط؟

قلت: هذا طور وراء طور العقل لا يتوصل اليه إلّا بالمجاهدة الكشفيّة دون المناظرات العقليّة وكل ميسَّر لما خلق له».[٢]

---

(١) كشكول الشيخ البهائي ط ١ الدفتر الخامس ص ٥٤٢.

(٢) معاني الاخبار الطبعة الحجرية ص ١٠١.

ان الاسم الذي يكون موجباً لارتقاء واعتلاء الجوهر الانساني هو اسم عيني:

ان الاسم الذي يكون موجبا لارتقاء واعتلاء الجوهر الانساني والذي بارتقائه درجة درجة يصل الى منزلة يكون قادراً فيها على التصرف بمادة الكائنات هو الاسم العيني حيث ان الانسان وبحسب الوجود والعين اذا اتصف باي اسم من الاسماء الالهية والتي هي كلمات «كن» الباري فان سلطان ذلك الاسم وخواصه العينية تظهر فيه، فيصبح هو الاسم، وعندها يمكنه ان يفعل ماكان يفعله المسيح.

وهذا حديث شريف رواه الصدوق بإسناده في معاني الاخبار عن أبي اسحاق الخزاعي عن أبيه عن ابي عبدالله -عليه السلام- قال: «**دخلت مع ابي عبدالله** -عليه السلام- **على بعض مواليه يعوده، فرأيت الرجل يكثر من قوله آه، فقلت: يا أخي اذكر ربك واستغث به، فقال ابو عبدالله** -عليه السلام-: «**وان آه من اسماء الله عزوجل فمن قال آه فقد استغاث بالله تبارك وتعالىٰ**»[1].

التجليات الاسمائية وغاية الحركة الوجودية والايجادية:

لقد عبّر القرآن الكريم وروايات اهل العصمةوالوحي[2] عن التجليات والتي هي الظهورات نفسها بتعبير اليوم: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾[3] هذه التجليات والظهورات، هي عبارة عن انفطار الموجودات عن ذات الواجب تعالى، وان اشتقاق هذه الكلمات الوجودية يكون من مصدرها والذي هو الوجود الواجب،

---

(١) فافهم المراد من هذه الرواية.
(٢) والتي هي المرتبة النازلة للقرآن وبدنه والقرآن مرتبتها الصاعدةواصلها وروحها.
(٣) الرحمن: ٣١.

والجميع قائم به على نحو قيام الفعل بالفاعل، والمعلول بالعلة، والفرع بالأصل، كما يقال: (**انفطر النور من الشجر**).

ان الاسماء الالهية تعريف للصفات الجمالية والجلالية للذات المقدسة للحق تعالىٰ وهذه الاسماء باعتبار الجامعية يتميز بعضها على البعض الآخر بالفضل والمزية والمرتبة حتى تنتهي بكلمة الجلالة «الله» وهي الاسم الاعظم والكعبة لجميع الاسماء حيث الجميع طائف حولها، وكذلك فان مظهر الاسم الاعظم وتجلّيه الأتم (الانسان الكامل) هو كعبة الجميع، ولا يوجد فرد آخر اليق منه بذلك، بل هو في الحقيقة الاسم الالهي الاعظم، وهو في زمان الغيبة خاتم الاولياء قائم آل محمد المهدي الموعود (**الحجة بن الحسن العسكري**) (صلوات الله عليهم أجمعين).

ولبقية الاوتاد والابدال الكمّل، وكذا الافراد غير الكمّل القرب المعنوي من مركز دائرة الكمال، كلٌّ حسب حظه ونصيبه من التحقق بالاسماء الحسنىٰ والصفات الالهية العليا وبالشكل الذي سنوضحه لاحقاً في هذه الرسالة، بعد امداد الممدّ والمفيض وبالاعتماد علىٰ اولياء الحق والاستمداد من تلك الارواح القدسية كالشمس في السماء الصّاحية.

والاهم من ذلك هو اتصاف الانسان وتخلقه بحقائق الاسماء التي تمثل الثروة الواقعية والسعادة الحقيقية له.

وان كان معرفة لغات الاقوام وألسنتهم فضلاً، إلّا ان الذي يكون منشأ للآثار الوجودية وموجباً لقدرة وقوة النفس الناطقة وسبباً لقربها من الجمال والجلال المطلق هو ان تكون مظهر الاسماء وتصير حقائقها الوجودية صفات وملكات في النفس.

فلو كان تعلّم الاسماء **﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾**[1]. تعليماً للالفاظ واللغات فكيف يمكن ان يكون ذلك سبباً لتفاخر آدم واعتلائه على الملائكة. ان المرحلة العليا التي يبلغها انسان ما اذا كان مطلعاً وعارفاً بلغةٍ أجنبية هي ان يكون بمستوىٰ فلّاح عاميّ من أهل تلك اللغة، وقد لا يصل الى هذه المرتبة. لذا قال أمين الاسلام الطبرسي في المجمع في تفسير هذه الآية: **﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾**:

«اي علّمه معاني الأسماء إذ الإسم بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لإشارة الفضيلة بها». ثم يقول: **«وقد رُوي عن الصادق** ـ عليه السلام ـ **أنّه سُئل عن هذه الآية، فقال: «الأرضين والجبال والشعاب والأودية**. ثم نظر الى بساط تحته فقال: **وهذا البساط ممّا علمه»**.

نستنتج من البيان الذي قدمناه في الاسم والمسمّىٰ بأن هذه التجليات والظهورات هي انفطار الموجودات من الذات الواجبة، وان اشتقاق هذه الكلمات الوجودية يكون من مصدرها والذي هو الوجود الواجب، والجميع قائم به بنحو قيام الفعل بالفاعل، والمعلول بالعلة، والفرع بالأصل كما يقال **﴿انفطر النور من الشجر﴾** وكم لحديثِ الاشتقاق من عذوبةٍ في هذا المقام!

حديث الاشتقاق وبعض الاشارات واللطائف المستفادة منه:

من خلال المطالب التي قدمناها في بحث الاسم يمكن ان نفهم معنىٰ اشتقاق الاسماء من الذات الواجبة تعالىٰ وكذلك حديث **«نحن الاسماء الحسنىٰ»** ونظائره المروية عنهم ـ عليهم السلام ـ في المجاميع الروائية عن الوسائط بين القديم والحادث.

---

(١) البقرة: ٣٢.

ان الاشتقاق الصرفي والادبي هو مظهر أو صورة لهذا الاشتقاق، فالسلسلة الطولية للعوالم وفي جميع احكامها الوجودية تحكي بصورة رقيقة وحقيقية عن أحدها الآخر ان المرتبة العالية هي الحقيقة الدانية وأن المنزلة الدانية هي الرقيقة العالية.

وفي تفسير الصافي للمرحوم الفيض جاء ضمن تفسير الآية الكريمة: **﴿اني جاعل في الارض خليفة﴾** ورد هذا الحديث الشريف الذي نرجو التبرك بنقله:

«قال علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ: **حدّثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله** ـ صلى الله عليه وآله ـ **قال: يا عباد الله ان آدم لمّا رأى النور ساطعاً من صلبه اذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح فقال يا رب ما هذه الأنوار؟ فقال عزّوجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك اذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا رب لو بينتها لي، فقال الله عزّوجلّ: انظريا آدم إلى ذروة العرش. فنظر آدم** ـ عليه السلام ـ **ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فراى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ قال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي هذا محمّد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي.**

وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي.

وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والارض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعيرهم ويشينهم، فشققت لها اسما من اسمي.

وهذا الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي.

هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريّتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم

أثيب، فتوسّل بهم إليّ. يا آدم إذا دهتك داعية فاجعلهم اليَّ شفعاءك فإنّي آليت على نفسي قسماً حقاً الّا أخيّب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزّوجلّ بهم فتيب عليه وغُفرت له».

من هذا الحديث الشريف يظهر أن العرش مراتب ودرجات، ولذلك قال: «**من ذروة العرش، من أشرف بقاء عرشي**» وكم هو عظيم المنزلة تقابل الظهر والوجه وخاصة كلمة الظهر التي تُشعر ايضاً إن ظهور تلك الاشباح في النشأة العنصرية هي في ظهر ووراء آدم اضافة الى انه اظهر آدم على أنه مرآة قابلة لانطباع الصور وحقائق الانوار المجردة فاظهر بعد ذلك على انه يملك جهازاً ومعملاً لتمثيل الانوار المجردة واظهارها على صورة اشباح ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً**﴾[1] فسبحان الله الذي اعظم شأن الانسان اي تعظيم.

في باب الروح من توحيد الكافي[2] باسناده عن محمّد بن مسلم قال سألت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عما يروون انَّ الله خلق آدم على صورته، فقال: «**هي صورة محدثة مخلوقة واصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما اضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال بيتي ونفخت من روحي**».

والحديث بعد ذلك عن «**شققت له اسماً من اسمي**» حيث قال: (شققت) ولم يقل (جعلت) او تعبيرات اخرى مشابهة فهذا الاشتقاق هو انشقاق وانفطار اسمي من الذات السبحانية التي لا نظير ولا قبيل لها. اسم بذلك المعنى السابق بخصوص الاسم الاسمئ والكلمة العليا التي يكون ذاته وصفاته وافعاله

(١) مريم: ١٧.

(٢) اصول الكافي: ج ١ ص ١٣٤.

المصدر الاتم، والناطق بـ«**اوتيت جوامع الكلم**» اذ يكون المصدر ومصدره في فعاله حميداً ومحموداً .

في الاشتقاق الادبي الذي هو ظل لهذا الاشتقاق كل صيغة مشتقة هي مصدر متعين بتعيّن خاص وصيغة لفعله تبين هيئة وكيفية الفعل والتي هي صياغة خاصة، وإنما يطلق على الصائغ كذلك لان عمله صياغة الذهب واظهاره بصيغ وهيئات مختلفة.

فالاشتقاق الآخر هو اسم الوصي علي ـ عليه السلام ـ من الاسمين الاعظمين علي وعظيم .

الحديث الثاني من باب حدوث الاسماء من توحيد الكافي[1] مسنداً عن ابن سنان قال: سألت أباالحسن الرضا ـ عليه السلام ـ هل كان الله عزّوجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت يراها ويسمعها؟ قال: «ماكان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمّى نفسه ولكنَّه اختار لنفسه اسماء لغيره يدعوه بها لأنَّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف. فأوّل ما اختار لنفسه: العلي العظيم، لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول اسمائه علا على كلّ شي».

الملاحظة الاخرى الملفتة للنظر هي ان اسمي الامامين الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ **كلاهما مشتقّان** من اسم محسن ومجمل اي ان الامام الحسن ـ عليه السلام ـ محسن ومجمل في سيرته وكذلك الامام الحسين ـ عليه السلام ـ سواء في ذلك الامام الحسن ـ عليه السلام ـ في مواجهة بني امية لمصلحة الدين والامة، وثورة الامام الحسين ـ عليه السلام ـ ، قال النبي الاكرم: «**الحسن والحسين إمامان**

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٨٨.

قاما او قعدا»[1] وقال ابو جعفر ـ عليه السلام ـ **إنه «يعني الحسن ـ عليه السلام ـ» أعلم بما صنع لولا ما صنع لكان أمرٌ عظيم»** وقال الحسن ـ عليه السلام ـ: **«ما تدرون ما فعلت والله للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس»**[2].

كما سكت الامام علي عن حقه حفاظاً على الاسلام والمسلمين. ويمكن اعتبار الخطبة الشقشقية وثيقة مهمة في هذا المجال.

والاحسان على مراتب والانسان الكامل حائز لهذه المراتب كلها. وقد تحدث الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي في (الفتوحات المكية) باب (اربعمائة وستون) عن الاسلام والايمان والاحسان، ومن جملة ما قاله ما يلي:

«ورد في الخبر الصحيح الفرق بين الايمان والاسلام والاحسان فالاسلام عمل والايمان تصديق والإحسان رؤية أو كالرؤية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه احكامها عمّ تجلّي الحق له في كل صورة».

وله بحث مفيد في الباب **٥٥٨** حول الاحسان قال فيه:

«قال جبرائيل ـ عليه السلام ـ **لرسول الله** ـ صلى الله عليه وآله ـ: **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فانك إن لا تراه فانه يراك.** وفي رواية: **فان لم تكن تراه فانه يراك فأمره أن يخيله ويحضره في خياله على قدر علمه به فيكون محصوراً له، وقال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾** فمن علم قوله: **«ان الله خلق آدم على صورته»، وعلم قوله عليه الصلاة والسّلام: «من عرف نفسه عرف ربه»، وعلم قوله تعالى: (وفي انفسكم افلا تبصرون)، وقوله: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي**

---

(١) بحارالأنوار: ج١٠، ص١٠١.

(٢) الامامة والسياسة للدينوري، ص٢٠٣.

أنفسهم)علم بالضرورة انه اذا رأى نفسه هذه الرؤية فقد رأى ربّه بجزاء الإحسان وهو ان تعبد الله كأنّك تراه الا الاحسان وهو انك تراه حقيقة كما أريته نفسك .الخ.

ذكر ابن الفناري في كتابهِ (مصباح الانس) في الفصل الأول لسورة الفاتحة بحثاً مفصلاً حول الاحسان ومراتبه، ونقل شواهد نقلية في هذا المجال؛ وذكر العلامة القيصري خلاصة ذلك في شرح الفص الشعيبي (**ص٢٨٢**) وفي بداية الفصّ الاسحاقي (**ص١٨٩**) وفي بداية الفصّ اللقماني من «**فصوص الحكم**»:

الإحسان لغةً فعل ما ينبغي ان يفعل من الخير بالمال والقال والفعل والحال كما قال ـصلى الله عليه وآله ـ : **«وإنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء فاذا ذبحتم فاحسنوا الذّبحة، وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، الحديث». وفى ظاهر الشرع: «أن تعبد الله كأنّك تراه» كما في الحديث المشهور، وفي باطنه والحقيقة شهود الحق في جميع المراتب الوجودية إذ قوله** ـصلى الله عليه وآله ـ : **«كأنك راه» تعليم وخطاب لأهل الحجاب.**

فللإحسان مراتب ثلاث:

أوّلها: اللغوي وهو أن تحسن على كل شيء على من أساء اليك وتعذره وتنظر على الموجودات بنظر الرحمة والشفقة.

وثانيها: العبادة بحضور تام كأنّ العابد يشاهد ربّه.

وثالثها:شهود الربّ مع كل شيء وفي كلّ شيء كما قال تعالى: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» اي مشاهد لله تعالى عند تسليم ذاته وقلبه اليه.

قال الوصي(ع): **«قيمة كل امريء ما يحسن»** يقول الجاحظ في (البيان

والتبيين)[١] بعد نقله النص المذكور: «**فلو لم نقف من هذا الكتاب إلّا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومُجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصّرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه؛ وكان الله عزّوجلّ قد البسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوىٰ قائله**».

ومن النكت المهمة في حديث الاشتقاق المذكور هو ما جاء في آخره في وصف تلك الانوار حيث يقول: «**هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب**».

نفس هذا التعبير جاء بخصوص العقل أيضاً كما روىٰ ذلك ثقة الاسلام الكليني في بداية اصول الكافي وبداية الحديث هو: **روىٰ بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر** ـ عليه السلام ـ **قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فاقبل ثم قال له: أدبر فادبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب اليَّ منك ولا اكملتك إلّا فيمن أحب، أما اني اياك آمر وإياك أنهي واياك اعاقب وإيّاك اثيب**».

رُوي هذا الحديث في كتب الفريقين بأسانيد وصور متعددة، ونُقل بشكل مفصل ومبسوط في الباب الثالث والخمسين من ارشاد القلوب للديلمي، وهو الحديث الاول في ذلك الباب، وذُكرتْ فيه ملاحظات غاية في الدقة والأهمية.

والغرض من كل ذلك هو أن أوصاف وسائط الفيض الالهي ذُكرت في حديث الاشتقاق، وفي هذا الحديث جاءت بخصوص العقل، ومن خلال التأليف بين هذين الحديثين نحصل على هذه النتيجة وهي ان الانسان الكامل

---

(١) ج ١ ص ٨٣ طبعة مصر.

هو العقل، وكذلك فان النتائج الكثيرة الاخرىٰ التي يصل اليها مستنتج الحقائق من التأليف بين هاتين المقدمتين اعني الحديثين المذكورين ـ هو أن الاحاديث كالآيات يفسر بعضها بعضاً، وبعضها شاهد على البعض الآخر وحاكٍ عنه.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«أحاديثنا يعطف بعضها على بعض فإن أخذتم بها رَشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم. فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم».**(١)

ان لسان ولغة السفراء الالهيين كلها اسرار، نسال الله ان يرزقنا توفيق فهم اسرارهم ورموزهم ويمكن الاستفادة من نكت اخرىٰ في حديث الاشتقاق المذكور ولكن الخوض في بحثها قد يؤدي بنا الى الخروج عن موضوع هذه الرسالة.

❀ ❀ ❀

---

(١) الخصائص الفاطمية ص ٢٥.

المراد من تعليم الاسماء:

مما أفاضه الفيض المقدس في تفسير تعليم الاسماء هو:

«المراد بتعليم آدم الاسماء كلّها خلقه من اجزاء مختلفة وقُوى متبائنة حتى استعدّ لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصّها وأصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها والتميز بين أولياء الله وأعدائه فتأتي له بمعرفة ذلك كله مظهريّته لاسماء الله الحسنى كلّها وبلوغه مرتبة أحديّة الجمع التي فاق بها سائر أنواع الموجودات ورجوعه إلى مقامه الأصلي الّذي جاء منها وصار منتخباً لكتاب الله الكبير الذي هو العالم الكبير».

هذا البيان يوضح ما ذكرناه من أن المراد من تعليم الاسماء هو امتلاك استعداد وجبلة تمكنان الانسان ان يمثل الكون الجامع، وكان الحديث في أنّ دلالة الآية الكريمة: «**إنّي جاعل في الأرض خليفة**» صريحة على استمرار وجود الخليفة المنصوب من قبل الله تعالى وانه يجب ان يكون الخليفة وفقاً لصفات المستخلف عنه وبما أن واجب الوجود مستجمع لجميع الاسماء الحسنىٰ والصفات العليا فان الخليفة ايضاً يجب ان يتصف بصفاته لذا قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾ ومثل هذا الشخص مطاع من قبل الملائكة.

خليفة الله جامع لجميع اسماء الله:

في هذه الاية الكريمة: ﴿إنّي جاعل في الارض خليفة﴾ وبلحاظ تعدد الاسماء الالهية واتصاف الخليفة بصفات المستخلف عنه، يتمّ وجوب استمرار وجود الانسان الكامل على الارض الموجود دائماً في افراد نوع الانسان وهو الفرد الاكمل من جميع افراد الكائنات في جميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية حتىٰ يكون ممثلاً لحضرة الاله تعالى .

فمثلاً ان الحق واحد أحد مما يدل على اكمال وحدانية ذاته، وبناء على ذلك فانه يجب ان يكون في افراد النوع الانساني (الذي هو أكمل وأتم وأشرف الانواع) من هو متميز عنهم ومنفرد في اتمام الكمال .

والحق جلّ وعلا عالم وعليم وأن ذلك يدل على احاطته بجميع ما سواه اذن يجب ان نجعل لله تعالى مظهراً وعلامةً في أفراد النوع الانساني يكون علمه أتمّ من علم ما سواه، وهكذا في صفات القادر القدير السامع السميع البصير الخبير وبقية اسمائه اللامتناهية ﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾ وحتىٰ في الاسماء الالهية المستأثرة بمعنىً.

«الله» ليس مكرراً في «الفاتحة»:

ان الاسماء الالهية معرِّفة للصفات الجمالية والجلالية للذات المقدسة للحق تعالى، وهذه الاسماء ـ باعتبار جامعيتها ـ لبعضها الفضل والمزية والمرتبة على البعض الآخر حتى تنتهي جميعها بكلمة الجلالة المباركة الا وهي كلمة الله الذاتية «**بسم الله الرحمن الرحيم**» وهذه الكلمة الذاتية [ببرهان التوحيد في

الذات، وفي الالهية بحسب الوجود]، وصف وهو رب العالمين ﴿**الحمد لله ربّ العالمين**﴾.

لذا فان «الله» ليس مكرراً في الفاتحة، واسم الجلالة هو الاسم الاعظم وكعبة جميع الاسماء، وان الجميع طائف حوله، وكذلك الانسان فهو مظهر الاسم الاعظم وتجلّيه الاتمّ وهو كعبة الجميع،ولا يوجد فرد آخر أولىٰ منه بذلك.

اذن فالانسان هوالاسم الالهي الاعظم. وقال بعض العلماء بأنّ «علم» اسم اعظم وقال أحد أكابر أهل المعنىٰ: لديّ عقيدة بان «اليقين» هو الاسم الاعظم. وكلها حق وان تعددت من ناحية المفهوم الّا انها ليست سوىٰ شيء واحد بحسب الوجود العيني، وهذا منقوش في الفصل الآدمي الثمين ويا له من نقش لطيف بخط الحبيب الا وهو:

«فسمّي هذا المذكور ـ يعني الكون الجامع ـ انساناً وخليفةً: فاما انسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلّها وهو للحقّ بمنزلة انسان العين من العين الذي به يكون النظر وهو المعبّر عنه بالبصر فلهذا سمّى انساناً فانه به نظرالحق إلى خلقه فرحمهم فهو الإنسان الحادث الازلي والنشأ الدائم الابدي، والكلمة الفاصلة الجامعة، فتمّ العالم بوجوده فهو من العالم كفصّ الخاتم من الخاتم الذي هو محلّ النقش والعلامة التي بها يختم الملك على خزائنه وسمّاه خليفة من أجل هذا لأنه تعالى الحافظ به خلقه كما يحفظ بالختم الخزائن، فما دام ختم الملك عليها لا يجسر احد على فتحها إلّا بإذنه فاستخلفه في حفظ العالم فلا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل، ألا تراه إذا ازال وفكّ من خزانة الدنيا لم يبق فيها ما اختزنه الحق فيها وخرج ما كان فيها والتحق بعضه ببعض وانتقل الأمر إلى الآخرة فكان ختماً على خزانة الآخرة ختماً ابدياً.

فظهر جميع ما في الصورة الالهية من الأسماء في هذه النشأة الإنسانية فحازت رتبة الاحاطة والجمع بهذا الوجود وبه قامت الحجة على الملائكة».

الخلافة مرتبة جامعة لجميع مراتب العالم:

لا جرم ان ذلك هو الذي حوّل آدم الى مرآة للمرتبة الالهية حتىٰ يكون قابل ظهور جميع الاسماء، وكانت تلك هي مرتبة الانسان الكامل بالفعل لكي توصل الانسان غير الكامل وحَسْب قابليته واستعداده في ظهور الاسماء من القوة الى الفعل؛ علاوة على ان الانسان هو فوق مقام الخلافة الكبرىٰ كما اشار لذلك ابن الفناري في (مصباح الانس) حيث قال:

«إن للانسان ان يجمع بين الأخذ الأتمّ عن الله تعالى بواسطة العقول والنفوس بموجب حكم امكانه الباقي، وبين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة بحكم وجوبه فيحلّ مقام الانسانية الحقيقية التي فوق الخلافة الكبرى».[١]

الانسان الكامل هو الاسم الالهي الاعظم

تحدثنا بعض الشيء عن كلمة «الله» الذاتية والوصفية و«الاسم الاعظم» ويطلب برهان المطلب الاول من الفصل الاول الى الثامن من بداية الَهيات الاسفار، حيث ان الموقف الأول هو في التوحيد ومعرفة الله الذاتية، وثامنه في التوحيد ومعرفةالله الوصفية، التي تعني بالالوهية الوصف العنواني للالّه ورب العالم كما يقول في افتتاحية الفصل: **«في اثبات وجوده والوصول الى معرفة ذاته»** ويقول في افتتاحيةالثامن: **(في ان واجب الوجود لا شريك له في الالهية**

(١) مصباح الانس: الطبعة الحجرية ص٣٣.

وإن اله العالم واحد» [1] وكذلك فسّر معنىٰ الالوهية في الموقف الثاني للالهيات في نهاية الفصل الرابع. والقصد من هذا التشعيب ان ذات واجب الوجود الأحد هو نفسه اله ورب العالمين فافهم.

ويجب ان تطلب سلطان بحث الالوهية وبشكل مستوفٍ في شرح خاتمة التمهيد[2] من كتاب (مصباح الانس) وفي شرح القيصري على (فصوص الحكم)[3] حول (الفصّ النوحي، والابراهيمي[4] واليعقوبي)[5].

ولا بد من التدبر في قول الامام الصادق ـ عليه السلام ـ في الوصول لهذا السرّ المقنع حيث يقول: «اسم الله غيره... الخ»[6].

ولأن موضوع الرسالة هو الانسان الكامل نكتفي بهذه الايماءة في المطلب الأول ونتحدث باختصار وإجمال حول الاسم الاعظم فنقول:

إعلم بان الاسماء اللفظية هي اسماء الاسماء وظلالها، والاساسُ هي نفس الاسماء والتي هي الحقائق النورية والاعيان الكونية، وقد اشاروا لهذا الظل وذي الظل بالقول **«للحروف صور في عوالمها»** كما ذكر الشيخ محي الدين بن عربي ذلك في الدر المكنون والجوهر المصون في علم الحروف، وقال الشيخ مؤيد الجندي في شرح الفصوص:

«اعلم أنّ الإسم الأعظم الّذي اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيّه وحرم

---

(١) ج٣، ص١٩، ط١.

(٢) مصباح الانس، الطبعة الحجرية ص١١٩.

(٣) فصوص الحكم، ط١، ص١٤٨.

(٤) فصوص الحكم، ص١٧٣.

(٥) فصوص الحكم، ص٢١٧.

(٦) اصول الكافي ج١، ص٨٨.

نشره من عالم الحقايق والمعاني وحقيقة ومعنى ومن عالم الصّور والألفاظ صورة ولفظاً، الخ»[١].

وكيف ما كان نقول في الاسترواح من هذا السر المقنع: ان سرَّ كلِّ شيء هو حقيقته اللطيفة المخفية والذي يعبرون عنه ايضاً بـ«الحصة الوجودية» ونفس هذا السر والحصة الوجودية هو جدول الارتباط بالبحر اللامتناهي لمتن الاعيان.

واعلم الآن بأن الالوهية ربما انها تمثل ظل حضرة الذات وان أُمهات اسماء الالوهية وهي الحي والعالم والمريد والقادر هي بمنزلة ظلالات اسماء الذات لذا فإن اعظم اسماء حقيقة الالوهية هو اسم (الله).

والاسم الاعظم في مرتبة الافعال هو عبارة عن اسماء «القادر» و«القدير» وهما من الاسماء الام، لان اسماء «الخالق»، «الباري»، «المصور»، «القابض»،«الباسط»، وأمثالها بمنزلة السدنة.

وتوجد مرتبة اخرىٰ ايضاً لأعظمية الاسماء وهي مختصة بالتعريف. لذا فان كل اسم كان أتمّ من غيره في تعريف الحق سبحانه فانه أعظم منه، سواءً أكان التعريف بمرتبة اللفظ والكتابة أو في مرتبة خارجة عن ذلك حيث ستكون العين الخارجي، وهذا يعود لذلك السر والحصّة المذكورة والتي يختص الاسم الاعظم فيها بالإنسان الكامل «**من رآني فقد راىٰ الله**».

وبالنتيجة فان وجود خاتم الرسل هو أعظم اسماء الله وهكذا بالنسبة لبقية الكلمات التامّة والاسماء الالهية الحسنىٰ **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على**

---

(١) فصوص الحكم،ص ٧٠، ط ١.

بعض﴾[1]، **﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾**[2].

وفي الكافي روىٰ باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ **«في قوله الله عزّوجلّ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا»**[3].

ان الاسم الاعظم لخاتم الرسل ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ لا يمكن ان يصبح من نصيب اي شخص آخر. نعم بالقدر الذي يمكنك ان تقترب منه عينياً لا أينيّاً فانك تقترب من الاسم الاعظم للحق تعالىٰ. ولأن القرآن الذي بين الدفتين هو الصورة الكتبية للخاتم، فان هذا الاسم الكتبي هو الاسم الاعظم ايضاً، كما تحت معرفته.

من خلال هذا البيان التعريفي حصلت على المراد من جمع هذه الروايات العديدة حول الاسم الاعظم. والآن، ومع أخذ الاصول المذكورة بنظر الاعتبار يستحسن النظر بدقّة الى هذه الروايات المنقولة:

أ ـ في تفسير الاخلاص في (مجمع البيان) روىٰ:

«عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه قال: رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلةٍ فقلت له: علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء. فقال، قل: ياهو يا من لا هو الّا هو، فلمّا اصبحت قصصت على رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ فقال: يا علي علّمت الإسم الأعظم؛ الحديث».

---

(١) البقرة: ٢٥٤.

(٢) الاسراء: ٥٦.

(٣) الكافي (اصول الكافي) ج١ ص١١١.

ب ـ والكافي باسناده، عن ابي جعفر ـ عليه السلام ـ:

«أن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرفٌ واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة العين،ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استاثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».(١)

ج ـ وفي الباب التاسع عشر من مصباح الشريعة:

«سئل رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ **عن اسم الله الأعظم، فقال: كل اسم من أسماء الله أعظم ففرّج قلبك عن كلّ ما سواه وادعه بأي اسم شئت فليس في الحقيقة لله اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهّار».**

إن مخاطبة الرسول ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ في الحديث المعراجي بـ يا أحمد ياأحمد كان أمراً منه تعالىٰ بـ«**عظّم اسمائي**» وكأن عارف البسطامي قد اقتبس من هذه الكلمة السامية حين سأله أحد الاشخاص ما هو الاسم الاعظم؟ قال: بيّن لي الاسم الأصغر حتى ابيّن لك الاسم الاعظم، فاحتار ذلك الشخص فقال له: كل أسماء الحق عظيمة.

د ـ قال باقر علوم الأولين والآخرين(ع) في دعاء السحر العظيم لشهر الله المبارك وغيره: «**اللهم اني اسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة**».

هـ ـ في تفسير ابي الفتوح الرازي:

«سئل الامام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ **عن أهم اسماء الله الاعظم فقال:**

---

(١) اصول الكافي المعرب ج١ ص١٧٩.

ادخل الى هذا الحوض البارد، فدخل في ذلك الماء وكلما أراد أن يخرج منعه حتى قال: «يا الله أغثني» فقال: هذا هو الاسم الاعظم، فالاسم الاعظم يرتبط بحالة الانسان نفسه».

و ـ«وفي البحار باسناده الى ابي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا محمد ـعليه السلام ـ **يقول: بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها»**[1] وقريب من هذا الحديث جاء في تفسير الصافي في بداية الفاتحة «**العياشي عن الرضا** ـعليه السلام ـ: **انها اقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين الى بياضها؛ ورواه في التهذيب عن الصادق** ـعليه السلام ـ».

ر ـنقل السيد الأجل علي خان الشيرازي المدني في كتاب (**الكلم الطيب**) أن الاسم الاعظم لله تعالى هو ذلك الاسم الذي يفتتح بـ«الله» وختامه «هو» ولا توجد نقاط في حروفه «**ولا تَتغير قراءته أعرب ام لم يعرب**» ويوجد ذلك في آيات مباركةٍ في خمس سور من القرآن المجيد هي: البقرة، آل عمران، النساء، طه، التغابن.

يقول الراقم: انها ست آيات في ست سور واحدة منها في سورة النمل ايضاً:

«**الله لا إله إلّا هو الحي القيوم**؛ الى آخر آية الكرسي».

﴿الله لا إله إلّا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل، هدىً للنّاس وأنزل الفرقان﴾[2].

﴿الله لاإله إلّاهو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾[3].

---

(١) بحار الانوار ط كمپاني ج١٩ ص١٨.

(٢) سورة آل عمران: ٣.

(٣) سورة نساء: ٨٨.

﴿الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى﴾.[١]

﴿الله لا إله إلّا هو ربُّ العرش العظيم﴾.[٢]

﴿الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾.[٣]

بل يجب أن نقول بأن الاسم الاعظم موجود في سبع آيات من القرآن الكريم حيث ان الآية **٦٣** من سورة «غافر» المباركة ـ والتي هي سورة المؤمن من جملة تلك الآيات **﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلّا هو فأنىٰ تؤفكون﴾**.

هذه الاية الكريمة هي نفس الآية التي اشار اليها العالم الجليل محمود دهدار الملقب بالعياني في كتاب (كنوز الاسماء) في تحصيل الاسم الاعظم.

ح ـ وفي غالب مقامات مقالات بيت الوحي التي تناولت الاسم الاعظم في زبور آل محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ نرىٰ لها اشتراكاً في **﴿الحي القيّوم﴾** يقول في كتاب (الفتوحات المكية) الباب **٧٣** من جواب السؤال **١٣١**.

«ما رأس اسمائه الّذي استوجب منه جميع الأسماء؟ الجواب: الإسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم».[٤]

ان الحياة شرط لكل اسم من اسماء الذات والصفات والافعال، وان امهات الاسماء والصفات سبع: الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والتي يسمونها بالائمة السبعة. والحياة امام ائمة الصفات. وامام ائمة الاسماء هو الحي والذي هو درّاك فعّال، فتبصّر.

ان الاسم المفرد المحلّىٰ بالألف واللام يفيد الاستغراق والشمول، والجملة

---

(١) سورة طه: ٩.

(٢) سورة نمل: ٢٧.

(٣) سورة تغابن: ١٤.

(٤) فتوحات مكية (طبع بولاق) ج ٢، ص ١٣٣.

الاسمية بخصوص الخبر المحلّىٰ بـالألف واللام وخـاصة اذا كـان كـناية بـين الفواصل فانه يفيد الانحصار بشكل تام فافهم القيّوم فوق القائم، كمثل حاكمية كثرة المباني والذي هو قائم بذاته وحافظ لغيره، اي ان ما سواه قائم به. هـذا المعنىٰ الذي هو متن الاعيان؛ والاعيان هي شؤون واطـوار الله سـبحانه عـما يصفون الا عباد الله المخلصين.

«فهو سبحانه قيّوم كلّ شيء ممّا في السموات والارض، الممسك لهـما أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد بعده».

يقول الخواجة نصير الدين الطوسي في تفسير ذلك في آخر النمط الرابع من شرح اشارات الشيخ الرئيس:

«القيوم بريءٌ عن العلائق اي عن جميع انحاء التعلق بالغير، وعن العهد اي عن أنواع عدم الإحكام والضعف والدَّركِ وما يجري مجرى ذلك، يقال فـي الأمـر عهدتي لم يُحكم بعدُ، وفي عقل فلان عهدة أي ضعف، وعهدته على فلان اي ما ادرك فيه من درَك فاصلاحه عليه، وعن المواد أي الهيولي الأولى وما بعده من المواد الوجوديّة؛ وعن الموادّ العقليّة كالماهيّات؛ وعن غيرها ممّا يجعل الذّات بحال زائدة اي عن المشخصّات والعوارض التي يصير المعقول بها محسوساً أو مخيّلاً أو موهوماً».

هذا التفسير ليس خالياً من الاشكال، علماً بأنه حسب اصول التوحيد لدىٰ المتأخرين يعتبر من المشائية والذي هو تنزيه في عين التشبيه **﴿سبحان الله عما يصفون﴾** فتدبر .

والغرض من ذلك هو بما أن الذات الواجبية هي الحي القيّوم، والحي امام الائمة، والقيّوم قائم بالذات ومقيم لما سواه ، لذا فان الحي القيّوم هـو الاسـم الاعظم **﴿الله لا اله الا هو الحي القيوم﴾**.

ط ـ يقول في كتاب (**خشبتان وصخرة واحدة**): التقرير المهم الذي قرره بعض العظماء هو قولهم بأن العلم هو الاسم الالهي الاعظم، وسمعت ان بعض اكابرأهل المعنىٰ قد تخيل في اطراف الاسم الاعظم ثم قال: عندي اعتقاد بأن «اليقين» هو الاسم الاعظم ولكن بشرط اليقين. واليقين قسمان طريقي وموضوعي وكذلك فعلي وافعالي، فليتدبر.

والمرحوم الكفعمي في المصباح أورد اليقين في عداد اسماء الحق تعالى وفي الحرف أوالفصل الثاني والثلاثين المختص بخواص الاسماء الحسنىٰ وشرحها يقول «**اللهم اني أسألك باسمك يا يقين يا يد الواثقين يا يقظان لا يسهو . . الخ**»

اذن ما حكي عن بعض الاكابر في كتاب (**خشبتان وصخرة واحدة**) هو وفق هذا المعنى الرصين. وما قاله: ولكن بشرط اليقين لان اليقين نفسه هو وزين ورصين جداً. انظروا بدقة في هذين الحديثين الشريفين:

الحديث الأول في الكافي[1] **عن ابي الحسن الرضا** ـ عليه السلام ـ **وساق الحديث الى أن قال: فقال (اي رجل من الزنادقة) : اوجدني كيف هو وأين هو؟ فقال: ويلك ان الذي ذهبت إليه غلط هو أيّن الاين. الكيّف الكِف بلا كيف فلا يعرف بالكيفوفية ولا بأينونيّة ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء».**

فقال الرجل: فاذاً انه لا شيء اذا لم يدرك بحاسة من الحواس فقال ابو الحسن ـ عليه السلام ـ: **«ويلك لماعجزت حواسّك عن ادراكه نكرت ربوبيته، ونحن اذا عجزت حواسّنا عن ادراكه أيقنّا أنه بخلاف شيء من الاشياء».**

(١) الحديث الثالث باب حدوث العالم واثبات المحدث من كتاب التوحيد في اصول الكافي ج١ ص٦١.

اذن فاعلم بأن اليقين هو اسم الحق تعالىٰ باعتبار خروجه عن حد التشبيه ووجوده بخلاف شيء من الاشياء فتدبر.

الحديث الثاني: في الكافي باسناده عن اسحاق بن عمار، قال: سمعت ابا عبدالله ـ عليه السلام ـ يقول:

«إن رسول الله ـ عليه السلام وسلّم ـ صلّىٰ بالنّاس الصبّح فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ : كيف أصبحت يا فلان؟ قال: اصبحتُ يا رسول الله مُوقناً، فعجب رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من قوله، وقال: إنّ لكلِّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي واظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر الى عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر الى أهل النّار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن اسمع زفير النّار يدور في مسامعي. فقال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر الله قلبَه بالإيمان، ثم قال له: الزم ما انت عليه، فقال الشاب، ادع الله يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».[1]

يستفاد من ظاهر هذا الحديث ان الشاب المذكور هو (حارثة بن مالك) حيث قال في هذا الحديث لرسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: **«وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون في الجنّة. وكأني أسمع عواء أهل النار في النار»**.

(١) اصول الكافي المعرب ج ٢ ص ٤٤ باب حقيقة الايمان واليقين من كتاب الايمان والكفر.

وهذه الحادثة مسندة في كتاب المثنوي لعارف الرومي الى زيد بن حارثة .

ان الاسماء الالهية تنتهي احياناً بـ(هو) او (ذوالجلال والاكرام) واحياناً بـ(الله) و(تبارك وتعالى) واحياناً بـ(هو الاول والآخر والظاهر والباطن) والاول جاء في الحديث المذكور عن الخضر ـ عليه السلام ـ والثاني في سورة الرحمن والثالث في بداية سورة الحديد ، واحياناً بالائمة السبعة **(الحي العالم المريد القادر السميع البصير المتكلم)** واحياناً بتسع وتسعين (المأثور عن الفريقين بصور عديدة): **«ان لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلّا واحداً من احصاها دخل الجنّة»** واحياناً بألف، والف وواحد كما في دعاءالجوشن الكبير واحياناً باربعة آلاف كما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ : **«ان لله اربعة الاف اسم، الحديث»**[1] واحياناً **﴿ولا يعلم جنود ربك الّا هو﴾**[2]

ويمكن الرجوع الى الكافي[3] باب ما أُعطي الائمة عليهم السلام من اسم الله الاعظم من المجلد ١٩ من البحار[4] حيث ان الروايات الصادرة عن مخزن الولاية في الاسم الاعظم كلها نور.

وفي كتاب (مصباح الانس) في المقام الثالث من الفصل الثاني (تمهيد الجمل)[5]. من المنصف ان نقول بانه يحتوي على تحقيق دقيق وشريف وعميق حول الاسم الاعظم وقد يكون لدفتري العاشق في هذا المقام نصيبٌ من هذا اللطف، وكذا في الاسفار ج ٤ ص١٦٨ ط ١ والله سبحانه ولي التوفيق .

❀ ❀ ❀

(١) بحار الانوار ط كمپاني ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) المدثر: ٣٢.

(٣) اصول الكافي ج ١ص ١٧٩ .

(٤) ص١٨ ط ١.

(٥) مصباح الانس ص ١١٥ ـ ١١٧ ط ١ .

الباب الثالث

الانسان الكامل قطب الزمان:

(ج) والانسان الكامل هو قطب الزمان: «**ان محلي منها محل القطب من الرّحمن**»[1] ولذا لا يمكن تعدد ذلك في زمان واحد.

ان الرحىٰ تدور حول القطب وهو ثابت ومحكم، وكذلك الخلافة الالهية قائمة بالانسان الكامل الذي هو قطب عالم الامكان، والّا فانها ليستْ بالخلافة الالهية.

التعدد في القطب لا طريق له:

انّ مقام القطب هو نفس مرتبة الامامة ومقام الخلافة، بحيث انه لا طريق لا للتعدد فيه ولا الانقسام الى ظاهر وباطن ولا انشقاق الى أعلم واعقل وغيرها.

ان انقسام الخلافة الى ظاهر وباطن هو حق سكوتي يظهر اقتناع ورضاء اوهام الموهومين بهذه القسمة الضيزىٰ.

ومع بسط الآية الكريمة «**لو كان فيهما الهةٌ الا الله لفسدتا**» يتضح لنا ان الامام في كل عصر لا يمكن الّا ان يكون شخصاً واحداً. وهو القطب وخليفة الله وأن

---

(١) نهج البلاغة الخطبة الشقشقية.

مجيء كلمة خليفة بلفظ الواحد في الآية الكريمة: **﴿اني جاعل في الارض خليفة﴾** اشارة الى وجوب وحدة الخليفة في كل عصر.

لقد تقوّه بهذا السر في المقام الرابع من (سر العالمين) المنسوب الى الغزالي بالقول: **«والعجب من حق واحد كيف ينقسم ضربين والخلافة ليست بجسم ينقسم ولا بعرض يتفرق ولا بجوهر يحدّ فكيف توهب أو تُباع».**

وفي الكافي بإسناده عن الحسين بن ابي العلاء قال «قلت لابي عبدالله ـ عليه السلام ـ **تكون الأرض ليس فيها امامٌ؟ قال لا، قلت يكون امامان؟ قال لا إلّا وأحدهما صامت».**[1]

❀ ❀ ❀

(١) اصول الكافي: ج ١ ص ١٣٦.

الباب الرابع
الانسان الكامل مصلح برية الله

د ـ ومثل هذا الانسان هو مصلح لبرية الله **«انما الأئمّة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنّة الّا من عرفهم وعرفوه ولايدخل النار الّا من أنكرهم وانكروه»**[1] وان كان الواسطة في الفيض ومكمل النفوس المستعدة لذلك، قال الامام الباقر ـ عليه السلام ـ:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم».

وفي تفسير العياشي عن باب الحوائج الى الله (الامام السابع) قوله: **«لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلّا وحّد الله».**

واعظم فوائد السفراء الالهيين عليهم السلام تكميل القوة العلمية والعملية للخلق .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٠.

بقاء كل العالم مرتبط ببقاء الانسان الكامل:

والبرية هي بمعنىٰ الخلق «أولئك هم خير البرية» وإصلاح البرية بمعنىٰ آخر ادقّ هو: بما أن الانسان هو الكون الجامع ومظهر الاسم الجامع وان أزمّة كل الاسماء بيد قدرته وان صورة المجتمع الانساني غاية الغايات لتمام الموجودات الامكانية؛ بناءً على ذلك فان دوام مبادئ الغايات هو دليل على استمرار بقاء العلة الغائية. اذن فبقاء الانسان الكامل الفرد هو بقاء للعالم أجمع.

«في الكافي باسناده عن ابي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله ـعليه السلام**ـ: أتبقىٰ الارض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت»**[1].

* * *

(١) اصول الكافي ج١ ص١٣٧.

الباب الخامس
الإنسان الكامل معدن كلمات الله:

(هـ) ومثل هذاالانسان هـو مـعدنكلماتالله «فـيهمكرائـمالقـرآنوهـمكنوز الرحمن»[1].

وجاء التعبير عنه في صحف اتباع الولاية بصاحب المرتبة العمائية والتي تضاهي المرتبة الالهية. والمرتبةالعمائية هي تـعبير آخـر عـن مـرتبة الانسـان الكامل والتي تجمع جميع المراتب الالهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة في مصطلح اهل الله وحتى آخر التنزلات والتطورات في الوجود وهي الفرق والتمييز بين الربوبية والمربوبية كما صرح ونص على ذلك قائم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) في توقيع شهر الولاية (رجب).

بيان نكتة في توقيع الناحية:

روى السيد ابن طاووس التوقيع المبارك في الاتصال بسلسلة الرواية المسندة:

«ومن الدعوات في كل يوم من رجب ما رويناه عن جدّي ابي جعفر الطوسي رضي الله عنه فقال اخبرني جماعة عن ابن عيّاش قال ممّا خرج عـلى يـد الشـيخ

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٢.

الكبير ابي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه **من الناحية المقدسة ما حدثني به خير بن عبدالله قال كتبته من التوقيع الخارج اليه:**

بسم الله الرحمن الرحيم ادع في كل يوم من ايام رجب: «اللهم اني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به وُلاة أمرك المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك. وأسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلّا انهم عبادك وخلقك؛ الخ».

الضميران (بينها الّا انهم) مثل الضميرين في الاية الكريمة **﴿وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم﴾** وتوقيعه الشريف هو آية من آيات الانسان الكامل ومتن تام في اصول وامهات مسائل الولاية والامامة. وفي الصحف الكريمة لأرباب العقول لطائف حول هذه اللطيفة الالهية؛ ومن ذلك جملة العلامة القيصري في اواخر الفصل الأول من مقدمات شرح فصوص الحكم حيث يقول:

«ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الالهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعية (يعني طبيعة الوجود) إلى آخر تنزلّات الوجود وتسمّىٰ بالمرتبة العمائية ايضاً فهي مضاهة للمرتبة الالهية ولا فرق بينهما إلا بالرّبوبية والمربوبية ولذلك صار خليفة الله»[1].

ويقول ايضاً في بداية شرح الفص الآدمي:

«والكون الجامع هو الانسان المسمى بآدم،وغيره ليس له هذه القابلية والاستعداد».[2]

❀ ❀ ❀

(١) شرح الفصوص القيصري، ص١١ ط١.

(٢) شرح الفصوص القيصيري، ص٦٢.

الباب السادس
الإنسان الكامل حجة الله:

(و) ومثل هذا الانسان هو حجة الله:

«اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة امّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»[1] **«والحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»**.

وان كانت الحكمة المتعالية قد برهنت على أنه لا يوجد زمن من الازمنة خالٍ من النفوس المكتفية وان كل نفس من النفوس المكتفية والتي هي أتم واكمل من سائر النفوس سواء المكتفية او غيرالمكتفية هي حجة الله، اذن لا يمكن ان يخلو زمن من الازمنة من حجة الله.

في الدعاء السابع والاربعين من ادعية الصحيفة السجادية المعروف بدعاء عرفة تقرأ ما يلي: **«اللهم انّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك، والذريعة إلى رضوانك؛ الخ»**.

وهذه الحجة شاهد سواء اكان ظاهراً ام غائباً وهو شاهد قائم لا قعود له مطلقاً. وجاء في تعبير باقر علوم الأولين والآخرين: **«اذا قام قائمنا»** وجاء في تفسير صادق آل البيت ـ عليهم السلام ـ لقوله تعالى: **﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾**:

---

(١) نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين(ع) لكميل.

«**من أقرّ بقيام القائم** ـ عليه السلام ـ **إنّه حق**» وجاء في كلام ثامن الحجج ـ عليه السلام ـ: «**لا تخلو الارض من قائم منّا ظاهر أو خاف**» وهكذا في الروايات الاخرىٰ التي تتحدث عن القائم. وعليك أن تتعمق وتتدبر في السبب من كون امام الزمان قائمنا.

الانتفاع بالحجة في زمان الغيبة:

اعلم ان فائدة وجود الامام لا تنحصر بالاجابة عن اسئلة الناس بل ان الموجودات وكمالاتها الوجودية مرتبطة بوجوده وان افاضته واستفاضته مستمرة في حال غيبته فافتح بصيرتك في حل هذا اللغز من لسان قائم ال محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ وافهم ذلك من توقيع ثاني الوكلاء الاربعة محمد بن عثمان العمري في جوابه لاسحٰق بن يعقوب كما جاء في الاحتجاج للطبرسي حيث يقول: «**وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبها عن الأبصار السحاب**».

ونفس هذا البيان في غيبة خاتم الائمة (عج) قاله الامام الصادق ـ عليه السلام ـ لسليمان بن مهران الاعمش بل قاله خاتم الانبياء رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ لجابرالانصاري. وما يجب ان تدركه ايضاً هو هل ان خليفة الله غائب ام اننا غير حاضرين وفي حجاب ثم نسمي انفسنا باسم ذلك الشاهد في كل مكان. اننا الذين نرىٰ انه لا حاجة للتمسك بالاقناعيات حول البراهين الايقانية العقلية والنقلية المتواترة عن بيت الوحي الّا ما نراه مفيداً في الاستيناس ورفع الاستيحاش عن بعض النفوس، نقول:ان (السلحفاة) ومن باب الاحجية قالوا بشأنها انها تراقب بيوضها عن بعد وتعمل ذلك من اجل ايجاد سلحفاة مستعدة وجيدة، فهل ان النفس الكلية القدسية لخليفة الله وولي الله وحجة الله أقل عنايةً بالخلق في حالة الغيبة من عناية تلك السلحفاة ببيوضها؟!

البرهان على إمكان دوام البدن العنصري

ان أهم المعارف في معرفة وسائط الفيض الالهي هو معرفة النفس الانسانية بل ان معرفة النفس هي قلب وقطب جميع المباحث الحكمية ومحور جميع مسائل العلوم العقلية والنقلية واساس جميع الخيرات والسعادات؛ ومعرفتها أشرف المعارف، واذا ما تمت معرفة جنس هذه الجوهرة النفيسة فانها تبدّل صولة الإنكار في مثل هذه المسائل الضرورية في النظام الرباني الاحسن الى دولة الاقرار والاعتراف.

والمطلب الرئيسي في ذلك هو أننا لم نتصفح هذا الكتاب الالهي الاكبر، والمسمئ بالانسان بشكل حاذق، ولم نطالع بشكل جيد مطالع كلماته وآياته، وأدركنا منه حدّه العادي في أنه (غاذٍ ونامٍ ومتحرك الارادة).

فمن أجل السير الصعودي في معارج المقامات الانفسية والوقوف على مواقف هذه الصحيفة الالهية، لا بد من قيام استاذ بذلك. استاذ من اهل السير والعرفان. وأنا ايضاً لا ادّعي بأنْ أكون المتعهد باعطاء التحديد الحقيقي والتعريف الواقعي لذلك. ولكني أحاول ترسمه بالاستمداد من الانفاس القدسية لاولياء الحق مع ما امتلكه من بضاعتي المزجاة، وفي حد الاستطاعة والوسع، واقدم في هذا الصدد وفيما يخص موضوع الرسالة الشريف ـ بعض الهدايا والتي هي عبارة عن بعض نتائج هذا البحث؛ إنّ الهدايا على مقدار مهديها.

الانسان عبارة عن حقيقة ممتدة من الفرش الى العرش **«وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»**[1] ومرتبته النازلة بدنه وفيها نشأة بدنه العنصرية وبهذا

(١) الاحزاب: ٤.

الوصف العنواني فان البدن في الحقيقة عبارة عن روح متجسدة، وان شئت قلت: هو عبارة عن جوهرة جسمانية متصفة باوصاف الجسم كالشكل والصورة والكيفية والكمية وغيرها، وروحه عبارة عن جوهرة نورانية منزهة عن شؤون الطبيعة. وتلك هي مراتب التجرد البرزخية والعقلانية وفوق التجرد العقلاني والتي ليس لها حد الوقوف، وله حكم خاص في كل مرتبة؛ وفي نفس الوقت له احكام جميع المراتب،وهي ظهور لاطواره الوجودية **«ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً»**[1].

ان مرتبته النازلة محاكاة لمرتبته العالية كما في السلسلة الطولية، حيث ان وجود كل دانٍ هو عبارة عن ظل للعالي، والنشأة الاولىٰ هي مثال للنشأة الاخرىٰ **﴿ولقد علمتم النشأة الاولىٰ فلولا تذكرون﴾**[2].

وفي المأثور عن صادق آل محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: **«إن الله عزّوجلّ خلق ملكه على مثال ملكوته، وأسس ملكوته على مثال جبروته ليستدل بملكه على ملكوته وبملكوته على جبروته»**[3].

ان البدن العنصري هو من عالم الطبيعة وهو في تجدد دائماً وان صورة عالم الطبيعة بما في ذلك السمٰوات والارضين تتبدل دائماً بشكل مستمر وغير منقطع، لأن الطبيعة هي المبدأ القريب للحركة، وان علة الحركة يجب ان تكون متجددة كما تمت برهنة ذلك في الحكمة المتعالية من ان:

«الحجة العمدة على الحركة في الجوهر هي ان جميع الحركات سواء كانت طبيعية أو ارادية أو قسرية مبدأها هو الطبيعة ومبدأ المتجدد يجب ان يكون

---

(١) نوح: ١٣.

(٢) الواقعة: ٦٢.

(٣) الانسان الكامل لعزيز النسفي ط ١ ص ٣٧٥.

متجدداً فالطبيعة يجب ان تكون متجدّدة بحسب الذّات».

والآيات القرآنية من قبيل: **﴿بل هم في لبسٍ من خلق جديد﴾**[(١)]، **﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾**[(٢)]، **﴿يوم تبدّل الارض غير الارض﴾**[(٣)]، هي بهذا المعنىٰ. وبناء على ذلك، فان للعالم غاية وهدفاً يصل من خلال تكميله، من الهيولا الاولىٰ والاتحاد بالصور البسيطة والمركزية الحيوانية والانسانية والعقلية الى المراتب العالية والى الفناء المحض **﴿كل شيء هالك إلّا وجهه﴾**[(٤)] فان نهاية الحراك سكون.

لذا فان النفس تمتلك بواسطة الطبيعة جنبة التجدد والتي ليس لها بقاء وثبات، وهذه بنفسها هي جنبة البقاء اذ: «**خلقتم للبقاء لا للفناء**» وبعبارة اخرىٰ: ان النفس وفق الجنبة الحسية في تبدّل ووفق الجنبة العقلية ثابتة.

ان صورة الشيء محفوظة بواسطة تجدد الامثال في خضم حركة الطبيعة؛ فالانسان من خلال الحركة الجوهرية وتجدد الامثال دائماً في حالة ترقٍّ ويبقىٰ ثابتاً من جهة لطافة ورقة الحجاب، والحجاب هو نفس هذه المظاهر المتكثرة والتي هي حجاب الذات تقدست اسماءه بمعنى من المعاني.

يقول في الفص الشعيبي: «**ومن أعجب الأمر أن الإنسان في الترقي دائماً ولا يشعر بذلك للطافة الحجاب ورقّته وتشابه الصوّر مثل قوله تعالى: ﴿وأتوا به متشابها﴾.**[(٥)]

---

(١) ق: ١٥.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣) ابراهيم: ٤٨.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) البقرة: ٢٥.

وان لطافة الحجاب ورقته هي بمعنى ان الصانع وواهب الصور باسم «**المصوّر**» وبحكم **﴿كل يوم هو في شأن﴾** فانه لحظة بلحظة وآن بآن يقوم بايجاد الامثال بتلك الطريقة التي يتصور فيها المحجوب بأن هذه الصور هي نفس تلك الصور السابقة والقديمة،كمثل الشخص الواقف بجانب نهر سريع الجريان فانه يرىٰ صورته ثابتة ومستقرة طيلة ذلك الزمن،بينما هذه الصورة ناتجة عن انعكاس نور البصر في الماء، لا قرار له، ويُحدث بصورة متوالية ومتتالية صورة جديدة كالصورة السابقة.

فالانسان الثابت سيّال في نفس الوقت.. سيّال في الطبيعة، وثابت في جوهر الروح المتغذي بالصورة النورية المجردة للحقائق العلمية **﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾**[1].

ان الانسان من حيث هو انسان فان طعامه مسانخ لغذائه ، قال باقر علوم النبيين لزيد الشحام في تفسير الطعام «**علمه الذي يأخذه عمن يأخذه**».

ان الغذاء باختلاف انواعه وضروبه هو مَظهر لصفة البقاء ومن سدنة الاسم القيّوم ومسانخ للمتغذي؛ والتغذي حسب دوام ظهور الاسم الظاهر واحكامه.

ان الحقائق العلمية هي صور فعلية وصلت الى الكمال ولا طريق للحركة فيها، والّا فيجب ان تكون موجودة بالقوة، وهذا يلزم عدم تحقق اية صورة علمية وعدم وصولها الى الفعل.

اذن: العلم ووعاء العلم مجرد ومنزّه عن المادة وأحكامها.

وبما ان الانسان الثابت سيّال ايضاً، لذا فان براهين تجرّد النفس وادلة الحركة الجوهرية للطبيعة في صورتها الجسمانية تبقيان على قوتهما.

---

(١) عبس: ٢٤.

ونتيجة هذا البحث: ان العلم والعمل ليسا في العرض بل هما جوهران لبناء الانسان، وان النفس الانسانية بقبولها للعلم والعمل تكتشف توسعها واشتدادها الوجودي وتتحول الى جوهر نوراني.

ان العلم هو باني ومشخّص الروح الانسانية، والعمل هو باني ومشخّص البدن الانساني في النشأة الاخروية، والانسان عبارة عن أبدان في طول بعضها البعض ووفق النشآت، وان تفاوت الابدان يكون في النقص والكمال.

ولأن روح الانسان، وحسب ارتقائه واشتداد وجوده النوري يعتبر من سنخ الملكوت وعالم القدرة والسطوة، فانه دائماً يسخّر طبيعته لصالحه ويتغلب عليها. وان احكام العقول القدسية واوصاف اسماء الصقع الربوبية تظهر عليه بالحد الذي يصبح وعاء وجوده وجود المجرّدات القاهرة والبسائط النورية ويصبح متخلقاً بالاخلاق الربوبية.

وللصدر القنوي حديث في غاية الكمال من كتاب الفكوك في ان الانسان واسطة لفيض حيث يقول:

«الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والامكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه؛ ومن مربته يصل فيض الحقّ والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوىٰ الحق في العالم كلّه علواً وسفلاً؛ ولولاه من حيث برزخيّته الّتي لا تغاير الطّرفين لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الواحداني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل المدد اليه».

ان النتيجة الحالية من اللبس المستحصلة من هذا التحقيق هو ان امكان دوام مثل هذا الانسان الكامل الحقيقي والذي هو البرزخ بين الوجوب والامكان، يكون في النشأة العنصرية.

يقول الخواجة الطوسي في كتاب النفائس في صفات الذهب: «اما صورة معدن الذهب فانها لا تفسد باي من كيفيات العناصر الاربعة ولا تتمكن اية قوة ان تبطل عنصره وان اكثر الفلزات التي تخلط معه وتحرقه فالذهب يبقىٰ على حاله ونقاوته وينفصل عنه الغش،واذا ما أُخفي الذهب الخالص لأزمنة مديدة تحت الارض فلا ينقص منه اي شيء مع انه لا يتغير منه اي شيء بخلاف بقية الجواهر» ويقول في صفات الفضة: «ان الفضة ايضاً ذهب ولكن ثباتها ليس كثبات الذهب، ويتأثر بسرعة عند معاملتها بالأدوية حيث تفترق وتصبح عديم القيمة وتحول بمرور الزمن الى رماد اذا ما بقيت تحت الارض».

كان هذا كلام الخواجة في الكتاب المذكور وغرضي من نقل هو اذا كان الكيميائي يتمكن من تحويل الفضة الى ذهب خالص بواسطة علمه وصناعته حيث تتحول بذلك الفضة المتغيرة الى ذهب ثابت وغير متغير، فما هو المانع في ان يتمكن الانسان الكامل الكيميائي ولو بواسطة علم الكيمياء من ابقاء خلقة بدنه العنصري ولقرون طويلة ثابتاً وراسخاً؟

يقول المرحوم الحاج زين العابدين الشيرواني في كتابه الشريف المسمىٰ «بستان السياحة» في ذكر صاحب الزمان (عج):«ولقد منحه واهب العطايا تعالىٰ الحكمة في طفولته كما منحها ليحيىٰ -عليه السلام- في طفولته وجعله اماماًللانام في صغر سنه وكعيسىٰ بن مريم الذي أوصله الى ذلك المقام العظيم في صباه، وانه لمن دواعي العجب ان يقول بعض الاشخاص ببقاء الخضر والياس من الانبياء، ومن الاعداء الشيطان والدجال على قيد الحياة وينكرون وجود ذي الوجود وصاحب الزمان في الوقت الذي هو أفضل من انبياء السلف وهو ولد صاحب النبوة المطلقة والولاية الكلية.

والاعجب من ذلك ان بعض المتصوفة الذين يعدون انفسهم من أهل العلم وأرباب النظر يقولون بانه في بلاد الهند يوجد بين البراهمة واليوغيين بعض المرتاضين الذين عاشوا ويعيشون لآلاف من السنين بسبب استخدامهم لبعض الاساليب الرياضية كحبس النفس وقلة الاكل ومع ذلك نراهم ينكرون وجود صاحب الزمان.

يقول الفقير: ان انكار وجوده المبارك هو في الحقيقة انكار لقدرة البارئ تعالى، ان المنّة الالهية التي منّها الله على هذا الفقير رؤيتي الأمر كالشمس الساطعة بأنّه كقدرة ذلك الكيميائي في صنع مادة نادرة من تأليف الاجزاء المتفرقة وإضافة تلك المادة على الفضة وتحويل تلك الفضة الى ذهب أحمر، وعلى العكس من الفضة التي تتلف وتباد خلال مدة قصيرة، فان الذهب لا يُمحىٰ بل يبقىٰ على منوال واحد لعدة آلاف من السنين. فاذا تمكن وليّ الله كمثل ذلك الكيميائي ان يجعل من اكسير التفاتة بدنه عاملاً لانسجام وتجانس بدنه مع روحه فانه ليس ببعيد من أن يجعل بدنه باقياً ودائماً وخالداً، واولئك الذين ينكرون وجوده المبارك ويؤولون لفظ المهدي وصاحب الزمان انما يعبرون عن عمىٰ بصيرهم، والّا فلو كان هناك قليل من الشعور لما بقي لديهم ذرة من الانكار «والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم»[١].

كان هذا الكلام للمرحوم الشيرواني في كتاب بستان السياحة والذي رأيته مفيداً لمزيد من البصيرة في هذا الموضوع، مضافاً الى ان أعاجيب التأثيرات الكونية للنفس من قبيل حبس الدم والرياضات والمجاهدات الاخرىٰ (حتى من قبل طوائف مع كفرهم) خارجة عن العدّ والاحصاء، وان كثيراً منها مسطورة

(١) بستان السياحة، الطبعة الحجرية ص ٥٣٩.

في الزبر المرتبطة بها، فما بالك بخواص النفس القدسية وهي العقل الفعّال المصادف للوجود الطبيعي.

وقد ذكرت قدرات بعض المرتاضين في الباب ٣٩ من كتاب «غاية المراد في وفق الاعداد» وهي من امهات واصول كتب هذا العلم الشريف (علم الأوفاق) وتُثيرالعجب حقاً، وقد أعرضنا عن ذكرها هنا تحاشياً للاطالة والاطناب.

أثر الكيمياء والمومياء ونفس الانسان الكامل:

تقوم الكيمياء بتبديل المعدن وتغييره الى معدن آخر وتمنحه عمراً طويلاً. اما المومياء فتحفظ الحبوبات والاجسام الميتة من الفساد.

المومياء شيء شبيه القبر بل هو القبر في كماله النهائي، والمومياء كلمه يونانية تعني حافظ الاجساد ويقال لها بالعربية (عرق الجبال) لانها تخرج من شقوق بعض الجبال من قبيل جبل (داراب) من توابع فارس واصطهبات ونواحيها حيث تقطرمن الجبل وكأنها عرقهُ. فاذا كان الموميائي يستطيع حفظ اجساد الموتىٰ من التفسخ بواسطة المومياء، فلماذا لا تستطيع الموميائية وهي الاسم الالهي الاعظم ان تصون الجسد الحي من الزوال والبوار؟

تاريخ الاهرام في مصر ودوام الحنطة

يقوم في أهرام مصر هرمان كبيران بالخصوص بإحكام بقية الاهرامات وتثبيتها واستقامتها فاعتبروا تأريخيهما سماوياً لا أرضياً،لان التواريخ الأرضية معرضة للزوال والنسيان عبر مرور الايام وكرور الأعوام، ولا تسع تاريخ الاهرامات، لهذا قيل في تأريخ ذينك الهرمين **«قد بُني الهرمان والنسر الطائر في السرطان»**.

النسر الطائر من الثوابت البيضاء وهو من اكبر القدر الثاني علىٰ هيئة عقاب والذي هو من الصور الشمالية والنسر بين منكبيه وطوله في تاريخ (الزيج البهادري) للدلو ١٦ دقيقة وعرضه ٢٩ درجة و ١٥ دقيقة وهو من شظايا عنكبوت الاسطرلاب في التأريخ أعلاه لم يذكر في أية درجة السرطان وورد في الزيج المذكور: (ان سرعة حركة الكواكب الثابتة مختلفة فيما بينها فأسرعها يقطع الدرجة خلال ٦١ سنة و٨ اشهر و٨ ايام قمرية وسطىٰ، وأبطأها يقطع الدرجة الواحدة خلال ٨٢ سنة و٣ أشهر و١٧ يوم قمري أوسط، وسرعة بقية الكواكب ما بين هاتين.

في منتهىٰ الأرب في مادة (هرم)، ورد تأريخ الهرمين من دون ذكر كلمة الطائر، هكذا: **«وقد بني الهرمان والنسر في السرطان»** وعلى هذا الاحتمال يمكن ان يكون المقصود هوالنسر الواقع لا النسر الطائر، والنسر الواقع على هيئة (شلياق) من القدر الأول وهو من الصور الشمالية ويستقر على (الخرفقة) الحاملة له، طوله في الزيج المذكور الجدي ١٤ درجة و ٢٥ دقيقة وعرضه ٦٢ درجة والنسر الواقع كذلك من شظايا العنكبوت وقد صرّح الصوفي بكلتا الصورتين:

«النيّر المشهور الذي يرسم على الاصطلاب وهو النسر الطائر من القدر الثاني من أعظمه فيما بين المنكبين».

وفي هذا قال: **النسر المشهور من القدر الاوّل وهو الذي يرسم على الاصطرب ويسمىٰ النسر الواقع».**

وكيف كان، فان مبدأ (الزيج البهادري) هو يوم الثلاثاء الغرة الوسطىٰ لمحرم ١٢٥١ ناقصة (هجري) واليوم الثلاثاء ١٥ شوال المكرم ١٤٠٠ هـ قمري الموافق

لـ٤ شهريور **١٣٥٩** هـ.ش حيث قام هذا المتمسك بـذيل ولايـة سـر الانـبياء والعالمين أجمعين، اميرِالمؤمنين علي ـ عليه السلام ـ (حسن حسن زاده الطبري الآملي) تأليف هذه الصحيفة المكرمة حول (الانسان الكامل في نهج البلاغة) بمناسبة الذكرى الالفية لنهج البلاغة، فلو أخذنا المعدل بين السرعتين الآنفتين واعتبرنا كل ٧٠ سنة درجة واحدة، وأول السرطان بداية الحساب، فان النسـر الطائر المذكور لم يكمل اية دورة لحد الآن خلال هذه الفترة البالغة (**١٤٨٤٠**) سنة، وان النسر الواقع هو الآن في حدود(**١٣٥٨٠**) سنة.

الغرض مما تقدم من الاطالة والازعاج هو أنهم وجدوا في الاهرام المذكورة حبات من الحنطة المعالجة بالمومياء وقاموا بزرعها فاخضرت، ولم تكن قـد فسدت. فاذا كان حال حبات الحنطة هذا ـ حيث لم تفقد قابليتها طيلة هـذه الفترة المتمادية ـ فما هو مجال الطعن والقدح في أن تحفظ الروح التـي هـي المظهر الاتم والاكمل للولاية الالهية الكلية اعتدال مزاج جسدها الطاهر ليظلّ سنوات طويلة في النشأة العنصرية.

حفظ الكافور في ظل الشعير وحفظ الجسد في ظل الروح

يقول مؤلف **(مخزن الادوية)** لما كان الكافور يتبخر سريعاً ولا يبقى، خاصة في ايام الحر وفي البلدان الحارة، فان طريقة حفظه هي ان يغلق عليه جيداً في وعاء زجاجي سميك ذي غطاء محكم بعد ملئه بعدّة حبات من الشعير والفحم أوالفلفل ويحكم غلقه. وقد أورد محمد بن عبدالله الاسكافي شعراً

«نفسي فداؤك لا لقدري بل أرى   إن الشـــعير وقـــاية الكـــافور»

فاذا كانت حبة الشعير والفلفل والفحم الخالية من الروح حافظة لمـوجود

عنصري تفترق عنها ومن غير نوعها، فان الوسوسة والتشكيك في بقاء الجسد العنصري، والذي هو المرتبة النازلة للنفس برعاية وتصرف الروح الكلية لعيبة الاسرار الالهية، هو من عمىٰ البصيرة ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾.

ان الروايات الواردة في ان الارض لا تخلو أبداً من حجة لله، وذلك في طرق العامة والخاصة خارجة عن العدّ والاحصاء، وان كلام امير المؤمنين لكميل والذي ورد في النهج: «**اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة**» رواه الفريقان مع ذكر السند. وفي هذا المقام تجدر الاشارة الى أمرين لمحض التبصرة وتزيد البصيرة في غيبة (**حضرة بقية الله وتمام النبوة إمام العصر قائم آل محمد** صلوات الله عليهم).

الأمر الأول في غيبة ادريس ـ عليه السلام ـ

الباب الثاني في (**كمال الدين**) هو في غيبة النبي ادريس (صلوات الله عليه) وحديثه مروي عن الامام الباقر ـ عليه السلام ـ ان غيبة النبي ادريس وظهوره محيّرة حالها حال الامور الالهية جميعها.

ادريس في العبرية (هرمس) ويطلقون عليه (هرمس الهرامسة).

ان الروايات التي تتحدث عن غيبة النبي ادريس وظهوره تحمل اسرار لطيفة جداً ، كما ان تعبيرات صحف مشايخ اهل العرفان في هذا المجال حول ذلك النبي شريفة هي الاخرىٰ، وكتب قصص الانبياء وتذكرة الحكماء والسير والتواريخ تحوي مطالب عجيبة في هذا المجال ايضاً.

ورد في القرآن الكريم: ﴿**واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً عليّا**﴾[1] وكذلك:﴿**واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من**

(١) سورة مريم: ٥٨.

الصابرين﴾[١] وكذلك **﴿وزكريا ويحيى وعيسىٰ والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين﴾**[٢]، **﴿وإن الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم أولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين، انه من عبادنا المؤمنين﴾**[٣].

والغرض من نقل هذه الروايات حول ادريس الياس ـ عليه السلام ـ هو انه جاء في العديد من الروايات ان الياس هو ادريس نفسه؛ وقد نقل بعض الروايات العارفُ عبدالغني النابلسي في شرح الفص الياسي من خصوص الحكم للشيخ الاكبر ابن عربي، وكان الشيخ قد اطلق على الفص الرابع (اي الادريسي) هكذا «فص الحكمة القدسية في الكلمة الادريسية» والفص الثاني والعشرين (اي الالياسي) هكذا (فص الحكمة القدسية في الكلمة الادريسية) والفص الثاني والعشرين (الفص الادريسي) هكذا «فص الحكمة الايناسية في الكلمة الالياسية» فالعنوان الأول يناسب حال النبي قبل الظهور فيما العنوان الثاني حاله بعد الظهورلقد صرح الشيخ ونصّ في عدة موارد من الفص الالياسي على ان الياس هو ادريس نفسه. قال في أوله:

«إلياس وهو إدريس ـ عليه السلام ـ كان نبياً قبل نوح ورفعه الله مكاناً علياً فهو في قلب الافلاك ساكن ثم بُعث الى قرية بعلبك وبعل اسم صنم وبك هو سلطان تلك القرية، وكان هذا الصنم المسمى بعلاً مخصوصاً بالملك، وكان إلياس الّذي

(١) سورة انبياء: ٨٦.

(٢) سورة انعام: ٨٦ و ٨٧.

(٣) سورة الصافات: ١٢٤ ـ ١٣٣.

هو ادريس قد مثل له انفلاق الجبل المسمى لبنان من اللبانة وهي الحاجة عن فرس من نار وجميع آلاته من نار، فلمّا رآه ركب عليه فسقطت عنه الشهوة فكان عقلاً بلا شهوة فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية؛ الخ».

وقال في آخره:

«فمن اراد العثورعلى هذه االحكمة الإلياسيّة الإدريسيّة الذي أنشأه الله تعالى نشأتين وكان نبيّاً قبل نوح ـعليه السلام ـ **ثم رفع فنزل رسولاً بعد ذلك فجمع الله له بين المنزلتين فلينزل من حكم عقله إلى شهوته ليكون حيواناً مطلقاً حتى يكشف ماتكشفه كلّ دابّة ما عدا الثقلين، فحينئذ يعلم أنّه قد تحقّق بحيوانيته؛ الخ».**

والغرض الرئيس للشيخ في هذا الفص هو اثبات ظهور شخص واحد في صورتين لان ظهور ادريس ـعليه السلام ـ في صورة الياس مع بقاء الأول على حاله من دون ضرورة النسخ والفسخ وقد بيّن الشيخ في أول (فصوص الحكم) أنّه حصل على الكتاب المذكور في مكاشفة على يد رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ وقام بأخذه ونشره بين الناس.

«أما بعد فإني رأيت رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ **في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم لسنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده** ـصلى الله عليه وآله ـ **كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به؛ الخ».**

يقول العارف عبدالرزاق في (شرح فصوص الحكم) في شرحه للفص الادريسي المذكور:

«وقد بالغ إدريس ـعليه السلام ـ **فيالتجريد والترّوح حتى غلبت الرّوحانية على نفسه وخلع بدنه وخالط الملائكة واتّصل بروحانيات الافلاك وترقىٰ إلى**

عالم القدس وأقام على ذلك ستة عشر عاماً لم ينم ولم يطعم شيئاً، لأنّ الشهوة قد سقطت عنه وتروّحت طبيعته وتبدّلت أحكامها بالاحكام الرّوحية، وانقلبت بكثرة الرّياضة وصار عقلاً مجرّداً ورفع مكاناً علياً في السّماء الرابعة».

المقصود من النشأتين في كلام الشيخ اذ قال: (الذي أنشأه الله تعالى نشأتين) هو نشأة النبوة ونشأة الرسالة كما أوضح ذلك بعد العبارة الآنفة حيث قال: انه كان نبياً قبل نوح ثم نزل بعد ذلك وصار رسولاً بل ان القرآن صرّح بذلك وقال: **﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً﴾**وقال: **﴿ان الياس كان من المرسلين﴾** فينبغي ان تحلّ كل مشكلة عن طريقها الخاص بها، فكما ان لكل نتيجة صغرىٰ وكبرىٰ خاصة، ولكل مقدمات ارتباطاً خاصاً بمطلوبها، فكذلك فهْم مسائل الامامة والوصول الى ادراك مثل هذه الاصول في العقائد التي هي من غوامض اسرار المعارف الالهية الحقة، يجب ان يتوصل اليها عن طريقها الخاص بها ومن أهلها، وقد وردت بتوفيقات الله سبحانه في هذه الرسالة اشارة الى بعض منها «**لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً**».

ينقل الجندي في بيان المقام الادريسي الالياسي للانسان الكامل كلاماً ينقله عن ابن الفناري في الفصل الخامس من (مصباح الانس)، فبعد تقديم عدة اصول في امكان ان يكون شيء واحد مظهراً وظاهراً باعتبارين يقول: «**فالانسان الكامل مظهر له من حيث الاسم الجامع، ولذا كان له نصيب من شأن مولاه؛ فاذا تحقق بمظهرية الاسم الجامع كان التروّح من نصيب حقائقه اللازمة فيظهر في صور كثيرة من غير تقيّد وانحصار فتصدق تلك الصّور عليه وتتصادق لاتّحاد عينه كما تتعدّد لاختلاف صوره، ولذا قيل في ادريس انه هو الياس المرسل الى بعلبك، لا بمعنى ان العين خلع تلك الصورة ولبس الصورة الإلياسية والّا لكان**

قولاً بالتناسخ بل إنّ هوية ادريس مع كونها قائمة في انيته وصورته في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في إنية الياس الباقي الى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدة ومن حيث التعين الشخصي اثنين كنحو جبرئيل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد من مائة الف مكان بصور شتى كلّها قائمة بهم وكذلك ارواح الكمّل وانفسهم كالحق المتجلي بصور تجليات لا تتناهى كما ذكره الجندي».[1]

اذن فنتيجة الحديث أن أمر ادريس ـ عليه السلام ـ وبقية الله قائم آل محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ الذي هو صاحب أعدل الامزجة في عالم الانسان الكامل بفضل الله سبحانه والمؤيد بروح القدس وجامع حقائق ورقائق ـ اسماء الله الحسنى هو وفق الموازين العقلية والعلمية، وان الاستبعاد والاستيحاش في مثل هذه المسائل هو من نصيب العوام الغافلين عن العالم الانساني سواءً كانوا قد قالوا شيئاً من العلوم الطبيعية والمادية الرسمية ام لا .

الأمر الثاني: واقعة النبي خالد

روى الصدوق في هذا الباب باسناده عن معاوية بن عمار قال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«بقي الناس بعد عيسى ـ عليه السلام ـ خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة»** وباسناد اخرى روى عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ: **«كان بين عيسى ـ عليه السلام ـ ومحمد صلوات الله عليه خمسمائة عام، منها مائتا وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى ـ عليه السلام ـ قلت:فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين: ثم**

---

(١) مصباح الانس (الطبعة الحجرية) ص ٣٧.

قال ـ عليه السلام ـ **: ولا يكون الأرض إلّا وفيها عالم».**

ان قيد «ظاهر» و«ظاهرة» في هذه الرواية هو انه لا تخلو الارض ابداً من حجة الهية وان لم يكن ظاهراً كما قال في آخر الحديث الثاني **«ولا تكون الارض الّا وفيها عالم»** وعن علي ـ عليه السلام ـ لكميل: **«اللهم انك لا تُخلي الارض من قائم بحجة اما ظاهر أو خاف مغمور كيلا تبطل حججك وبيناتك».**

ستتعرض لحديث الامام ـ عليه السلام ـ لكميل بالتفصيل فيما بعد، وفي الدعاء السابع والاربعين للامام سيد الساجدين المعروف بدعاء عرفه يقول الامام: **«اللهم إنّك أيدت دينك في كل أوان بامام أقمته علماً لعبادك مناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك والذريعة الى رضوانك الخ».**

لدي نسخة من **(المصباح الصغير)** وهو خلاصة **(مصباح المتهجد)** للشيخ الطوسي (قدس سره) مما كتب في حاشيته **«والأنبياء الذين كانوا زمن الفترة بين عيسى** ـ عليه السلام ـ **ونبينا** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **جرجيس** ـ عليه السلام ـ **من أهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح** ـ عليه السلام ـ **الى بلد الموصل، وخالد بن سنان العبسي من العرب بعد عيسىٰ** ـ عليه السلام ـ **وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة بين عيسىٰ ونبينا** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **» انتهىٰ**

ومن الانبياء الذين كانوا في الفترة بين المسيح ـ عليه السلام ـ ونبينا ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ النبي شمعون الصفا وصيّ عيسىٰ كما ذكر في الروايات، وقال المرحوم الصدوق في الباب الأول من (كمال الدين) في مقدمة الكتاب: **«ومثل عيسى(ع) كان وصيه شمعون الصفا وكان نبياً .. الخ»**[1]

وبعض الانبياء المذكورين في زمن الفترة ورد ذكرهم في الدعاء المعروف

---

(١) كمال الدين الطبعة الحجرية ص١٧.

(الاستفتاح) في عمل ام داود من اعمال شهر رجب نقله الطوسي في مصباح المتهجد:

«اللهم صلّ على ابينا آدم بديع فطرتك... اللّهم صلّ على أمّنا حواء المطهرة من الرجس .. اللّهم صلّ على هابيل وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وشعيب وأيّوب وموسى وهارون ويوشع وميشا والخضر وذي القرنين ويونس وإلياس واليسع وذي الكفل وطالوت وداود وسليمان وزكريا وشعيب ويحيى وتورخ ومتّى وارميا وحبقوق ودانيال وعزير وعيسى وشمعون وجرجيس والحواريين والأتباع وخالد وحنظلة ولقمان؛ اللّهم صلّ على محمد سيّد المرسلين»؛ الخ.

ووجه تسمية الدعاء المذكور بدعاء ام داود ـ كما في عمدة الطالب ـ هو ان داود هذا ابتلي بسجن المنصور الدوانيقي وتخلص من السجن ببركة هذا الدعاء الذي علّمه الامام الصادق الى ام داود فتخلص ابنها من السجن[1] .

من بين انبياء زمن الفترة تحظىٰ قصة النبي خالد ـ عليه السلام ـ بالعجب ويفتح منها لأهل السر باب من اسرار الانسان الكامل المنعَّم بنعم حقائق الاسماء الالهية.

في روضة الكافي لثقة الاسلام الكليني وفي المجلد الخامس من البحار (النبوة) نقلاً عن الكافي وقصص الانبياء وكمال الدين والاحتجاج[2] وكذلك في الوافي[3] للفيض المقدس نقلاً عن الكافي باب باسم (قصة خالد بن سنان العبسي ـ عليه السلام ـ) حيث شرح احوال ذلك النبي بالتفصيل كما ان الشيخ

(١) عمدة الطالب (ط النجف) ص١٧٨.

(٢) البحار (طبع كمباني) ج ٥ ص٣٧٦.

(٣) الوافي ج ١٤ ص ٩٤.

الاكبر(ابن عربي) جعل الفص السادس والعشرين من (فصوص الحكم) باسم (الفصّ الخالدي) أو (**الحكمة الصمدية في الكلمة الخالدية**) ثم ختم كتابه بالفص المحمدي وقد نقل الشرّاح (كالعارف الملا عبدالرزاق والعارف القيصري والجامي والبالي وعبد الغني النابلسي وغيرهم) قصة ذلك النبي وورد اختلاف بسيط في بعض التعابير مع الكتب الروائية الآنفة الذكر. وذكروا لطائف ثمينة وقيّمة في شرح الفصّ المذكور في الاطوار الوجودية للانسان الكامل، ونحن نكتفي بنقل قسم من كلام الشيخ فقط. قال:

«اما حكمة خالد بن سنان فإنّه اظهر بدعواه النبوّة البرزخيّة فإنّه ما ادّعى الإخبار بما هنالك الّا بعد الموت فأمر أن ينبش عليه ويسأل فيخبر أن الحكم في البرزخ على صورة الحياة الدنيا، فيعلم بذلك صدق الرسل كلّهم فيما أخبروا به في حياتهم الدّنيا، فكان غرض خالد إيمان العالم كله بما جاءت به الرسل ليكون خالد رحمة للجميع، فإنّه شرف بقرب نبوّته من نبوة محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ. وعلم خالد أن الله ارسله رحمة للعالمين، ولم يكن خالد برسول فأراد أن يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمدية على حظّ وافر ولم يؤيد بالتبليغ، فأراد أن يحظىٰ بذلك في البرزخ ليكون أقوى في العلم في حق الخلق، فأضاعه قومه ولم يصف النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قومه بأنهم ضاعوا وإنما وصفهم بأنّهم اضاعوا نبيّهم حيث لم يبلغوه مراده».

يقول الشيخ البهائي (قده) في الكشكول:

«أسماء الانبياء الذين ذكروا في القرآن العزيز خمسة وعشرون نبياً: محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ آدم، ادريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، يونس، داود، سليمان،

إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى، وكذا ذالكفل عند كثير من المفسرين»[1] .

في دعاء ام داود المشار اليه ورد ذكر كل هؤلاء الانبياء الخمسة والعشرين، قال الله في كتابه:

﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾[2]، وكذلك قال: **﴿ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾**[3].

وفصوص الحكم المذكورة إنما هي **٢٧** فصاً باسم **٢٧** شخصاً، لم يذكر صاحبها من الـ(**٢٥**) نبي المذكورين في القرآن اليسع وذي الكفل فيكون قد ذكر **٢٣** إسماً من الانبياء الـ(**٢٥**) الذين ذُكروا في القرآن اضافة الى(٤) انبياء انفرد بذكرهم عن القرآن وهم شيث وعزير ولقمان وخالد .

ان للشيخ في تسميته الفصوص باسم كل واحد من اولئك الانبياء وفي ترتيب الفصوص غرضاً عرفانياً في المقامات الانسانية النوعية الرفيعة في الاطوار والادوار لا أن تكون ترجمه شخصية خاصّة في كل فص،اذ يمكن ان يكون انسان عيسوي المشرب او موسوي المشرب وان لم يكن حائزاً لرتبة النبوة التشريعية كما أن (**بقية الله قائم آل محمد**) ارواحنا فداه ليس حائزاً على درجة النبوة.

---

(١) كشكول البهائي (مطبعة نجم الدولة) ص٣٨

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) غافر: ٧٩.



الباب السابع:
الانسان الكامل هو العقل المستفاد

الكمالات الفعلية للنفوس القدسية المكتفية متحققة بالفعل

(ز) ومثل هذا الانسان هو عقل مستفاد: **«إن هٰهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة»**[1].

﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[2]. فهو واجد لجميع الحقائق الاسمائية وحائز على جميع المراتب الكمالية، لان كل ما هو ممكن للبارى تعالىٰ والمفارقات النورية بالامكان العام فهو واجب لعدم وجود الحالة المنتظرة فيهم؛ فان الحالة المنتظرة انما توجد في شيء ذي امكان استعدادي وهو من أحوال المادة. اما المفارقات النورية فهي تامة، وواجب الوجود فوق التمام **(والله من ورائهم محيط)**.

بناءً على هذا فمن جهة التجرد الروحاني للانسان الكامل وكمال اعتداله الوجودي الذي هو نفس مكتفية وكاملة بالفعل يجب ان تكون ـ بالفعل ـ المظهر التام لجميع الاسماء والصفات الالهية، لانه حيث لا إمساك من ذلك الجانب وان

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) يس: ١٣.

النفس في كمال الاعتدال والاستواء من هذا الجانب، لهذا فالكمالات الانسانية الممكنة للنفوس الناقصة تكون واجبة بالفعل بالنسبة للنفوس الكاملة.

هذه المنزلة الرفيعة للعقل المستفاد يسمىٰ بالقلب في اصطلاح أرباب العقول، وكما يقول القيصري في شرح الفَص الشعيبي من فصوص الحكم:**«القلب يطلق على النفس الناطقة اذا كانت مشاهدة للمعاني الكليّة والجزئية متى شاءت وهذه المرتبة مسماة عند الحكماء بالعقل المستفاد».**

يقال لمثل هذا الشخص الانسان، والانسان الكامل، والمرآة التي تكشف العالم وتعكس الوجود، واسماء كثيرة اخرىٰ. وليس في الموجودات أعلم أو أعظم منه، فهو زبدة وخلاصة الموجودات، ويكون جميع عمال مصنع الوجود من الأعلىٰ الى الأسفل ومن الملائكة الكروبيين حتى القوىٰ المنطبعة في الطبائع، ومن العقل الأولي حتى الهيولي الاولىٰ خدَمة له ويطوفون حوله.

اتحاد النفس وفناؤها في العقل الكل:

بما ان الانسان الكامل هو العقل المستفاد فانه يصدق عليه: **«إذا شاءوا أن عُلّموا عُلِّموا (أو أُعلموا أو عَلموا)»** ليس الارتباط بالعقل البسيط فحسب فهو العقل الكل بل متصل ومتحد معه، لا بل ان الاتحاد ايضاً من ضيق التعبير لان الموضوع أعلى من ذلك، وقد عُبّر عنه بالفناء من بِاب المسامحة، واللابد، ولكنه الفناء الذي هو قرة عين العارفين.

قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ :**«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»** والنكرة في سياق النفي تفيد العموم فتكون عبارة (لا يسعني) شاملة له (ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ) والحالة هذه، فتَبصّر.

«وإنما قال وقت ولم يقل مقام للفرق بين مرتبة الرسالة ومرتبة الولاية لأن

دعوىٰ الرسالة لا يلائم دعوىٰ المقام هناك وانما يلائم الدعوىٰ الموقتية[١].

فانه مقام الشهود الدائم بخلاف الوقت، والفرق بين الوقت والمقام كالفرق بين الحال والملكية[٢].

قال كشاف الحقائق الامام بالحق الناطق صادق ال محمد(ـ عليه السلام ـ): «**لنا مع الله حالات هو نحن ونحن هو وهو هو ونحن نحن**» وقال ايضاً: «**ان روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها**»[٣].

«والامام المبين في سورة يس هو الامام علي ـ عليه السلام ـ فهو الانسان الكامل».

في المجالس باسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر ـ عليه السلام ـ قال: **لما نزلت هذه الاية: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** قام رجلان من مجلسهما فقالا يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فالانجيل؟ قال: لا، قالا: فالقرآن؟ قال: لا، قيل: أميرالمؤمنين علي ـ عليه السلام ـ؟ فقال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: هذا الامام الذي أحصىٰ الله فيه علم كلّ شيء[٤].

من شأن كل شيء ان يكون معقول الانسان ومن شأن الانسان ان يعقل كل شيء

ان من شأن كل موجود مادياً كان او عارياً عن المادة واحكامها ان يكون

---

(١) الاسفار ج ٣ ص ٦٢ ط ١.

(٢) الاسفار ج ٣ ص ٨٤ ط ١.

(٣) اصول الكافي المعرب ج ٢ ص ١٣٣.

(٤) (الفصول المهمة في اصول الائمة عليهم السلام، ج ٢، باب ان كلّ واقعة تحتاج اليها الامة لها حكم شرعي معين، ولكلٍ دليل قطعي مخزون عند الائمة عليهم السلام).

بذاته معلوماً ومعقولاً للانسان وكذلك للانسان مثل هذه الشأنية والقابلية والاستعداد ـ وبافاضة محرج النفس القوة الى الفعل ـ بان يخرج من القوة الى الفعلية ليكون مصداق «**احصىٰ الله فيه علم كل شيء**» بل يكون كل الاشياء، كما ثبت بالبراهين القطعية للعقل والعاقل والمعقول والذي هو العلم والعالم والمعلوم او الادراك والمدرِك[1] والمدرَك نفس الحقيقة والهوية حسب الوجود لان جامعية الانسان الكامل الذي «**أحصىٰ الله فيه علم كل شيء**» يتمثل في لوح فؤاد كاملٍ آخر.

فهي تظهر طبقاً لعرف الناس وعادتهم ولتقريب أذهانهم الى الواقع على صورة قطيع الأبل الممتد دون بداية او نهاية ـ مثلاً ـ حاملاً لتلك الفضائل والمناقب كما ان النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ رأى فضائل الوصي ـ عليه السلام ـ كذلك لكن رؤية النبي تمثلت في صقع نفس خاتم النبيين ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ كما قال هو ليلة الاسراء: «**مثل لي النبيون**»، ﴿**واذكر في الكتاب مريم... فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً**﴾[2].

❀ ❀ ❀

---

(١) من تأليفات الفقير الى ربه رسالة في اتحاد العقل والعاقل والمعقول وقد بحثنا فيه تفاصيل ذلك.

(٢) مريم: ١٦.

كل الموجودات العينية بمثابة أعضاء
الانسان الكامل وجوارحه

بما ان الانسان ارتبط بالعقل البسيط بالنحو الذي اشير إليه، فان جميع شؤون العقل البسيط من أقصاه الى اقصاه ومن سفلاه الى علياه، ستكون بمنزلة أعضائه وجوارحه ويتصرف فيها جميعاً كتصرف النفس في الأعضاء والجوارح، وتكون كلها مسخرة له.

فان السعيد الذي صار عقلاً مستفاداً قد استوفىٰ جميع شؤون ما دون العقل كما إن صاحب مقام الولاية والامامة يحب ان يكون حائزاً على جميع المعقولات والمدركات مثل الوصول الى ذلك المقام، اي أن يصير عقلاً مستفاداً وفي مقام مشاهدة المعقولات كما نرىٰ نحن المبصرات، وسمىٰ بعض أرباب المعرفة ذلك المقام الشامخ بالفؤاد **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**[1]، فان للحقيقة الانسانية في العالم الكبير والصغير مظاهر وأسماء مما تقالُ في الروح. وان شئت قلت: إن الطبيعة يجب ان تستفيد من كل حق وحقيقة متصورة ومتحققة في طريق استكمالاتها الذاتية اي طريق سلوكها حتىٰ الوصول الى الغاية الجمعية لان الطبيعة ما لم تستوفِ كلَّ حق من الحقوق الجمادية فان دخولها

---

(١) النجم: ١١.

وورودها الى أدنىٰ درجة نباتية غير متصور،وكذلك من النباتية الى الحيوانية الى الانسانية ثم الى ما شاء الله، ومن هذا الحديث يتضح السر في أن الانسان الكامل الخاتم هو الغاية في النظام الكلي الأعلى والجامع لجميع الحقائق العالية: **﴿لا يعزب عن مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾**[١].

الطفرة محال مطلقاً:

وسبب الاستيفاء المذكور هو أن الطفرة محال مطلقاً سواء في الماديات أو في المعنويات. فما لم يتجاوز الشيء حدوده الجسمية والجمادية والنباتية لا يصل الى أولىٰ الدرجات العقلية؛ فالنقل من عالم الوجود المادّي للوصول الى الوجود العقلي يتطلب النقل الى عالم الحس أولاً وبعده الى عالم الخيال ومن ثم الى عالم العقل. ومحال ان تصل النفس من العقل الهيولاني الى العقل بالفعل من دون ان تكون قد تخطّت وتجاوزت مرحلة العقل المستفاد من مرحلة العقل بالملكة ودون ان تقطع في أثناء سلوكها الاستكمالي مرحلة العقل بالفعل.

سبحان الله ان القوة المنطبعة في سلالة الطين تتحول بتجدّد الامثال والحركة الجوهرية باذن الله تعالىٰ الى إمام مبين فتكون نقطة باسم بذرة اكبر كتاب الهي، واللوح المحفوظ لجميع حقائق الاسماء والصفات،وحبة صغيرة من شجرة طوبىٰ الطيبة تكون فروعها جميع العوالم المادية والمعنوية **﴿نساؤكم حرث لكم﴾**[٢]، **﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾**[٣]

❀ ❀ ❀

---

(١) سبأ: ٣.

(٢) البقرة: ٢٢٣.

(٣) الواقعة: ٦٣.

الباب الثامن
الانسان الكامل ثمرة شجرة الوجود
وكمال العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والايجادية

(ح) ومثل هذا الانسان ثمرة لشجرة الوجود وكمال العالم الكوني وغاية للحركة الوجودية والإيجادية «**نحن صنائع الله والناس (والخلق ـ خ ل) بعد صنائع لنا**»[1] فالغاية القصوىٰ من ايجاد العالم وتمامه وكماله هو خلق الانسان؛ وغاية خلق الانسان ووجوده وصول قوتي عقله النظري والعملي الى الفعلية اي وصولهما من القوة الى الفعل والى الكمال من النقص.

تفسير سورة «والعصر» عن الخواجة الطوسي

للخواجة نصير الدين الطوسي بيان موجز ومفيد في تفسير سورة العصر المباركة يحسن نقله هنا وهو: «**بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الإنسان لفي خسر**» اي الاشتغال بالأمور الطبيعيّة والاستغراق بالنفوس البهيميّة، «**إلّا الذين آمنوا**» اي الكاملين في القوة النظرية، «**وعملوا الصّالحات**» أي الكاملين في القوة العمليّة، «**وتواصوا بالحق**» أي الذين يكمّلون عقول الخلائق بالمعارف النظرية،

---

(١) نهج البلاغة.

«**وتواصوا بالصّبر**» اي الذين يكمّلون اخلاق الخلائق ويهذّبونها .

ان العالم معمل عظيم لصناعة الانسان فإذا لم ينتج مثل هذا الانسان لزم العبث في الخلق، على ان خلق سائر المخلوقات متفرعة عليه.

كمال عالم الوجود وغرضه الانسان:

للشيخ الرئيس كلام في المبدأ والمعاد في بيان هذا الموضوع السامي يقول:

«**كمال العالم الكوني أن يحدث منه إنسان وسائر الحيوانات والنباتات يحدث إما لأجله وإما لئلا تضيع المادة كما أن البنّاء يستعمل الخشب في غرضه فما فضل لا يضيعه بل يتخذه قسيّاً وخلالاً وغير ذلك، وغاية كمال الانسان ان يحصل لقوته النظرية العقل المستفاد ولقوته العملية العدالة وهاهنا يتختم الشرف في عالم المواد**».

والحاصل ان المقصود من الخلقة ينحصر في الانسان الكامل وان خلق سائر الاكوان من الجمادات والنباتات والحيوانات إنما هي في خدمته من جهة احتياجه في المعيشة والانتفاع بها.

وما لم تهمل المواد وتبدّد فهي تتحول الى خالص وزبدة موادّ خلق الانسان فان الحكمة الالهية والرحمة الربانية تقتضي عدم ضياع أي حق من الحقوق بل ان كل مخلوق يصل الى سعادته حسب استعداده وقابليته. كذلك فان للشيخ في آخر الهيات الشفاء بياناً شافياً في هذا الغرض الأسنىٰ حيث يقول:

رؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربّاً انسانياً وكاد أن تحل عبادته بعد الله تعالى وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه».

الغرض؛ ان اشرف الموجودات وأعظم المخلوقات على حسب النوع هو الانسان وبحسب الشخص فهو الفرد الكامل الذي يكون كمالَ العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والايجادية. أقول:

أما ان نعتقد بالسفسطائية التي تنكر الحقيقة والواقع، ولا يخفىٰ على العاقل وهن هذا القول **﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾**[1] والادلة على رد مزاعمهم كثيرة جداً؛

وأما أن نقول بوجود الواقع ونفس الأمر ولكنه ليس سوىٰ المادة والطبيعة ولا وجود لشيء فوق الطبيعة؛ وبديهي ان هذا القول هو الآخر تدحضه براهين تجرد النفس الناطقة والعلم ومعطى العلم الذي هو مخرج النفوس من النقص الى الكمال، ومن أن وعاء العلم موجود غير مادي، ووحدة الصنع و.و.و.، مما يكفي كل منها للرد علىٰ هذا الرأي ايضاً.

أو أن نقول ان الوجود لا ينحصر بالطبيعة وان هناك وجوداً لما فوق الطبيعة مما يعبر عنه بما وراء الطبيعة وما قبل الطبيعة أيضاً، وأن وحدة الصنع مثلاً تدلّ على وحدة الصانع وان للعالم مبدأ، ولكن ننكر ان يكون له معاد بمعنىٰ ان يكون الخلق بلاغرض وان هذا المعمل العظيم اللامتناهي والعجيب للوجود والذي هو عبارة عن الحياة والعلم والارادة والقدرة والاوصاف الجمالية والجلالية الاخرىٰ عبث. في عبث وبديهي ان الشواهد دليل على رد مثل هذه الاساطير.

أو ان نعتبر الغاية والغرض وكمال العالم الكوني عناصر، والحال ان المعادن أفضل. واذا كانت معادن فالنبات أفضل أونبات فالحيوان أفضل او حيوان

---

(١) العنكبوت: ٤١.

فالانسان أفضل ومن بين الناس يكون الذي بلغت القوة النظرية والعملية فيه الى الكمال هو الافضل.

اذن لو أن العالم الكوني والنشأة العنصرية افتقد مثل هذا الانسان دائماً فحريّ أن نعتبره بلا كمال كالشجر بلا ثمر؛ لهذا لا تخلو النشأة العنصرية (اي العالم الكوني) من الانسان الكامل أبداً.

الحركة الوجودية والايجادية

كانت هذه احدى المباني القويمة للحكيم في ان الانسان الكامل هو غاية العالم الكوني والنشأة العنصرية، لكن في نظر العارف فان الحركة الوجودية والايجادية حسيّة مأخوذة من «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**».

ان غاية الحركة الوجودية هي الكمال الحقيقي الحاصل للانسان، اي ان الحركة الوجودية حركة استكمالية في أن يصل الانسان الى الكمال الحقيقي، فان الخلق ليس عبثاً وان كل نوع هو في طريق التكامل ويصل الى كماله الممكن، وكذلك الانسان فهو ليس مستثنىً من هذا الإمكان،اذن فالوصول الى الغاية الانسانية ممكنة له، ولا بدّ ان يبلغ المرحلة الفعلية، وذلك البالغ الى الفعلية هو الانسان الكامل.

غاية الحركة الوجودية والايجادية

وغاية الحركة الايجادية ظهور الحق من المظهر التام المطلق الشامل لجميع جزئيات المظاهر وذلك هو الانسان الكامل. وهذا الاطلاق للسعة الوجودية الحاوية لجميع الشؤون يقول عنها صائن الدين في(التمهيد) لهذا الأصل السديد والحكم الرشيد:

«غاية الحركة الإيجادية هو ظهور الحق في المظهر التام المطلق الشامل لجزئيات المظاهر والمراد بالإطلاق الذي هو الغاية في الوصول هاهنا ليس هو الاطلاق الرسمي الاعتباري المقابل للتقييد بل الغاية هاهنا هو الإطلاق الذاتي الحقيقي الّذي نسبة التقييد وعدمه إليه على السوية اذ ذلك هو الشامل لهما شمول المطلق لجزئياته المقيدة»[1].

وفي غاية الحركة الوجودية يقول في التمهيد ايضاً: **«الغاية للحركة الوجودية هو الكمال الحقيقي الحاصل للانسان»** والمراد من المظهر التام في عبارة (ابن تركة صائن الدين) هو الانسان الكامل.

اذن بحكم الحكيم وامضاء العارف يكون الانسان الكامل هو كمال العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والايجادية. وفي الحقيقة فمسلك هذا مسيرذاك ومبنىٰ ذلك منهج هذا.

---

(١) ص١٥٩ الطبعة الحجرية ط١.

اذن نتيجة فصل الخطاب هذا هو أنه لا يخلو العالم الكوني (المعبر عنه أيضاً بالنشأة العنصرية) أبداً من الانسان الكامل الذي هو غاية وكمال العالم وحجة الله وخليفته؛ وما روي بشأن هذا البرهان الحكمي والعرفاني مستفيض من الفريقين وخارج عن حدود هذا البحث: **«اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ... اولئك خلفاء الله في أرضه»**[1].

ومن طرق العامة اخرج ابن عساكر عن خالد بن صفوان عنه ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ قال: **«لم تخل الارض من قائم لله بحجة في عباده»**[2].

الغرض من ايجاد الانسان والسر المطلق للايجاد:

استناداً الى تحقيق اهل الشهود أنّىٰ نزل سلطان الوجود كانت عساكر أسمائه وصفاته في معيته بل تحت راية عزته سبحانه وتعالىٰ كما جاء في مصباح الانس: **«ان كل شيء فيه الوجود ففيه الوجود مع لوازمه فكلّ شيء فيه كل شيء ظهر أثره أم لا»**[3]. وكذلك في مطلع «خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم» ورد: **«ان لوازم الوجود موجود في كل ماله وجود إلّا أنّها ظاهرة الوجود في البعض وباطنة في الآخر»**.[4]

أقول: اذا كان رأي الأصحاب وفقاً لهذا الرأي السديد والقول الثقيل فنعم ما هو، ولا يبعد ان يكون قدماء الحكماء قد ساقوا حديثهم على هذا المحمل، ولكن المتأخرين أخذوا ظاهر قولهم واعترضوا عليه وأوردوا عليه الطعون كما أن نظائر ذلك كثيرة، والدخول في التفصيل يوجب التطويل والخروج عن موضوع الرسالة.

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين(ع) ص ٥٠١ ط ١.

(٣) مصباح الانس (الطبعة الحجرية) ص ٣٠٥.

(٤) خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم (الطبعة الحجرية) ص ٣٨٤.

ان الاسماء الحسنىٰ الخارجة عن حد الاحصاء هي تعينات الشؤون الالهية وخصوصيات النسب العلمية والصور العينية له (عزوجل) والعين ظاهرة والشأن باطنة، كما أن الحق بحسب العين الأحدي وبحسب الاسماء كثير، والكون في لسان صدق هذا الفريق هو الجمع بين ذينك الاثنين، والانسان الكامل الجامع لآثار كل الأسماء هو الكون الجامع بين صفات القدم والحدثان اي البرزخ بين الوجوب والامكان.

ان تجلّي الحق المتحقق بالكمال الذاتي متوقف على الظهور وان كان بحسب ذاته منزهاً عن الاستكمال بالمصالح والاغراض وغنياً عن العالمين، ومظهره الأتم هو لفظ الجلالة (الله) قبلة وقدوة جميع الأسماء وغاية الحركة الوجودية والايجادية وكمال العالم الكوني الطبيعي والمقصد النهائي لقوافل النشأة العنصرية، أعني الانسان الكامل الذي هو آخر المظاهر. ومن هنا يتضح الغرض وينكشف السر المذكور، فافهم.

ان الفيض الالهي المنقسم الى الاقدس والمقدس؛ والأخير يترتب على الأول والذي هو عبارة عن التجلي الحبّي الذاتي الموجب لوجود الاشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية كما قال هو نفسه «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف**» والفيض المقدس عبارة عن التجليات الاسماءية الموجبة لظهور ما يقتضي استعدادات الاعيان الثابتة في الخارج؛ وبعبارة أخرىٰ: فان الاعيان الثابتة واستعداداتها الاصلية في الحضرة العلمية انما تحصل بالفيض الاقدس، فيما يحصل بالفيض المقدس ما تقتضيه تلك الاعيان الثابتة في الخارج مع لوازمها وتوابعها؛ ولذا قيل في وجه تسمية الفيض بالاقدس انه اقدس من جهة أنّ هذا الفيض غير مفيض أو انه اقدس من شوائب الكثرة الاسماءية ونقائصِ الحقائق الامكانية بخلاف الفيض المقدس، فافهم.

❀ ❀ ❀

في اتحاد النفوس المكتفية بالنفس الرحمانية والعقل البسيط:

اعلم انه قد حقق في صحف اهل التحقيق ان الصادر الأول هو النفس الرحمانية، وذلك هوأصل الاصول وهيولي العوالم اللامتناهية ومادة التعيينات، ويعبر عنه كذلك بالتجلي الساري والرقّ المنشور والنور المرشوش والوجود المنبسط. والصادر الأول هو الوجود العالم المفاض على أعيان المكوّنات ما وجد منها وما لم يوجد ممّا سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلىٰ الذي هو اوّل موجود، المسمّى ايضاً بالعقل الأول، وبين سائر الموجودات.

القلم الأعلىٰ أوالعقل الأول هو المخلوق الاول والذي هو واحد من تعيّنات الصادر الأول ومظهر الاسم الشريف المدبر بل هو هكذا كما ورد في النفحات الالهية:

«حقيقة القلم الأعلىٰ المسمّى بالعقل الأوّل عبارة عن المعنى الجامع لمعاني التعيّنات الإمكانية التي قصدالحقّ افرازها من بين الممكنات الغير المتناهية ونقشها على ظاهر صفحة النور الوجودي بالحركة العينية الإرادية وبموجب الحكم العلمي الذاتي»[1]

---

(١) مصباح الانس: ص٢٧.

فاوّل ما خلق الله القلم وأوّل ما خلق الله العقل (الخلق بمعنى التقدير) فـفي مصباح الفيومي: «الخلق التقدير يقال: خلقت الأديم للسّقاء إذا قدرت له».

يقول الزمخشري في الأساس:«خلق الخرّاز الاديم والخياط الثوب قدّره قبل القطع».

ويقال للنفس الرحمانية بالحقيقة المحمدية ايضاً لانها نفس أعدل الامزجة وهي النفس المكتفية وتعادل حسب الصادر الاول حسب الصعود وارتقاء الدرجات واعتلاء المقامات وان كانت من حيث بدء التكون والحدوث جسمانية كالنفوس العنصرية الاخرى، بل واكثر من العدل المذكور فهو يحصل له اتحاد وجودي مع الوجود المنبسط وتصبح في هذا المقام جميع الكلمات شؤوناً حقيقية.

ان للشيخ العارف ابن عربي في الباب ١٩٨ من **(الفتوحات المكية)** كلاماً مشهوراً في معرفة (النفس) (بفتح الفاء) واسراره؛ وخلاصته:

«الموجودات هي كلمات الله التي لا تنفد كما في قوله تعالى:

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾[١]، وقال تعالى في حق عيسى: ﴿وكلمته ألقاها الى مريم﴾[٢]، وهو عيسى؛ فلهذا قلنا إن الموجودات كلمات الله - الى أن قال: وجعل النطق في الإنسان على أتمّ الوجوه، فجعل ثمانية وعشرين مقطعاً للنفس يظهر في كل مقطع حرفاً معيّناً هو غير الاخر، ما هو عينه مع كونه ليس غير النفس. فالعين واحدة من حيث أنّها نفس، وكثيرة من حيث المقاطع».

هذه النفس التي هي وجود منبسط بما أنها أصل جميع التعينات والكلمات

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) النساء: ١٧١.

الوجودية يقال له من جهة كونها الأصل و(الفاعل)،(رب الاكوان) كما هو عند أهل التحقيق، أو عالم الامكان بلحاظ كونه هيولي التعيّنات الوجودية وهي قابله ولما كانت النفس المكتفية في قوس الصعود قابلة للاتحاد الوجودي معه فقداتصفت بأوصافه فصارت من الناحية الفاعلية أب الاكوان ومن الناحية القابلية ام عالم الاكوان وهكذا في الاوصاف الكمالية الاخرىٰ. واعلم ايضاً أن المراد من سريان الولاية الذي يدور على ألسنة اهل التحقيق هو نفس سريان الوجود المنبسط والنفس الرحمانية والفيض المقدس كما قالوا: ان وجود وحياة جميع الموجودات بمقتضىٰ قوله تعالى: **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾**[1] إنما هو بسريان ماء الولاية اي النفس الرحمانية التي هي بمنزله الهيولي وبمثابة المادة السارية في جميع الموجودات .

ويقال للنفس الرحمانية هذه: الحقيقة الانسانية ايضاً، فقد اعتبروا العالم صورة الحقيقة الانسانية كما قال العلامة القيصري في الفصل الثامن من مقدمات شرح فصوص الحكم: «**العالم هو صورة الحقيقة الانسانية**».

وللوصول الى هذا المطلب السامي ينبغي الاستمداد من مبحث اتحاد النفس مع العقل البسيط المبرهن عليه في الحكمة المتعالية: **﴿والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل﴾**.

فمن هذا البحث في علم الانسان الكامل **﴿وكل شي أحصيناه في إمام مبين﴾**[2]. **﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾**[3] وفي ضبط واحاطة جميع الحضرات في اصطلاح اهل التحقيق وفي تبيينه حقائق الاسماء ومن تصرفه في مادة الكائنات

(١) الانبياء: ٣.
(٢) يس: ١٢.
(٣) البقرة: ٣١.

حيث تغدو جميع الموجودات العينية بمنزلةاعضائه وجوارحه وان التأثير في العالم السفلي لا يتحقق من دون التأييد من العالم العلوي بحيث يستطيع الانسان الواجد للعالم العلوي من التأثير في السفلي.. ومن كل ما مرّ ينبغي الحصول على الوعي ومعرفة الانسان الكامل.

يعلم من سر النفس الرحمانية ان الكلام ليس زائداً على ذات المتكلم كما ان الكلمات الوجودية كلها تعيّنات النفس الرحمانية وان للنفس المؤيدة المكتفية في مقام الارتقاء الوجودي بالنفس الرحمانية مرتبةً فوق الخلافة الكبرىٰ.

«إذا شاء الحقّ تعالى بسابق عنايته أن يطلع من اختاره من عبيده على حقائق الاشياء على نحو تعيّنها في علمه جذبه إليه بمعراج روحاني فيشاهد انسلاخ نفسه عن بدنه وترقّيه في مراتب العقول والنفوس متحداً بكلّ عقل ونفس طبقة بعد طبقة اتحاداً يفيده الانسلاخ عن جملة من أحكامه الجزئية وأحكامه الإمكانية في كلّ مقام حتى يتّحد بالنّفس الكليّة، ثمّ بالعقل الأول إن كمل معراجه؛ فيظهر جميع لوازم ماهيته من حيث إمكاناتها النسبية ما عدا حكماً واحداً هو معقوليّة كونه في نفسه ممكناً في العقل الأول فتثبت المناسبة بينه وبين ربّه،ويحصل القرب الّذي هو أول درجات الوصول ويصحّ له الأخذ عن الله بدون واسطة كما في شأن العقل الأوّل،وللإنسان أن يجمع بين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة العقول والنفوس بموجب حكم امكانه الباقي وبين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة بحكم وجوبه فيحلّ مقام الإنسانية الحقيقية التي فوق الخلافة الكبرى، هذا ما أبانه الصّدر القونوي في الهادية».

وكذلك نتبرك بنقل عدة جمل من الكلمات المكنونة لصدر المتألهين، يقول في كتاب المفاتيح: (**إن الانسان الكامل حقيقةٌ واحدة وله أطوار ومقامات**

ودرجات كثيرة في القيود وله بحسب كلّ طور ومقام اسم خاصّ».

ويقول في موضع آخر:

«النفس الإنسانية من شأنها أن تبلغ إلى درجة يكون جميع الموجودات اجزاء ذاتها وتكون قوتها سارية في الجميع ويكون وجودها غاية الكون والخليقة»

ويقول في موضع آخر:**«واعلم ان الباري تعالى وحداني الذات في أول الاولين وخليفة الله مرآتيّ الذات في آخر الآخرين ﴿كما بدأكم تعودون﴾[1]. فالله سبحانه رب الارض والسماء وخليفة الله مرآة يظهر فيها الاسماء ويرىٰ بها صور جميع الاشياء».**

وبالجملة فان اهل التحقيق، واستناداً الى الوحدة الشخصية للوجود، يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن مراتب جميع الموجودات في قوس النزول هي من تعيّنات النفس الرحمانية وحقيقة الولاية، وان لحقيقة النفس الانسانية في قوس الصعود جميع المظاهر، وهي جامعة لجميع المراتب، اذن فجميع حقائقها العقائدية ورقائقها البرزخية التي يعبرعنها تارةً بالعقل وأحياناً بالشجرة واخرىٰ بالكتاب المسطور وبعبارات واسامي مختلفة، أنّها جميعاً نفس حقيقة الانسان الكامل والتي تحصل حسب كل درجة من درجاتها ـ على تعيّن خاص واسم مخصوص. ومن هذه الجهة جاز لحقيقة الانسان الكامل ان يسند آثار جميع تلك التعيّنات الى حقيقته، كما ورد في الخطبة المنسوبة لاميرالمؤمنين وسيد الموحّدين : **«أنا آدم الأول،أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا صاحب الصور، أنا ذلك النور الذي اقتبس موسىٰ منه الهُدىٰ، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المُبتلىٰ وشافيه»** الى غير ذلك من الاخبار والآثار.

---

(١) الاعراف: ٢٩.

وفي هذا الموضوع فان الفصل الثامن من مقدمات العلّامةالقيصري على شرح فصوص الحكم مطلوب. وقول الامام «**أنا آدم الأول .. الخ**» من هذا الباب الذي بيّنه العلّامة القيصري في اول شرح فص الإسحاقي من فصوص الحكم هو ان:

«العارف المطّلع على مقامه هو على بيّنة من ربّه يخبر عن الأمر كما هو عليه كإخبار الرسل عن كونهم رسلاً وأنبياء لا أنَّهم ظاهرون بأنفسهم، مفتخرون بما يخبرون عنه».[1].

والتبصرة في هذا المرصد الأسنىٰ يجب أن يأخذ هذا الأصل الرصين في الإنسان الكامل بنظرالاعتبار، كما قال المرحوم المتألّه السبزواري في تعليقة الاسفار:

«وقد قرّر أن العقول الكليّة لا حالة منتظرة لها فكيف يتحوّل الرّوح النبوي الختمي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **من مقام إلى مقام؟ فالجواب أنّ مصحح التّحوّلات هو المادة البدنيّة، ففرق بين العقل الفعّال الذي لم يصادف الوجود الطبيعي وبين الفعّال المصادف له؛ فالأول له مقام معلوم، والثاني يتخطى إلى ما شاء الله كما قال** ـ صلىٰ الله عليه وآله : **«لي مع الله» الحديث، فما دام البدن باقياً كان التحوّل جائزاً، انتهى»**[2].

أقول ما ورد من ان:

«أنَّ الائمة ـ عليهم السلام ـ **يزدادون في ليلة الجمعة» و لولا انّ الائمة**ـ عليهم السلام ـ **يزدادون لنفد ما عندهم»** وما في كتاب الحجة أصول الكافي يجب ان يتبين من خلال التدقيق في هذا الأصل ونحوه.

---

(١) فصوص الحكم (الطبعة الحجرية) ص ١٨٩.

(٢) الاسفار ط ٢ ج ٣ ص ٤٣٧.



الباب التاسع:
الانسان الكامل مؤيد بروح القدس والروح

(ط) وهكذا يكون الانسان مؤيّداً بروح القدس والروح **﴿وأيّدناه بروح القدس﴾**[1].

﴿نزّله روح القدس من ربك بالحق﴾[2]، **«أرىٰ نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»**.

للروح كما للعقل والنفس «كونها مشتركة لفظياً» اطلاقات متعددة ابتداءً من الروح البخارية التي هي جسم لطيف سيال فتكون من أبخرة وصفوة ولطافة الأخلاط الأربعة، الى الروح الحيوانية والطبيعية والنفسانية، وانتهاءً بروح القدس، والروح من أمره تعالىٰ.

يستفاد من روايات الائمة الاطهار (عليهم السلام) ان الروح -عليه السلام- هو أعظم الأرواح والمحيط بها. والارواح هي مظاهر الاسم الشريف (الرب) لان جميع مظاهر الحق تعالىٰ مربوبة لله تعالىٰ بهذه الارواح. وترتقي النفس القدسية للانسان الكامل من شدّة اعتدال المزاج بحسب الصعود الى روح القدس لتتصل

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) النمل: ١٠٢.

به، بل هو ـ كما اشير اليه ـ فوق الوضع والمحاذاة والارتباط والاتصال والاتحاد، وقد عبر عنه بالفناء لعدم وجود لفظة تناسب ذلك المعنىٰ المقصود . مثل هذا الشخص ونتيجة لكثرة حديّة ذهنه وشدّة ذكائه وصفاء روحه يتحول بحكم: **﴿علّمه شديد القوىٰ﴾**[(١)] وبلا واسطة معلم بشري، الى الكمال المطلق المؤيَّد بروح القدس والروح.

فكما أنّه غني عن التعلّم البشري فكذلك هو أبعد من الفكر البشري. فقوّة حدسه ـ كماً وكيفاً ـ من القوة بحيث يستغني عن التفكير والتأمل. والحدس هوالانتقال الدفعي من دون تروٍ، بل ان الحديث أبعد من هذا.

الفكر والحدس:

الفكر في مقابل الحدس نظري، لضعف النفس ووهن العقل؛ لان الفكر حركة دورية من المراد الإجمالي للمبادئ ثم الوصول من هذه المبادئ بلحاظ الترتيب والاوضاع الخاصة الى نفس المراد فيكون الأمر الأول هو نفس الأمر الأخير، والفرق في الاجمال والابهام في الاول، والتفصيل والبيان في الاخير. أما المؤيَّد بروح القدس فهو مستغنٍ عن هذا العناء وهذه الحركة الفكرية. والخلاصة ما قاله المير سيد شريف في رسالة المنطق الكبرىٰ «ان ميزة الانسان عن سائر الحيوانات هي أنه يمكنه الحصول على المجهولات عن طريق النظر والفكر وبالتالي يستطيع الحصول على المعلومات التصورية والتصديقية على الوجه الصحيح متىٰ أراد أمّا اولئك المؤيدون من عند الله بالنفوس القدسية فهم لا يحتاجون في معرفة الاشياء والعلم بها الى فكر ونظر.

(١) النجم: ٥.

ان النسبة بين الفكر والحدس عن طريق النظر وبين الاستدلال كالنسبة بين السلوك والجذبة في غير الطريق المذكور، والذي هو طريق اهل الكشف والعرفان.

اثبات روح القدس:

بل ان مثل هذا الشخص ولأن الحق يكون عينه التي يرىٰ وإذنه التي بها يسمع وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية؛ فان تصرفه الفعلي ايضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية حتىٰ يصير قوله وفعله واحداً، ولا يحتاج الى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته، بل يصير محلاً لمشيئة الله ومظهراً لـ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾[1] حيث يتحد عندها القول والفعل بل ان إطلاق الزمان لا يصح أيضاً إلّا من باب المسامحة في التعبير ﴿**قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتدّ اليك طرفك**﴾[2].

وهذا الذي صار فعله في ظرف الزمان كالحدس وجذبة الحكيم والعارف في صقع النفس، فكيف ستكون تصوراته وافكاره في الحدس والجذبة والارادة والمشيئة.

الشيخ الرئيس في الفصل ١٢ من النمط الثالث للاشارات في اثبات وجود القوة القدسية ابتدأ بالغبي وصولاً للغني، الذي هو الغني عن التعلم والتفكير (**تنبيه: ولعلك تشتهي زيادة دلالة علىٰ القوة القدسية وامكان وجودها الخ**) وهكذا في الشفاء وفي عدة من كتبه ورسائله الاخرىٰ.

---

(١) النحل: ٤٠.

(٢) النمل: ٤٢.

وهكذا بحث الحكماء والالهيون منذ قديم الزمان في اثبات القوة القدسية وامكان وجودها في الصحف القيمة للحكمة المتعالية، فزيتون الكبير تلميذ أرسطو تحدث في اثبات القوة القدسية في رسالة النبوة التي قررها وحررها الفارابي وطبعت مع بقية رسائله في حيدر آباد الهند. والفارابي نفسه في رسالة الفصوص[١] والفخر الرازي في ج١ ص٣٥٣ من **(المباحث المشرقية)** والشيخ الاكبر محي الدين في «الفصوص» و«الفتوحات» والمير في «القبسات» والسهروردي في **(حكمة الاشراق)** وصدر المتألهين في «مفاتح الغيب» و«شرح اصول الكافي» وفي «الاسفار» (الفصل ١٩ المسلك الخامس في اتحاد العاقل والمعقول)[٢] وهكذا بقية اساطين الفن .

في النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ والوصي ـ عليه السلام ـ خمس أرواح:

ولأئمتنا الاطهار ـ عليه السلام ـ والذين هم قدوة واسوة الحكماء الالهيين كلمات واشارات في روح القدس وخصائص نائلها. ففي الكتاب الموثوق **(الكافي)** للكليني باسناده: «**عن جابر عن أبي جعفر** ـ عليه السلام ـ **قال: سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر، إنّ في الانبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوّة وروح الشهوة فبروح القدس يا جابرعرفوا ما تحت العرش الى ما تحت الثرىٰ. ثم قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحَدثان، إلّا روح القدس فإنها لا تلهو ولاتلعب**».

(١) لقد قمت بشرح فصوص الفارابي في موسوعة كاملة بالتفصيل وقد بحثت في كثير من امهات واصول المسائل بالمشارب العقلانية والعرفانية المتعددة.

(٢) الاسفار الطبعة الاولى: ج١، ص٢٩٦.

وكذلك روىٰ باسناده :«**عن المفضل بن عمر عن ابي عبدالله** ـ عليه السلام ـ **قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره. فقال: يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبي** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **خمسة أرواح: روح الحياة، فبه دبّ ودرج؛ وروح القوّة، فبه نهض وجاهد؛ وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال؛ وروح الإيمان، فبه آمن وعدل؛ وروح القدس، فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبي** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **انتقل روح القدس فصار إلى الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والاربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به**».

ان المقصود من هذه الارواح ليس الارواح المتعددة المتمايزة عن الاخرىٰ لأنه «**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**» بل ان هذه الارواح شُعب وفروع وشؤون حقيقة واحدة ممتدة أحد طرفيها في النشأة العنصرية فيما يمتد طرفها الآخر الى بطنان العرش «**ان لكلّ بدن نفساً واحدة، الخ**»[1].

والبحث الاساس هو: «**بروح القدس عرفوا ما تحت العرش الى ما تحت الثرى؛ وروح القدس لا يلهو ولا يلعب ولا ينام ولا يغفل و لا يزهو**». ولاوصاف روح القدس هذه (المعروفة بمقام الانسان الكامل وعلاماته) أهمية قصوىٰ.

* * *

(١) الاسفار ط ١ ج ٤ ص ٣٢.

مراتب الناس من الغبي الى الغني

يقول الشيخ الرئيس في الفصل المذكور في اثبات القوة القدسية وامكان وجودها: «تنبيه: ولعلك تشتهي زيادة دلالةعلى القوة القدسية وامكان وجودها فاسمع اذن: الا تعلم بوجود الحدس وان للانسان فيه وفي الفكر مراتب، فبعض غبي لا يفكر بشيء، وبعض ذكي الى درجة ويمتع بالفكر. وبعض حاد الذكاء ويقال عنه انه يحظئ بالحدس؟! وليست حدةالذكاءواحدة في الجميع بل هي قليلة عند بعض، وكثيرة عند بعض، فهو ينتهي عند البعض الى انعدام الحدس كما انه قد ينتهي بزيادته عند البعض الى الغني. حيث يستغني صاحبها غالباً عن الحاجة الى التعلم والفكر».

هذا الفصل مصدر بكلمة (اشارة) في النسخ المطبوعة غير انه صحح الى كلمه (تنبيه) طبقاً لعدة نسخ مخطوطة فان الشيخ يصدر كل حكم يحتاج اثباته الى برهان بكلمة (اشارة) ويصدر كل فصل يكتفي في اثبات حكمه بتجريد الموضوع والمحمول من اللاحق والنظرالى البراهين السابقة بكلمة (تنبيه) .

وحسن صنيع الشيخ هو أنه شرع بالغبي وانتهئ بالغني فيكون (الأول) مخدوعاً وليس له حظ من الفكر، ويكون (الاخير) على مستوئ من الثقافة وحدة الذهن بحيث يكون مؤيداً بروح القدس وغنياً عن التعلم والفكر. ويبن هذا وذاك مراتب، فشخص على درجة كبيرة من الغباء في حركة الفكر بحيث

يستوجب اعادة موضوعٍ ما له مراراً وضرب الامثلة المختلفة له حتىٰ يستطيع ان يفهم شيئاً بسيطاً منه فالغبي بحاجة ـ لكي يفهم الى التكرار والتمثيل والمطالعة وكثرة التفكير والمساعدات الفكرية؛ في حين لا يحتاج الاخر الى التمثيل ولد الى التكرار والاكثر من ذلك انه ليس بحاجة لأن يسمع كل الموضوع الذي يريده المتكلم، بل بمجرد ان يفتح المتكلم فاه، يفهم الغني ماذا يريدالمتكلم قوله الى النهاية.

اذن فهذا الأخير مستغنٍ عن كثير مما يحتاجه الآخرون لإدراك الموضوعات وهضم المطالب .

يقول الشيخ الرئيس في المباحثات: «**الحدس هو فيض الهي واتصال عقلي يكون بلا كسب البتة، وقد يبلغ بعضهم مبلغاً يكاد يستغني عن الفكر في اكثر ما يعلم وتكون له قوّة النفس القدسيّة، إذا شرفت النفس واكتسبت القوة الفاضلة وفارقت البدن كان نيلها ما ينال هناك عند زوال الشواغل اسرع من نيل الحدس فتمثّل لها العالم العقلي على ترتيب حدود القضايا والمعقولات الذاتي دون الزماني ويكون ذلك دفعة وإنما الحاجة الى الفكر لكدر النفس أو قلّة ثمرتها وعجزها عن نيل الفيض الالهي**»؛انتهى كلامه ملخصاً.

لا يخفى ان تعبيرالاتصال العقلي (كما جاء في المباحثات والشفاء والاشارات) انما هو بناءً على ممشىٰ المشاء؛ وهو في الحقيقة اتحاد عقلي بل ان (الاتحاد) استعمل نتيجة قلة الالفاظ وعدم إسعافها المطلوب.

والاتحاد فناء النفس الناطقة في العالم القدسي؛ يقول الشيخ الرئيس في آخر الفصل السادس المقالة الخامسة من (الشفاء) نفسه وبعد تمهيده لمطالب معينة:«فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس وأن ينعقد

في ذهنه القياس بلا تعلم، الخ».[1]

ان الحديث السابع والعشرين من كتاب العقل في كتاب الكافي للكليني مناسب جداً في هذا المجال وهو:

باسناده عن اسحق بن عمّار قال قلت لابي عبدالله -عليه السلام- الرجل آتيه وأكلُّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثم يردّه عليّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأكلمه فيقول: أعد عليّ. فقال: يا اسحق وما تدري لم هذا؟ قلت لا. قال: الّذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عُجنت نطفته بعقله، واما الذي تكلّمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركّب عقله فيه في بطن أمه، وأما الذي تكلّمه بالكلام فيقول أعد عليّ فذاك الذي ركّب عقله فيه بعدما كبُر فهو يقول لك أعد عليّ».

والأقوى من ذلك الاخير والغني عن كثير من الاحتياجات يستطيع أن يمنح حدسه الثاقب انتقالة دفعية، والاقوىٰ منه يستطيع ان يكون عالماً دون معلم بشري بل **﴿علّمه شديد القوىٰ﴾** و **﴿علّم الانسان ما لم يعلم﴾** و **﴿الرّحمن علّم القرآن خلق الانسان، علّمه البيان﴾**.

مثل هذا الشخص غني عن كل تلك الوسائط، هذا هو البيان الاجمالي في مراتب الفهم والادراك البشري من الغبي حتى الغني

فهذا الغني هو صاحب الروح المقدسة والمؤيد بروح القدس. وقد ساق جُلّ الحكماء الشامخين والعرفاء الكاملين ادلّة في اثبات الانسان الكامل بالبراهين والشهودالعرفانية ايضاً -ولأهل البيت -عليهم السلام- ايضاً عدة روايات تعضد برهان ووجدان اولئك العظماء وتؤيد احكامهم العقليّة وشهودهم العرفانية..

---

(١) الشفاء ص ٣٦١ ط ١ الحجرية

للعالم المادي امكان استعدادي، وان الموجود المادي اذا أراد ان يبلغ كماله امكنه ذلك بالتدريج، وانتقل من المرتبة النازلة صوب المرتبة الكاملة اي من النقص الى الكمال ومن القوة المحضة الى الكمال المطلق. وهذا الذي نراه من احرازه القابليات انما هو اكتساب للفيض حسب استعداده، ومحال ان يظل المستعد القابل بالفعل محروماً، ولا وجود لأي امساك على الاطلاق من جهة المفيض، وليس في افاضته حالة الانتظار ابداً؛ وإلّا لما كان تاماً في عليّته الذاتية وفعلية محضة في كمالاته الوجودية، والحال انِ واجب الوجود بالذات من جميع الجهات، اذن ففيضه فائض دوماً ، وما هو بالامكان العام للممكن فهو وجوب وفعليّة محضة في مقام واجب الوجود بالذات. ولو اتفق ان القابل لم يكن تاماً في استعداده وقابليته لتقبل الحقائق والعلوم والمعارف فانه لن تكون لديه حالة الانتظار ابداً.

بناءً على هذا فان صاحب الروح القدسية والمؤيد بروح القدس والذي هو الغني مقابل الغبي، له محل القابل الكامل في القبول. ولهذا فان مثل هذه الروح ينبغي ان تكون المظهر والمصداق التام للاسماء التعليمية والتكوينية لـ«علّم آدم الأسماء كلها» وهو التام في الفاعلية والقابلية على السواء.

❀ ❀

الباب العاشر
الانسان الكامل موضع مشيئة الله

(ى) وهكذا يكون الانسان الكامل موضع مشيئة الله بل ان مقام الانسان الكامل اساساً مقام ومحل مشيئة الله. والآية الكريمة: ﴿**وربّك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون**﴾[1] والآيات الاخرىٰ المشابهة في المشيئة صادقة عليه. وان مظهر المشيئة والاختيار الالهي هذا هو صاحب الولاية الكلية الحائز على رقائق صفات الحق تعالىٰ وهو محل ظهور تجلّي جميع الأوصاف الكمالية الالهية.

تصرّف النفوس الكاملة للاعيان الخارجية:

اذن وجود الانسان الكامل هو ظرف لجميع الحقائق وخزائن اسماء الله، وهذه الاسماء هي أعيان الحقائق النورية للوجود، لا أسماء لفظية.

لا شك أن لصاحب هذا المقام الولاية التكوينية وهي امتلاكه مفاتيح الغيب اي أن نفس الحقائق النورية بيده ويستطيع باذن الله ومشيئته أن يتصرف في الكائنات، بل وأن ينشئ ويوجد في الوعاء الخارج من بدنه، وأن تكون

---

(١) القصص: ٦٨.

الموجودات الخارجية بمثابة أعضائه ويكون هو بمثابة روحها، لأن النفس الناطقة الانسانية المجردة قائمة بذاتها وخارجة عن البدن والمحيط ومستولية على ذلك ولها التصرف في البدن والتعلق التدبيري فيه.

بناءً على هذا؛ ما هو الفرق بأن يتصرف في بدنه هو أو في الاعيان الخارجة الاخرىٰ. وان المعاجز والكرامات وكل خوارق العادات للافراد الكمّل انما هي من هذه الجهة. وبما ان الأسماء حقائق والقرآن هو بيان الحقائق وان كلا كتابي الله التكويني والتدويني متقارنان، فهذا حالٍ وذاك بيان؛ لهذا فالانسان الكامل هو وعاء لحقائق القرآن وهو كلام الله الناطق.

لقد ثبت في الحكمة المتعالية ان شيئية الشيء بالصورة لا بالمادة. وعن الامام الصادق ـ عليه السلام ـ الذي تعتبركلماته وأحاديثه كاشفة لرموز الانبياء والأولياء واشارات الحكماء والعرفاء، رواية تقول: **«ان حقيقة الشيء بصورته لا بمادّته»**[1] وشأن جميع الموجودات هو هذا، بأن تكون معقول الانسان، وللانسان ايضاً هذه الشأنية بأن يكون عاقلها، والعقل والعاقل والمعقول بحسب الوجود حقيقة نورية واحدة.

اذن فبوسع الانسان المؤيَّد أن يكون المعقولات بالفعل، ويغدو خزانة الحقائق والمعارف النورية ومعهداً لأنواع العلوم السبحانية، فيكون هو العالم العقلي المضاهي للعالم العيني.

ان الانسان الكامل والذي هو إمام قافلة النوع البشري متّصف بهذه الانوار الملكوتية، وهو مصباح وسراج منير تستمدّ منه الارواح المستعدة الاخرىٰ.

(١) فلسفة الامام الصادق ـ عليه السلام ـ للمرحوم الجزائري المتوفىٰ سنة ١٣٧٨ هـ ص٢٦ طبع بيروت.

من الكلمات القصار للشيخ (قدس سره) في المعاد في كتاب الشفاء قوله:

«إنّ النفس الناطقة كمالها الخاصّ بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورةُ الكلّ والنظام المعقول في الكلّ، والخير الفائض في الكلّ مبتدئة من مبدأ الكل، سالكة إلى الجوهر الشريفة الروحانية المطلقة، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما من التعلق بالأبدان، ثم أجسام العلوية بهيئاتها وقواها، ثم كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كلّه فتنقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كلّه مشاهدة لما هوالحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق المطلق ومتحدة به ومنتقشة بمثاله وهيأته ومنخرطة في سلكه وصائرة من جوهره، وإذا قيس هذا بالكمالات المعشوقة التي للقوىٰ الأخرى وجد فى المرتبة بحيث يقبح معها أن يقال إنه أفضل وأتم منها بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلة وتماماً وكثرة».

بل ان الانسان إضافة الى مضاهاة العالم العقلي للعالم العيني، يصبح صاحب الولاية الكلية، وتكون جميع العوالِم بمنزلة اعضائه وجوارحه **«فيتصرف فيها كيف يشاء»** لان السعة الوجودية والعظمة الروحية للاولياء الالهيين المؤيد بروح القدس اوسع وأعظم من جميع ما سوىٰ الله تعالىٰ.

نهديكم عدة احاديث وقصص عن آثار ومآثر عن بعض النوابغ لتكسر سورة جحود هذا الفريق الذي لم نسمع عنه سوىٰ الاستيحاش من مثل هذه الموضوعات:

حديث الجوزجاني حول استاذه ابن سينا

يقول ابو عبيدة الجوزجاني وهو أحد تلامذة الشيخ في أول مدخل منطق الشفاء: ان الشيخ كتب طبيعيات **والهيات** الشفاء.(باستثناء الحيوان والنبات) في مدة عشرين يوماً فقط بالاعتماد على طبعه دون ان يكون ثمة كتاب لديه:

«فصادفت منه خلوة وفراغاً اغتنمته وأخذته بتميم كتاب الشفاء وأقبل هو بنفسه ـ يعني الشيخ الرئيس ـ على تصنيفه اقبالاً بجدّ، وفرغ من الطبيعيات والالهيات خلا كتابي الحيوان والنبات في مدّة عشرين يوماً من غير رجوع إلى كتاب يحضره وإنما اعتمد طبعه فقط؛ الخ».

يقول النظامي في اوائل «ليلىٰ والمجنون» في مدة نظم الكتاب: إن هذه الاربعة آلاف بيت ـ نظمت في اقل من اربعة اشهر. لو حرمت على نفسي الاعمال الاخرىٰ ـ لتمّت في أربع عشرة ليلة.

وكتب سعدي ثمانية أبواب من «گلستان» في اقل من فصل واحد، كما ورد في ديباجته في تاريخ شروعه «لقد تكلمنا بحكم الضرورة وخرجنا للنزهة في فصل الربيع بعد سكون صولة البرد ووصول دولة الورد، وقد بقيت من ورود البستان وردة على اكمال كتاب «گلستان».

العارف الشبستري محمود بن عبدالكريم بن يحيىٰ المتوفى حوالي ٧٣٢ هـ.ق (عن ٣٣ سنة على المشهور)، اشتهر انه نظر في غاية الاختصار (گلشن راز) في الثامنة عشرة في جواب ١٩ سؤالاً للعارف الخراساني الكبير الامير حسين الهروي في عام ٧١٧ هـ ثم أضاف على كل بيت أبياتاً فصار مجموعها ٩٩٢ بيتاً.

واستطاع الصفي ان ينظم القرآن الكريم في فترة عامين، كما اشار الى ذلك في نهاية منظومته.

وأما المير داماد فقد شرع في كتابه (القبسات) في ربيع الأول عام ١٣٠٤ هـ يوم ميلاد النبي الاكرم وانتهىٰ منه في السادس من شعبان من نفس السنة كما أشار لذلك أيضاً في الخاتمة «ولقد نجز بحمد الله سبحانه وتنجّز الفراغ منه هريعاً

من ليلة الأربعاء لست مضين من شهر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ شعبان المعظم عام ١٣٤٠ من هجرته المباركة القدسية، وقد كان الأخذ فيه يوم ميلاده ـ عليه السلام ـ في شهر ربيع الأول من هذا العام».

لعل البعض يندهش كيف ان هذه المؤلفات والآثار العلمية الثمينة قد ألفت في تلك الفترة القصيرة.

فهذا ابن النديم نقل (٢٤٠) كتاباً ورسالةً من تأليفات الفيلسوف العربي ابن اسحق الكندي في فنون علوم الفلسفة والمنطق والهندسة والموسيقى والنجوم والفلك والطب والجدل والنفس والسياسة والمعادن والحيوانات وغيرها.

وللشيخ الرئيس مؤلفات كثيرة في انواع العلوم ومنها (الشفاء) و(القانون) و(النجاة) و(الاشارات) في حين أنّ (الشفاء) لوحده دائرة كاملة، ويعجز علماء عصرنا عن الاتيان بكتاب مثل المنطق ـ منه ـ فقط، بل اننا لا نعرف اليوم من يستطيع تدريس دورة الشفاء من الرياضيات بأنواعها والمنطقيات والطبيعيات والحيوان والنبات والالهيات وغيرها.

أما الخواجة الطوسي فقد ألّف (١١٣) كتاباً ورسالةً في اختصاصات مختلفة والتي من جملتها (تحرير محسبطي بطليموس واكرمانا لاوس) في المثلثات الكروية وكشف القناع عن اسرار شكل القطاع وشرح اشارات الشيخ الرئيس و(الزيج الايلخاني) وتحرير اصول اقليدس و(التذكرة في الهيئة) و(اساس الاقتباس) مما يعتبر كل منها معجزة لنا.

وللعلامة الحلي حوالي ٥٠٠ جزءاً من المؤلفات العلمية والتي منها (تذكرة الفقهاء) و(المنتهى) و(المختلف) و(القواعد) و(التحرير) و(شرح تجريد الخواجة) في علم الكلام باسم (كشف المراد) وشرح تجريد الخواجة في المنطق باسم (الجوهر النضيد).

وللشيخ الاكبر محي الدين بن عربي ٨٠٠ مجلد من كتب ورسائل قام عثمان ابن يحيى بفهرستها في فرنسا بجزءين ومن جملتها (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) و(انشاء الدوائر) و(عنقاء المغرب) و(شق الجيب في المهدي ـ عليه السلام ـ) و(مفتاح الاسرار) في علم الحروف والجفر وكتاب (السهل الممتنع في الجفر الجامع) والذي يسمىٰ ايضاً بـ(الدر المكنون والجوهر المصون في علم الحروف والجفر) وقد عدّ شارح المناقب المنسوبة للشيخ وهو (السيد صالح الخلخالي والذي هو حسب قول صاحب المآثر والآثار ـ في ص١٨٥ التلميذ المبرز للسيد ابي الحسن جلوة) بعضاً من مصنفّات الشيخ وقال: منها: التفسير الكبير وقد بلغ ٩٠ مجلداً بل ان الوافي بالوفيات ٩٥ مجلداً، واليوم فان الفهرسة العلمية للفتوحات تعد فناً للعالم المتبحر في صناعة العرفان. وهل ان فهم المفتاح وخاصة الدر المكنون امر ميسور الّا للاوحدي من العلماء.

يقول عبدالرحيم صفي بوري في مادة (زغ ل) في (منتهىٰ الأرب في لغة العرب) الزاغوالي محمد پنچديهي بن حسين بن محمد بن حسين مصنّف كتاب (قيد الأوابد) في ٤٠٠ مجلد مشتملاً على التفسير والحديث والفقه واللغة.

ولمحمد بن مسعودالعياشي اكثر من ٢٠٠ مجلد في أصناف العلوم ذكر اكثرها ابن النديم في فهرسته وقد صرّح ابن بابويه الصدوق فيمقدمة كتاب(من لا يحضره الفقيه) بـ٢٤٥ مجلداً من تأليفاته، وقال عنه الشيخ الطوسي في فهرسته (**له نحو من ثلاثمائة مصنف**).

وكان لتوماس اديسون مكتشف الكهرباء قابليات خارقة فلم يتوقف ذهنه

الفعّال أبداً، وقد قدّم خلال الاعوام ١٨٧١م ١٨٧٦م (١٢٢) اختراعاً وقال: لقد ثبت لي بالتجربة ان العلم لا يتوقف ابداً.

وللملا جلال الدين السيوطي حوالي ٥٠٠ مجلد، وهكذا بالنسبة لاساطين العلم والمعارف الاخرىٰ كالشيخ الطوسي صاحب (التهذيب والتبيان) والسيد مرتضىٰ علم الهدىٰ صاحب (الشافي) و(الذريعة)، وأخيه الشريف الرضي جامع نهج البلاغة، والفخر الرازي صاحب التفسير و(المباحث المشرقية)، والملا علي القوشجي صاحب (زيج الغ بيك) وشرحه وشرح تجريد الخواجة، والملا صدرا صاحب (الاسفار) و(شرح اصول الكافي) و(المفاتيح)، وملا محسن فيض صاحب (الوافي)، (الصافي)، (المفاتيح) و(احياء احياء الغزالي)، والمجلسي الثاني صاحب (البحار) و(مرآة العقول) ووو...

فان لكل واحد من هؤلاء العظماء في علومهم وفنونهم واعمالهم العلمية نبوغاً خارجاً عن طاقة اكثر اهل العلم، وان آثارهم العلمية نحو من انحاء الكرامة الى حد اننا نرىٰ ان هذه النطفة والعلقة والمضغة الفقيرة المعدمة، قفزت وصارت هكذا.

لماذا لا نعترض على كل هذا، ولكن عندما نقول انها يجب ان ترقىٰ اكثر، وبعد ان صارت صاحبة ثروة واستعداد وقابلية اكبر وطارت بالتوفيق وكثرة العطاء ممن **«لا تزيده كثرة العطاء الّا جوداً وكرماً»** وتتعالىٰ وتسمو حتى لتكون خليفة الله بل حائزة على مرتبة فوق مقام الخلافة الكبرىٰ، نحس في انفسنا تشكيكا. وهذا ليس الا لأن اسسنا وقواعدنا العلمية ليست رصينة. وعلى حد قول (العرشي) والموجز الدقيق جناب الفارابي المعلم الثاني في الرسالة الثمينة (اثبات المفارقات) **«والعقل الهيولاني ان كان قدسياً فانه مستعد لأن يصير عقلاً**

بالفعل أتم واذا كان العقل الهيولاني قد يتصل بالمفارق من دون تعلّم أعني من دون استعمال فكر وخيال فلأن يتصل به العقل بالفعل أوجب وأولىٰ».

فلو أن أحداً راجع في أوصاف وأحوال الجمادات وعالم النباتات وخواصها وآثارها التكوينية الى الكتب المختصة وحصلت له المعرفة اليسيرة باسرارها الفطرية، فان صولة اعتراضه في الاعتلاء الوجودي والاشتداد الروحي للانسان الكامل ستبدل الى دولة الاعتراف.

النمط الثامن والتاسع والعاشر من اشارات الشيخ الرئيس وشرح الخواجة عليها (وخاصة العاشر الذي هو في اسرار الآيات).. كل منها باب للورود والوصول الى البيان الواقعي لهذا اللغز، وكل من الفصوص والفتوحات المكية للشيخ الاكبر ـ لو فهمت من لسان الفهم ـ فهي حل لهذا الطلسم.

ننقل طياً واقعة عجيبة وقعت للشيخ الرئيس نقلها بقلمه في آخر الفصل الثاني من المقالة السابقة في الطبيعيات.

«حكى لي حال رجل ببيابان دهستان تحذر نفسه ونفخه الحيّات والأفاعي الّتي بها وهي قتالة جداً والحيات لا تنكفأ فيه باللسع ولا تلسعه اختياراً ما لم يقسرها عليه فإن لسعته حية ماتت. وحكى ان تنيناً عظيماً لسعته فماتت وعرض له حمى يوم ثم إني لما حصلت ببيابان دهستان طلبته فلم يعش وخلف ولدا اعظم خاصية في هذا الباب منه فرأيت منه عجائب نسيت أكثرها فكان من جملتها أنّ الأفاعي تصدّ عن عزّه وتحيد عن تنفّسه وتخدر في يده»[1].

ان عجائب المخلوقات من هذا القبيل كثيرة، واين هي الذرة الخالية من العجائب في الوجود سوىٰ اننا الفنا بعضها فلا تبدو في نظرنا عجيبة، ومع وجود

(١) الشفاء (الطبعة الحجرية) ج ١ ص ٤١٧.

كل هذه العجائب في دنيا الوجود فان بعض الناس ينكرون الاسرار اللامتناهية لأكبر كتاب آلهي .. اعني ـ الانسان ـ الذي لا أحد يوقفه في اي مقام وهو أكبر من كل ما سوىٰ الله.

يقول استاذي العلّامة الشعراني ـ قدس سره ـ في طريق السعادة: لقد نقل عن كبار مشاهير العلم منذ بداية الحياة وحتىٰ الآن عجائب لا يمكن انكارها، فمثلاً ان الشاه اسماعيل الصفوي قاد جيشاً وهو في (الرابعة عشرة من عمره) الى اذربيجان او القفقاز وأصبح فاتحاً وأقام السلطنة. والاسكندر المقدوني هضم اكثر علوم زمانه في السادسة عشرة. ويقول الفاضل الهندي في كشف اللثام: لقد فرغت في الثانية عشرة من العلوم الرسمية . واصبح ابن سينا رئيس العلوم العقلية والطب في السادسة عشرة بلا معلم.

نعم فكل شخص وما هو وما سيصير معلوم منذ البداية. يقول الشاعر العربي:

في المهد ينطق عن سعادة جده أثـر النـجابة سـاطع البـرهان

هذا هو حال الناس العاديين الذين لا ولاية لهم ولا نبوة أما عن الانبياء فقد ورد في قصة يحيىٰ ـ عليه السلام ـ: **﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾** وعن عيسىٰ المسيح ـ عليه السلام ـ قال تعالى: **﴿إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾**.

وكان الامام الجواد ـ عليه السلام ـ حين وصلت اليه الامامة في الثامنة اوالتاسعة اما الامام الهادي ـ عليه السلام ـ ففي السادسة او السابعة، والامام العسكري ـ عليه السلام ـ في الرابعة والعشرين، وكان الشيعة يعتبرونهم أصحاب علوم الشريعة والتوحيد والمعارف وقد نُقل عن الامام المهدي ـ عليه السلام ـ عجائب وهو في سن الرابعة فاذا كان مقرراً لبعض الالهيين المؤيَّدين وأولياء الله ان يكونٰ لهم ـ اضافة الى الروح الانسانية اتصال بروح اكبر وان تكون لهم روابط

مع موجودات عالم الغيب، فما هو المانع أن يكون ذلك منذ عهد الطفولة؟ وعلى اي حال فان الروح المرتبطة بالائمة والاولياء واعاظم الانبياء هي قوة اخرىٰ غير التي يملكها الافراد العاديّون عن بني البشر، ولا يلزم ان يكون بدء الاتصال والارتباط بها حين الكبر فانه خارق للعادة على كل حال سواءً كان في الصغر أم في الكبر، والذي يعتبر خرق العادة ممكناً عليه ان يقبله في الحالتين»[١].

النفس المكتفية والنفس الناقصة:

نعود الى موضوع بحثنا، وكان يدور حول الانسان المؤيَّد بروح القدس: مثل هذا الانسان ذو علم لدنّي ونفس مكتفية، ويقال لها مستكفية ايضاً،اي إنه يكتفي بفطرته وبنفس ما وهبه الله، وبذاته وباطنه من علله الذاتية في خروجه من النقص الى الكمال، ولا يحتاج الى مكمّل ومتمّم خارجي او معلم بشري، خلافاً للنفس الناقصة المحتاجة لمكمل خارجي في تحصيل الكمالات والخروج من القوة الى الفعل، وبعد الاستكمال يصل المرتبة التامة اي العقل التام ثم يكون خليفة لما فوق التمام اي لواجب لوجود تعالىٰ:

«ولما كانت الحكمة في الايجاد المعرفة والعلم، والعلماء بحسب الاحتمال ثلاثة اقسام: أحدها تام في كماله بحسب الفطرة كالعقول المفارقة؛ وثانيها مستكف يحتاج الى التكميل ولكن لا يحتاج إلى امور زائدة ومكمّلٍ من خارج كالنفوس الفلكية، ومن هذا القسم نفوس الانبياء عليهم السّلام بحسب الفطرة ولكن بعد الاستكمال ربّما صاروا من القسم الاول؛ وثالثها ناقصة بحسب الفطرة تحتاج في التكميل الى امور خارجة عن ذاتها من انزا الكتاب والرسل وغيرهما؛

(١) طريق السعادة ص١٧، ١٨ ط٢.

فقد أوجد الله سبحانه جميع هذه الاقسام توفية للافاضة وتكميلاً للأقسام المحتملة عند العقل وقد أشار الى هذه الاقسام بقوله: ﴿والصّافات صفا، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً﴾. وبقوله: ﴿والسابحات سبحاً، فالسابقات سبقاً، فالمدبّرات أمراً﴾ يحتمل ان يكون الترتيب في الآية الثانية على عكس الترتيب في الاية الأولى أي من المسبّب الى السبب بأنّ يكون السابحات اشارة إلى عالم الافلاك كما في قوله: (كل في فلك يسبحون) والسابقات الى نفوسها، والمدبّرات امراً الى عقولها التي من عالم الأمر الموجودة بامر الله وقوله كن بل هي نفس الامر الوارد منه تعالى».[1]

إن فعليّة النفس هي بالمعارف الالهية والملكات العلمية والعمليّة الصالحة، وهذه هي طينة العليين التي عجن منها السعداء، وان الانسان في اصطلاح أهل العرفان هو الفرد الكامل لا الصورة الانسانية؛ وفي الحديث القدسي: **«الانسان سرّي وأنا سرّه».**

الروح وروح القدس

ان مضمون روايات اهل بيت العصمة والوحي هو أن فوق روح القدس روحاً اخرىٰ وهي اعظم من جبرائيل وميكائيل.

في الكافي باسناده إلى الكناني عن ابي بصير قال: سألت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن قول الله تعالى: **«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان»؟** قال: **خلق من خلق الله تبارك وتعالى أعظم من جبريل وميكائيل كان مع رسول الله** ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ **يخبره ويسدّده وهو مع**

(١) الاسفار، ج ١، ص ٣٢٢ ـ ط ١ ب.

الائمة من بعده صلوات الله عليهم».[1]

وباسناده الى أسباط بن سالم قال: سأله رجلٌ من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله تعالى: «وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا»؟ فقال: «منذ أنزل الله تعالى ذلك الروح على محمد -صلىٰ الله عليه وآله- ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا».

وباسناده الى ابي بصير قال سألت أبا عبدالله-عليه السلام-عن قول الله تعالى: «يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي»؟ قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله -صلىٰ الله عليه وآله- وهو مع الائمة وهو من الملكوت».

وباسناده عن ابي بصير قال: سمعت ابا عبدالله -عليه السلام- يقول: «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمد -صلىٰ الله عليه وآله- وهو مع الائمة يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد.

وباسناده عن ابي حمزة قال: سالت أبا عبدالله -عليه السلام- عن العلم أهوعلم يعلّمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول الله عزّوجلّ: وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ثم قال: أيّ شيء يقول اصحابكم في هذه الآية؟ أيقرّون انه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان؟ فقلت: لا ادري جعلت فداك ما يقولون، فقال لي: بلى قد كان في حال لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان، حتّى بعث الله تعالى الرّوح الّتي ذكر في الكتاب فلمّا أوحاها اليه علّم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم.

---

(١) كتاب الحجة باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمة (عليهم السلام) ص ٢١٤، ج ١.

وباسناده عن سعد الإسكاف قال: أتى رجل أمير المؤمنين -عليه السلام- يسأله عن الروح اليس هو جبرئيل؟ فقال له امير المؤمنين -عليه السلام- جبرئيل -عليه السلام- من الملائكة والرّوح غير جبرئيل. فكرّر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحدٌ يزعم ان الروح غير جبرئيل فقال له امير المؤمنين: انك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وآله- ﴿أتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح﴾[1]، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم.

وفيه بإسناده عن علي بن رئاب رفعه إلى أمير المؤمنين -عليه السلام-، قال: إن لله نهراً دون عرشه ودون النّهر الذي دون عرشه نور نوره وانّ في حافتي النهر روحين مخلوقين روح القدس وروح من امره؛ الحديث.[2]

في هذه الروايات: الروح غير جبرائيل وأعظم منه ومن ميكائيل ومنذ نزوله على الرسول الخاتم -صلى الله عليه وآله- لم تخلُ الارض منه ابداً، وهو مع الائمة الذين من بعده، لأن الارض لا تخلو من حجة، وان الحجج مؤيدون بالروح. وفي حديث علي بن رئاب ان روح القدس غير الروح من أمر الله، والأخير فوق الأول.

الاسم الاعظم ٧٣ حرفاً

ان الرواية التي ذكرت ان الروح -عليه السلام- كانَ مع النبي الخاتم -صلى الله عليه وآله- وبعده مع الائمة -عليهم السلام- بيان لسرّ الروايات التي جاءت في باب «ما

---

(١) النحل: ٢.

(٢) بحار الانوار (طبع كمپاني) ج١٤ ص٣٣٩.

أعطي الأئمة عليهم السلام عن اسم الله الاعظم».

في الكافي وكتب الحديث الاخرىٰ ان الاسم الاعظم ٧٣ حرفاً؛ حرفٌ واحد منها كان عند آصف بن برخيا وحرفان عند عيسىٰ ـ عليه السلام ـ وأربعة عندموسىٰ و٨ عند ابرهيم و١٥ عند نوح و٢٥ عند آدم و٧٢ عند محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ المحجوب من حرف واحد فقط **«ان اسم الله الاعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطي محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ اثنين وسبعين وحُجب عنه حرف واحد»**[1].

مراتب الانبياء والرسل والاولياء:

كذلك الحروف الاثنان والسبعون اعطيت للائمة من بعده عليهم السلام كما في الكافي باسناده الى علي بن محمد النوفلي عن ابي الحسن صاحب العسكر ـ عليه السلام ـ قال سمعته يقول: **اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً كان عند آصف حرف فتكلّم به فانخرقت له الارض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان ثم انبسطت الأرض في اقلّ من طرفة عين؛ وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله مستاثر به في علم الغيب.**[2]

فهذا الحرف حرف وليس بحرف فاذا ضُمّ هذاالحرف إلى الروايات الواردة في كتاب التوحيد في حدوث الاسماء والمعاني واشتقاقاتها فاي حرف سيتألف منها؟

ولو قرن الى الآيات والروايات في الكلم والكلمات والآية والكتاب واللوح والقضاء ونظائرها فأية نتائج ستحصل من اقترانها؟ ولو أُلفت مع **«ولقد فضّلنا**

---

(١) اصول الكافي ج ١ ص ١٧٩ .

(٢) اصول الكافي ج ١ ص ١٨٠ .

بعض النبيين على بعض» أو مع **«تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض»** فما هي الفوائد المتحققة؟ فللحرف من دون اسم ورسم بل أقل منه للـنقطة مـن دون حرف وفيها شرح واشارات والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

الباب الحادي عشر
الانسان الكامل صاحب مرتبة القلب

(ي) ومثل هذا الانسان هو صاحب رتبة القلب **«إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»**[1].

وقد عُرف سابقاً أن صاحب مرتبة القلب في مشهد العرفاء هو نفس مرتبة العقل المستفاد في منظر الحكماء لكن لأهمية شؤون القلب نقول:

«اللهم نوِّر ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، وقلبي بمعرفتك، وروحي بمشاهدتك، وسرّي باستقلال اتّصال حضرتك، يا ذا الجلال والإكرام».

تعريف القلب ووجه تسميته:

ان الظاهر والباطن والقلب والروح والسر هي من مراتب النفس الناطقة وهي حقيقة ممتدة من الخلق الى الأمر. في مرتبة القلب نشاهد معانٍ كلية وجزئية، يقول العارف عن هذه المرتبة (القلب) ويقول عنها الحكيم (العقل المستفاد).

---

(١) نهج البلاغة.

ان جميع القوىٰ الروحية والجسمية تتشعب وتتفرع عن القلب؛ ومن هنا كان قلباً، حيث لا يقرّ للحظة، وهو في تقلّب دائم وقبض وبسط مستمرين، كما أن مظهر الوصف اللحمي في البنية الانسانية كذلك، فله في كل دقيقة عدة حالات في الانقباض والانبساط ولا سكون له للحظة. لهذا فالقلب هو المظهر الأتم لـ**﴿كل يوم هو في شأن﴾**.

ان تقلّب القلب هو من الظهورات الالهية والشؤونات الذاتية وان كمالات الروح وكليات العلم كلها تستوي في هذا المحل. ومن هنا عُبر عنه بـ(مرآة العالم) والبرزخ بين الظاهر والباطن وانسانية الانسان. والقلب كالبدل والمبدل عنه، ففي القلب جميع التنزلات والترقيات والمدارج ومعارف الفيض الوجودي. يقول القيصري في ديباجة شرح فصوص الحكم:

«الانسان إنما يكون صاحب القلب إذا تجلّى له الغيب وانكشف له السّر وظهرت عنده حقيقة الأمر وتحقق بالأنوار الالهية وتقلّب في الأطوار الرّبوبية لانَّ المرتبة القلبية هي الولادة الثانية المشار اليها بقول عيسى -عليه السلام-: **«لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرّتين».**[1]

أحد اسماء الله تعالى هو المؤمن، والذي جاء في آخر سورة الحشر؛ والانسان المؤمن مظهر له **«المؤمن مرآة المؤمن»** وقلبه من السعة بحيث لا وجود لمخلوق يسعه **«قال النبي(ص): قال الله تعالىٰ: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي»** وقال رسول الله -صلىٰ الله عليه وآله-: **«كل تقي ونقي اليَّ»** وقال: **«سلمان منّا أهل البيت»** فتبصّر.

---

(١) مقدمة شرح القيصري في الفصوص ص٥٧.

العلم والعمل يصنعان الانسان، والعلم ماء الحياة:

ليس لوعاء القلب حد محدود **«وإن الدار الآخرة لهي الحيوان»** ومهما يسكب فيه من العلم والذي هو ماؤه فهو يتّسع اكثر. فماء الحياة هو العلوم والمعارف وهي غذاء الروح **«فلينظر الانسان الى طعامه»** وان طعام الانسان من حيث هو انسان هو ما يصنع الانسان. لهذا قال الامام أبو جعفر -عليه السلام- في تفسير الآية لزيد الشحام ان الطعام هو **«علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه»**.[1] والعلم والعمل صانعا الانسان **«إنه عملٌ غير صالح»** وان العلم والعمل جَنّة اذا كانا ملكوتين، ونار اذا كانت جذورهما في الدنيا.

الحكمة جنة:

اعتبر النبي الخاتم الحكمة جنّة، روىٰ الشيخ الصدوق في المجلس ٦١ من أماليه باسناده عن علي بن ابي طالب -عليه السلام- قال: قال رسول الله -صلىٰ الله عليه وآله-: **«أنا مدينة الحكمة وهي الجنة وأنت يا علي بابها. فكيف يهتدي المهتدي الى الجنة ولا يهتدي إليها إلّا من بابها»** اذن فالحكمة جنّة والحكمة طعام الانسان وقلبه مزرعة لبذور المعارف.

«يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم».[2]

---

(١) الكافي للكليني فضل العلم ص٣٩ ج١.

(٢) نهج البلاغة.

معلّمو البشر(زرّاع):

ووصف الامام في هذا الكلام معلمي البشر ووسائط الفيض الالهي بالزرّاع ووصف القلوب المستفيضة بالمزارع **«والمعرفة بذر المشاهدة»** فالعلماء الكبار هم الذين يبذرون المعارف الالهية في مزارع قلوبهم، واذا أخضرت هذه البذور اي صارت المزارع مؤهلة والقلوب قابلة، فان هذه الحدائق الخضراء ستكون قرة عين الناظرين ونزهة اهل الولاية .

الا ترىٰ إنه قال: ان الارض السبخة لا تقبل ولايتنا؟ انظر الى بذور الحكمة هذه اية جنّات ستتحول .

قال الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿نساؤكم حرث لكم﴾** وقال ايضاً **﴿أفرأيتم ما تحرثون ءَأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون﴾**.

ان سلسلة الكلام متصلة مع بعضها ولا تقبل الانفصال والمنافاة؛فهناك عدد من السفراء الالهيين معروفين بالزراع؛ وفي كلام الامام وفي هذه الآية ايضاً قال **﴿نحن الزارعون﴾** فافهم .

الله تعالى هو الزارع والانسان الكامل سر الله واسرار الولاية بذور والقلوب مزارع:

روىٰ يونس بن ظبيان عن الامام الصادق انه قال: **«ان الله خلق قلوب المؤمنين مبهمة على الايمان فاذا أراد استنارة ما فيها فتحها بالحكمة وزرعها بالعلم وزارعها والقيّم عليها رب العالمين»** وكذلك عن الامام الصادق

ـ عليه السلام ـ قال: «**من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندمة، ولكل زارع ما زرع**»[(١)].

وروى عمر بن يسع عن شعيب الحداد قال:

سمعت الصادق جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ يقول: «**إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان أو مدينة حصينة،قال عمرو فقلت لشعيب يا ابا الحسن واي شيء المدينة الحصينة؟ قال فقال سألت الصادق** ـ عليه السلام ـ **عنها، فقال لي: القلب المجتمع**»[(٢)].

ان القلب المجتمع هو المدينة الحصينة، وإن أسرار أهل الولاية لا تختفي في القرى المهجورة القديمة البوابات والأبراج، بل يجب ان تكون مدناً من المدن التي هي حصن الله. ليست اسرار الولاية اسلاكاً بلا روح مدفونة تحت التراب بل انها الودائع الالهية التي ينبغي ان تعطى الى امناء الله الذين هم مدن حصينة وصدور أمينة؛ في نهج البلاغة:

«**أنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة**»[(٣)].

وعن بصائرالدرجات عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ أمرنا سرّ وسرّ في سرّ وسرّ مستسرّ وسرّ لا يفيده إلا سرّ وسرّ على سرّ وسر مقنّع بسرّ**» وقال ـ عليه السلام ـ: «**هو الحقّ وحقّ الحقّ وهو الظاهر وباطن الظّاهر وباطن الباطن**

---

(١) اصول الكافي: ج ٢ ص ٣٠٨.
(٢) امالي الصدوق المجلس الاول ص ٤.
(٣) نهج البلاغة خطبة ١٨٧.

وهوالسرّ والسر المستسر وسرّ مقنع بالسرّ».

وقال ـ عليه السلام ـ: «**خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوا على انفسكم وعلينا إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب او نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان**».

في اصول الكافي باب بهذا العنوان «فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب» في الحديث الأول عن ابي جعفر ـ عليه السلام ـ عن الرسول ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ: «**ان حديث آل محمد صعب مستصعب.. الخ**» وفي الحديث الثاني عن الصادق عن السجاد عليهما السلام «**ان علم العلماء صعب مستصعب الخ**» وفي الحديث الثالث عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «**ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الّا صدور منيرة او قلوب سليمة وأخلاق حسنة**» وفي بصائر الدرجات عن الباقر ـ عليه السلام ـ جاء: عن المفضل قال قال ابو جعفر ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ حديثنا صعب مستصعب ذكران اجرد ولا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للايمان، امّا الصعب فهو الذي لم يركب بعد، وامّا المستصعب فهو الذي يهرب منه اذا رؤي، وامّا الذكران فهو ذكاء المؤمنين، وامّا الاجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾[1] فأحسن الحديث حديثنا ولا يحتمل أحد من الخلائق امره بكماله حتى يحدّه، لأن من حد شيئاً فهو اكبر منه والحمد لله على التوفيق والانكار هو الكفر**».

وفي البصائر ايضاً مسنداً عن ابي الصامت قال: **سمعت ابا عبدالله** ـ عليه السلام ـ **يقول: انّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا**

---

(١) الزمر: ٢٤.

عبد مؤمن قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله».

اذن فاحاديث اهل البيت ـ عليهم السلام ـ كلها علوم وأسرار، وسرّ كل شيء حقيقته المخفية. فالحقيقة العلمية سر وسر مستسر مقنع لا يفهمها كل سر، وتلك الحقائق فوق مرتبة البيان اللفظي والادراك الفكري بل تُنال بالمعرفة الشهودية. وكلٌّ في حدٍ يُنال مرتبة منها، لكن لا تنالها كل يد بل **﴿لا يمسهُ إلّا المطهرون﴾** . فلا بد ان يكون القلب منيراً سليماً مجتمِعاً أميناً حصيناً ليناله ويدركه، إضافة الى أن حديث البصائر من غرر الاحاديث.

وهناك حديث آخر «**ولا يحتمل احد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه لأنه من حدّ شيئاً فهو اكبر منه**».

انظر الى بيان الانسان الكامل فهو كامل ايضاً، فانه لم يُنقل مثل هذه العبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة عن غير الائمة المعصومين لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من علماء الاعصار والامصار.

وعاء العلم مجرد من المادة

في بيان حقيقة وتعريف وعاء المعارف هذا، قال اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ:

«**كل وعاء يضيق بما جعل فيه، إلّا وعاء العلم فانه يتسع به**».

اي ان ظرف العلم الذي هو النفس الناطقة الانسانية ليس من جنس الموجودات الطبيعية والمادية بل هو موجود من عالم ما وراء الطبيعة بحيث يتسع لكل ما يوضع فيها ان له مقاماً فوق التجرد.

وبما ان قيمة الانسان تقدَّر بمقدار معارفه اذن فان افضل ظروف العلم (اي النفوس الانسانية) هو ذلك الظرف الذي سعته اكبر.

يقول الامام المجتبىٰ ـ عليه السلام ـ ما مضمون حديثه: لما رأىٰ الله تعالى كبر قلب محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ اختاره. فكم هي سعة وعظمة قلب محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ بحيث يسع حقائق كتاب الله القرآن الفرقان **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾**[١]، **﴿قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك﴾**[٢].

في سعة القلب:

لقد رسم على افتتاحية الفص الشعيبي الخالي من العيب هذا الطلسم «**قلب العارف بالله هو من رحمة الله وهو أوسع منها فانه وسع الحق جلّ جلاله ورحمته لا تسعه**».

اي ان رحمة الحق تعالىٰ لا تسعه، وقلب العارف بالله تسع الحق واوسع منها.

وكذلك على فص الحكمة الحقّة في كلمة الاسحاق رسم هذا النقش.

«**يقول أبو يزيد في هذا المقام لو ان العرش وما حواه ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به وهذا وسع ابي يزيد في عالم الأجسام بل أقول لو أنَّ ما لا يتناهىٰ وجوده يقدّر انتهاء وجوده مع العين الموجودة له في زاوية من زوايا قلب العارف ما احسّ بذلك في علمه فإنه قد ثبت أن القلب وسع الحق ومع ذلك ما اتصف بالرّي فلو امتلىٰ ارتوى**».

---

(١) الشعراء: ١٩٣.

(٢) البقرة: ٩٧.

أقوال النبي(ص) كلها رموز مشحونة بالمعقول:

ضمن كلام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «**كل وعاء يضيق.. الخ**» يقول ابن ابي الحديد: «**هذا الكلام تحته سر عظيم ورمز الى معنىً شريف غامض ومنه أخذ مثبتوا النفس الناطقة الحجة على قولهم**»(١).

نعم ان كلمات السفراء الالهيين وحاملي الوحي مملوءة بالرموز والاسرار وروايات اهل البيت افضل حجة على حجّيتهم وهم ـ عليهم السلام ـ انفسهم براهين على إمامتهم كما الدليل دليل لنفسه.

يقول الشيخ الرئيس في الرسالة المعراجية وفي رسالة النبوة وفي الهيات الشفاء: ان اقوال النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ كلها رموز مشحونة بالمعقول.

ان ابن ابي الحديد بعد نقله كلمة امير المؤمنين «كل وعاء يضيق...».. يقول: «**ومحصول ذلك أنَّ القوى الجسمانية يكلّها ويتعبها تكرار أفاعيلها عليها، كقوّة البصر يتعبها تكرار ادراك المرئيّات، حتى ربما أذهبها وأبطلها اصلاً؛ وكذلك قوة السّمع يتعبها تكرار الأصوات عليها؛ وكذلك غيرها من القوىٰ الجسمانيّة، ولكنّا وجدنا القوة العاقلة بالعكس من ذلك، فإن الإنسان كلّما تكرّرت عليه المعقولات ازدادت قوّته العقلية سعة وانبساطاً واستعداداً لإدراك أمور أخرى غير ما ادركته من قبل، حتّى كان تكرار المعقولات عليها يشحذها (يحدها ـ خ) ويصقلها فهي إذن مخالفة في هذا الحكم للقوىٰ الجسمانية؛ فليست منها، لأنها لو كانت منها لكان حكمها حكم واحد من**

(١) شرح النهج ج٢ ص٤١٣ ط الحجرية.

أخواتها، وإذ لم تكن جسمانية فهي مجردة، وهي التي نسميها النفس الناطقة»[١].

ولكن الحق هو ان الكلام الكامل لأميرالمؤمنين -عليه السلام- دالّ على أن للنفس مرتبةً فوق التجرد لا أنها مجردة فقط كما ثبت بالبراهين القطعية: ان الانسان هوية واجبة ذات مراتب بدءاً بمرتبة الطبع وانتهاءً الى مرتبة ما فوق التجرد العقلي، وان له في كل مرتبة احكاماً خاصة متعلقة بتلك المرتبة؛ في مقام الطبع تتجسم الروح بهذا المعنى اللطيف والشريف من أن البدن هو المرتبة النازلة لحقيقة الانسان وهو في المرتبة التي فوقها مثال متّصل له تجرد برزخي، وان كثيراً من ادلّة تجرد النفس ناظرة الى هذه المرتبة، كالادلة التي يسوقها المرحوم الآخوند في الفصل السادس، الطرف الثاني، المسلك الخامس من الاسفار، يقول: «**فصل في أن المدرك للصور المتخيلة ايضاً لا بد أن يكون مجرداً عن هذا العالم**»[٢].

وفي رتبة العقل له تجرد عقلي، والكثير من ادلة تجرد النفس ناظرة الى هذه المرتبة كأدلة الآخوند في الباب السادس من الاسفار بهذا العنوان يقول: «**الباب السادس في بيان تجرّد النفس الناطقة الانسانية تجرداً تاماً عقلياً الخ**»[٣] والقيد العقلي التام هو لاخراج التجرد الخالي، وهو وإن كان مجرداً لكنه ليس تاماً، كما هو من أجل اخراج التجرد العقلي فوق التام الذي هو بالاضافة الى تماميته أتم، فانه ليس للنفس الانسانية حدٌّ تقف عنده؛ اذ بالاضافة الى تجردها لا يحدها من هذه الناحية شيء؛ فتبصّر.

---

(١) نفس المصدر ج١٩ ص٢٥ ط مصر.

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد (ط ١) ص٣١٦.

(٣) الاسفار ط١ ج٤ ص٦٣.

هذا اضافة الى ان القوة العاقلة شأن من شؤون النفس لا أن تكون هي النفس الناطقة. فقد بوّبنا هذه المسائل في دروس معرفةالنفس التي هي قيد التأليف واشبعناها برهاناً. وهذه المراتب الاربع للنفس (مرحلة ومرتبة الطبع، الخيال، مقام العقل، والشأن اللايقفي) هي من اصول وامهات مسائل معرفة النفس؛ والله ولي التوفيق.

قلب عالم الامكان وقلب القرآن وليلة القدر

الانسان الكامل هو قلب عالم الامكان وقلب البرزخ بين الظاهر والباطن؛ وجميع القوىٰ الروحية والجسمية منشعبة منه، ومنه يصلها الفيض.

الانسان الكامل الذي هو واسطة الفيض، والذي منه يصل الفيض الى شعب القوىٰ الروحية والجسمانية الاخرىٰ، منزله الحد المشترك بين عالم الملك والملكوت، وهو مشارك لكل منها بوجه، فهو كالملائكة مطلع على ملكوت السموات والارض، وله نصيب من الربوبية، وهو كالبشر يأكل ويشرب وينكح، وان كان لكل انسان نصيب من الربوبية، لكن مرتبتها التامة هي للانسان الكامل كما ان عبوديته ايضاً عبودية تامة.

ان ادراك المراتب الخمس للقلب ضروري في هذا المقام اي القلب النفسي والقلب الحقيقي المتولد من مشيمة جمعية النفس؛ والقلب متولد من مشيمة الروح؛ اي قلب التجلي الوجودي الباطني؛ والقلب الجامع مسخر بين الحضرتين اي حضرة الاسم الظاهر وحضرة الاسم الباطن والقلب الأحدي الجمعي المحمدي ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ المبين في الفصل الخامس من فصول فاتحة (**مصباح الانس**) في شرح مفتاح الغيب .

هذا الانسان الكامل هو قلب عالم الامكان وهو صاحب مرتبة (كن).

ان صاحب **(الفتوحات المكية)** في الباب٣٦١ منه وبعد تمهيد مطالب يفيدنا في هذا المجال بقوله:

«فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة فهو قلب لجسم العالم الذي هو كل ما سوىٰ الله وهو بيت الحق الذي قال فيه: «ووسعني قلب عبدي المؤمن» فكانت مرتبة الانسان الكامل من حيث انه قلب بين الله والعالم، وسمّاه بالقلب لتقليبه وتصريفه واتساعه في التقليب والتصريف ولذلك كانت له هذه السعة الالهية لانه وصف نفسه تعالى بأنه «كل يوم هو في شأن» واليوم هنا هو الزمن الفرد فكل يوم فهو في شؤون وليست التصريفات والتقليبات سوى هذه الشؤون التي هو الحق فيها، ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنَّه أعطي «كن» سوى الإنسان خاصة، فظهر ذلك في وقت في النبي -صلىٰ الله عليه وآله- في غزوة تبوك، فقال: كن أبا ذر؛ فكان أبا ذر».

وورد في الخبر في أهل الجنة**«انَّ الملك ياتي اليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن عليهم في الدخول فاذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد ان يسلم عليهم من الله واذا في الكتاب لكلّ إنسان يخاطب به من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت، اما بعد فإني اقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون».**

ان ليلة القدر كما جاء في روايات اهل البيت -عليهم السلام- هي قلب شهر الله وليلة مباركة، وقد نزل فيها القرآن. قال تعالى: **﴿إنّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾، ﴿إنا أنزلناه في ليلةالقدر﴾، ﴿شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن﴾.**

فقد نزل القرآن في قلب هذا الشهر على قلب النبي الخاتم -صلىٰ الله عليه وآله-.

﴿قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك بإذن الله﴾ ﴿نـزل بـه الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذِرين﴾.

وقد ورد في الروايات ان (يس) قلب القرآن، **كما في تفسير نـور الثـقلين للحويزي عن أنس بن مالك عن رسول الله** -صلى الله عليه وآله- **قال: «ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس»** وكذلك في الجامع الصغير للسيوطي ومسند أحمد بن حنبل عن معقل بن يسار عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- في ذيل حديث انه -صلى الله عليه وآله- قال: **«يس قلب القرآن»**[1] وكذا في الروايـات أن (يس) مـن اسماء رسول الله. وفي تفسير المجمع **«يس معناه يا إنسان بلغة طي»**، فتبصّر. ان قلب شهر الله في اواخر الشهر.

في باب (انا انزلناه) في الكافي يروي عن الإمام الباقر -عليه السلام-: **«يا ابن رسول الله كيف أعرف أنّ ليلة القدر تكون في كلّ سنة؟ قال: إذا أتـى شـهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرّة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فانك ناظر الى تصديق الذي سألت عنه».**

وسورة (يس) المباركة في الجزء **٢٣** من القرآن.

قال الصادق-عليه السلام-:

«علّموا أولادكـم يس فـإنها ريـحانة القـرآن».[2] وفـي الأمـالي عـن عـلي -عليه السلام-، قال: **«الحسن والحسين** عليهما السلام **ريحانتا رسول الله».**

ووردت كلمة ريحانة حول القرآن نـفسه، اذن يس قـلب القـرآن والقـرآن ريحانة نزل في قلب شهر الله على قلب عالم الامكان مرةً واحدةً سواء انـزالاً

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٦.

(٢) تفسير البرهان: (فضل سورة يس).

دفعياً او تدريجياً .

اذن فالامام قرآن والقرآن امام وكلاهما ريحانة.

«وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

ان ذات الحق غيرمتناهية كذلك صفاته وأفعاله وكتابه وكل كلماته **﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة اقلامٌ والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله،انَّ الله عزيز حكيم﴾**[١] **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾**.[٢]

آيات القرآن خزائن الهية:

القرآن غير متناهٍ، وكل آيةوكلمة وسورة وحرف منه خزائن **«إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة»**[٣]، **عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين** -عليه السلام- **يقول: «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة تنبغي لك أن تنظر ما فيها»**[٤].

لكل حرف من القرآن سبعون ألف معنىٰ:

روي عنه(ص) إنه قال: «ما من حرف من حروف القرآن إلّا وله سبعون ألف معنى»[٥].

---

(١) لقمان: ٢٨.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) اصول الكافي: ج ٢ ص ٤٤٤ رواية عن الصادق.

(٤) اصول الكافي: ج ٢ ص ٤٤٦.

(٥) مجمع البحرين للطريحي في مادة (ج م ع).

الحكمة جنّة:

القرآن غير متناه وله درجات وعوالم، والانسان ظرف للعلم، وليس هناك حد يقف عنده، وهذا الظرف هو المظروف أي الحقائق القرآنية. فالقرآن حكيم **﴿يس والقرآن الحكيم﴾** وعرفت ان الحكمة جنّة فالقرآن جنّة وحكيم، وحكم الحكيم مُحكمٌ **﴿الر كتاب أُحكمت آياته﴾**[1] وبيان لكل شي **﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾**[2].

تبيان مع التنزيل وهو التفصيل لا الانزال وهو الاجمال، والامام الذي هو الانسان الكامل وقلب عالم الامكان هو قرآن فيه تبيان كل شيء.

درجات الجنّة على عدد آيات القرآن:

يوصي إمام الثقلين أبو الحسنين ـ عليه السلام ـ ابنه محمد بن الحنفية قائلاً: **«عليك بتلاوة (بقرائة ـ خ ل) القرآن والعمل به... واعلم أنَّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق؛ الحديث».**[3]

هذا الدستورالعظيم وبهذه الفصاحة والبلاغة من نهج البلاغة، وهل له من نظير؟.

إن مفاد «إقرأ وارق» هو أنك اي مقام بلغت توقّف عنده، ثم أقرأ وارق،

---

(١) هود: ٢.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) الوافي ج ١٤ ص ٦٤.

والوصول الى ذلك المقام هو الوصول الادراكي والوجودي إليه. وما أدركته من مقامات القرآن بالحكم المحكم لاتحاد الادِراك والمـدرِك والمـدَرك، فـبنفس المقدار من القرآن انظر مقدار حظك من القرآن؛ لأن حـقائق القـرآن درجـات ذاتك ومدارج عروجك.

اذن فمعنىٰ القراءة أيضاً قد عُلم بحسب النشآت، ولا تعجب ان يكون لكل حرف من حروف القرآن سبعون ألف معنىٰ لانّ هذه الحروف ليست حـروفاً وفيها من الكلام الكثير.

هذه حروف المقامات الوجودية والمراتب الطولية للقرآن الكريم، هذه هي الثلاثة والسبعون حرفاً التي أُشير اليها سابقاً.

شكل القطاع ووجوه احكامه الهندسية:

القطاع شكل هندسي من أشكال المثلثات الكروية ولهذا الشكل **٤٩٧٦٦٤** حكماً هندسياً، وقد كتب الخواجة نصيرالدين الطوسي كتاباً باسم (كشف القناع عن اسرار شكل القطاع)؛ في هذا المجال. قال اميرالمؤمنين -عليه السلام-:

«بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق واعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش»[١] وقال: **«فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن»**[٢].

وللقرآن منازل كثيرة، وأحسنها منزلة القرآن الناطق **﴿وكل شيء أحـصيناه في إمام مبين﴾** فأية اسرار تنطوي عليها؟

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٥٨.

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٥٢.

كلام في القرآن والعترة:

لقد قام الكليني رضوان الله عليه بجمع الكافي من الأصول الاربعة خلال ٢٠ سنة، ولقد أجاد في ترتيب الكتب والابواب مما يعكس منزلته في دراية وفهم الحديث، وقدّم الأصح على الصحيح؛ وجميع رواياته مسندة، ورجاله معروفون في كتب الرجال، وهذا الكتاب آية. لو أردنا أن نتحدث اكثر عن جلالة قدره ومنزلته لاحتجنا إلى رسالة او كتاب.

كتابه الأول هو كتاب العقل والجهل، والثاني فضل العلم، والثالث كتاب التوحيد، والرابع الحجة، تأملوا في هذه الابواب الافتتاحية الاربعة وانظروا تبحرّه العلمي.

ان جميع الكتب والابواب والروايات في كل باب تجري على هذا النسق نفسه، فكتاب الحجة ١٣٠ باباً، وكل باب منه يتضمن روايات خاصة في الحجة ويجمعها تقريباً نفس العنوان المتخذ من مضمونها. فمثلاً الباب الأول «باب الاضطرار الى الحجة» والباب الخامس «ان الارض لا تخلو من حجة» وباب آخر هو «باب الائمة اذا شاءوا ان يعلموا علموا» وباب آخر «باب الاشارة والنص الى صاحب الدار عليه السلام» وباب آخر «باب مولد الصاحب ـ عليه السلام ـ » وكتاب الكافي كافٍ للامامية فيالامامة والغيبة، بل ان الصحاح والسنن وكتب الحديث العامة لوحدهاتكفيهم لذلك.

فاذا كان منكر الامامة مسلماً فيجب التحدث معه عن طريق خاص واذا لم يكن مسلماً فمن طريق آخر، كما ان الكتب الكلامية بشأن النبوة العامة موجهة الى الدهريين والطبيعين والفرق المنكرة الاخرىٰ، وفي النبوة الخاصّة تكون

وجهة الحديث مع أصحاب الأديان كاليهود والنصارىٰ والمجوس.

ان المؤمن برسالة خاتم الانبياء مضطر للاعتراف بعصمة امير المؤمنين، والمعترف بعصمته -عليه السلام- لا بدّ له من الاعتراف بعصمة الائمة الاثني عشر واحداً واحداً، وبغيبة صاحب الأمر، لأنّ وصي المعصوم معصوم، ووصي الامام إمام، ووصي حجة الله حجة الله، ولا أدخل في هذا المقام ببحث العصمة والامامة، وانما اكتفي بمقولة عن ابن منويه وهو واحد من مشاهير علماء أهل السنّة.

قال الامام أمير المؤمنين -عليه السلام- في الخطبة ٨٥ من نهج البلاغة في وصف وتعريف العترة: «**بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فانزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش**».

وقال ابن ابي الحديد في شرحها:

«**فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن تحته سرّ عظيم وذلك أنه أمر المكلّفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطّاعة لأوامرها مجرى القرآن**».

ثم قال: فان قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمد بن منويه -رحمة الله عليه- في كتاب الكفاية على أن عليّاً -عليه السلام- معصوم وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وانّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة».[1]

كان هذا حديث ابن متويه في عصمة العترة الطاهرة -عليهم السلام- وهو

---

(١) شرح ابن ابي الحديد (الطبعة الحجرية) ج١ ص٣٥٢.

حديث حقّ، فقد قال هذا العالم المشهور من اهل السنّة في كتاب الكفاية بعبارته الشريفة: «**أدلة النصوص قد دلّت على عصمته**» وهذا الأمر وهذه الحقيقة اوردناهما في مطلع الرسالة وهو أن كاتب هذه السطور ثابت وبشدة على معتقده الصافي والخالص في ان الصحاح وسنن اهل السنّة حجة بالغة في إمامة وعصمة الأئمة الاثني عشر بغض النظر عن كتب الشيعة الامامية في هذا المجال.

نعم، ان العترة معصومة، والوصي، والذي هو راس سلسلة العترة معصوم وإنه الوحيد الذي كان معصوماً بين صحابة الرسول ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ وليس الآخرين، كما ان ابن متويه نطق بالحق من أدلة النصوص «**ان ذلك امر اختص هو به دون غيره من الصحابة**» فان خليفة الله وخليفة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ والقائم مقام القرآن والنازل أحسن منازل القرآن، لا بد أن يكون معصوماً، ولو قال ابن متويه غير هذا لقال خلاف الحق.

حديث مع ابن أبي الحديد:

اننا لا نختلف مع ابن ابي الحديد عندما شرح مقولة «**فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن**» بقوله: «**إنه أمرالمكلفين بأن يجروا العترة الطاهرة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لاوامرها مجرىٰ القرآن**»مع إنه يجب إنزال العترة بأحسن منازل القرآن وإعظامهم والانقياد لهم، واطاعة اوامرهم، الّا ان كلام الامام حول العترة هو فوق هذا؛ لأن عبارة «**فانزلوهم بأحسن منازل القرآن**» محفوفة بجملة تدلّ على ان العترة هم عين أحسن منازل القرآن والفاء هنا فصيحة، وسياق العبارة ان اعرفوا العترة بأنهم واجدي هذه المنازل وأصحابها. لقد قال

-عليه السلام- في الخطبة **١٥٢** من نهج البلاغة «**فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن**».

لقد فرّع الامام -عليه السلام- قوله: «**فانزلوهم بأحسن منازل القرآن**» على قوله: «**كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق وأعلام الدين وألسنةالصدق**» اي بما أن عترة نبيكم هم بينكم ازمّة الدين واعلام الدين وألسنة الصدق، فلذلك «انزلوهم...».

وهذا هو ما قاله اهل التحقيق من ان الانسان الكامل قرآن ناطق اي ان الصورة الكتبية للقرآن هي الصورة الكتبية للانسان الكامل، والصورة العينية للقرآن هي الصورة العينية للانسان الكامل وبما ان القرآن معصوم في صوره ومنازله من كل خطأ، فان المنزلين أحسن منازله معصومون كذلك. وهذا الكلام ليس مشعراً بالعصمة فحسب بل هو مبين له والباب **٣٥** من كتاب الكافي هو حول هذا العنوان «**باب إنه لم يجمع القرآن كله الّا الائمة** -عليهم السلام- **وإنهم يعلمون علمه كله**».

اضافة الى ان الحقائق والمعارف الصادرة عنهم -عليه السلام- هي اصدق شاهد على إنهم مبيّنون لحقائق الاسماء اي أحسن منازل القرآن.

ثم قال الامام -عليه السلام- «**وردوهم ورود الهيم العطاش**».

ان للماء في النشأة العنصرية صورة العلم، وكما ان الماء سبب حياة الاشباح فكذلك العلم سبب حياة الارواح، فان الغذاء من سنخ المغتذي ؛ لهذا فالماء يضرّ في عالم الاحلام بالعلم وقد فسّر ابن عباس الماء بالعلم في قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً**﴾ بل ان المرحوم الطبرسي وفي تفسيرالاية الكريمة:

﴿وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا﴾[1]، قال: عن بريد العجلي عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: **«معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الائمة».**

وقال ايضاً: وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام عن ابي بصيرقال قلت لأبي جعفر -عليه السلام- قول الله **﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾**؟ قال: **«هو والله ما انتم عليه، لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا».**

وقال المرحوم الكليني في الباب الثلاثين من كتاب الكافي باسناده عن الباقر -عليه السلام-: **«يعني لو استقاموا على ولاية اميرالمؤمنين علي** -عليه السلام- **والاوصياء من ولده وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقاً، يقول لأشربنا قلوبهم الايمان والطريقة هي الايمان بولاية علي والاوصياء».**

اذن فالعترة هم ماء الحياة وعيش العلم، كما ورد في الباب المائة من كتاب الكافي **«إن مستقىٰ العلم من بيت آل محمد** -عليهم السلام-**».**

ولما كان للقرآن منازل ودرجات حتىٰ العرش، فان العترة المحمّدية هي في أحسن وأعلىٰ منازله ومراتبة وبما أنهم مرزوقون بمعرفة حقائق الأسماء العينية فهممطّلعون على البطون والاسراروتأويلات آياتالقرآن، بل هم القرآن الناطق.

«وانّ ذلك امر اختص هو به دون غيره من الصحابة» نعم العترة معصومة وعلي -عليه السلام- (الذي هو رأس السلسلة في العترة) معصوم، وهو الوحيد بين أصحاب رسول الله -صلىٰ الله عليه وآله- المختص بالعصمة، انه خليفة الله وخليفة رسوله والقائم مقام أحسن منازل القرآن، فلا بد أن يكون معصوماً، ولو قال ابن متويه غير هذا الجانب الحق..

---

(١) سورة الجن: ١٧.

سُئل الخليل بن أحمدالبصري استاذ سيبويه وواضع علم العروض: **«ما هو الدليل على أن علياً إمام الكل في الكل؟ فقال: احتياج الكل إليه وغناه عن الكل»** كذلك عنه في نفس الموضوع: **«إحتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على انه إمام الكل»**.

يقول الشيخ الاكبر ابن عربي الحاتمي في الباب السادس من (الفتوحات المكية) في بحث الهباء **«فلم يكن أقرب اليه قبولاً في الهباء الّا حقيقة محمد(ص) وأقرب الناس إليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام العالم وسرّ الانبياء أجمعين»**.

لقد كان امير المؤمنين(ع) بين الخلق كالمعقول بين المحسوس:

يقول الشيخ الرئيس في الرسالة المعراجية: ان مركز الحكمة وفلك الحقيقة وخزينة العقل امير المؤمنين - عليه السلام - هو بين الخلق كالمعقول بين المحسوسات.

هذه العترة إمام الكل في الكل، وامام العالم، وسرّ الانبياء أجمعين، فهم بين الخلق كالمعقول بين المحسوس، وهم أحسن منازل القرآن، اي انهم الحكيم، وتبيان كل شيء، وكل الصفات التي عددناها للانسان الكامل وتحدثنا عن بعضها إجمالاً.

فالاناء المنكوس الذي ظهره الى السماء ووجهه الى الارض لا تجتمع فيه ولا قطرة من الماء النازل من السماء اذا نزل عليها المطر، خلافاً لما لو كانت مفتوحةً صوب السماء فان الله لا يترك الفم الجائعة بلا طعام.

في الكافي باسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن ابي جعفر قال: **«القلوب ثلاثة:**

قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر؛ وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان فأيّهما كانت منه غلب عليه؛ وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره الى يوم القيامة وهو قلب المؤمن».[١]

ليس للقلب قرار ولا للتجلّي تكرار:

ليس للقلب توقّف. انه متقلّب على الدوام، ولا تكرار في التجلّي؛ لهذا فان اي إسم من اسماء الله تعالى لا يتكرر؛ فمثلاً الاسم الشريف (النور) له ظهور خاص في كل آن **﴿كل يوم في شأن﴾** فكله شأن واليوم زمان الظهور، وفي كل آن ظهورات وتجليات لا متناهية، وصاحب القلب أحقّ في قبول تجلّيات الحق، لا صاحب العقل، فهذا عقال، والقلب في تقلّب وتنوّع، فللذاكر حالة خاصة في كل حال وهو ذاكر اسماً بمعنىً في كل حال، وذلك الاسم يكون بمعنىً آخر في حال اخرىٰ. فمثلاً عندما ينادي المريضُ والجائعُ والضالُّ اللهَ فالأول يناديه بـ(ياشافي) والثاني (يا رزاق) والثالث (يا هادي).

ان نزول البركات والتجلّيات في القلب المفتوح هو من فيض قلب عالم الامكان، وهذا معنىٰ الهجرة اي أن تترك مدينة خلقك وتتوجه الى مدينة اخرىٰ اي التوجه من عالم الطبيعة الى ما وراءها.

«لا يقع اسم الهجرة على أحد الّا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر».[٢]

فهذه الهجرة إعراض عن النشأة العنصرية، وفي هذا الاعراض بركات فيها

---

(١) اصول الكافي: ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٧.

التمثلات النورية في موطن خيال صقع للنفس الناطقة التي هي مظهر الاسم الشريف (المصور) والمجبولة على محاكاة الهيئات الادراكية.

ان النوم والاحتضار والتنويم المغناطيسي واشباهها ونظائرها لا موضوعية لها في حصول التمثلات، وهي ملاك إعراض النفس عن النشأة العنصرية، والاحوال هنا للتوجه التام والحضور الكامل هناك **﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾** قال الامام الصادق ـ عليه السلام ـ: **«القلب حرم الله فلا تسكن في حرم الله غير الله».**[1]

تجدد الامثال والحركة الجوهرية:

ان جميع التجليات هي مظاهر ومجالٍ متصلة وغير منقطعة كما انه لا وجود لأي تراخٍ بين التجلّيين في اي اسم وعين، وان التعبير بـ(ف) و(ثم) هو لتقدم رتبة القبلي على البعدي.

القلب (وخاصة قلب الانسان الكامل) هو مرآة ظهورات التجليات المستمرة هذه، وإن ظهورات التجليات المستمرة هذه هي تجديد الخلق في كل آن، وهو ما لا يحس به الانسان حتى بنفسه اذ لم يكن قبل ذلك ثم صار كائناً. يقول تعالى: **﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾**، وتجديد الخلق هذا هو تجدد الامثال كما أشرنا سابقاً.

العجيب ان الانسان في ترقٍّ مستمر، لكنه غير ملتفت لذلك للطافة ورقّة الحجاب.

---

(١) آخر كتاب جامع الاخبار للشيخ الصدوق.

ان تجدد الامثال سارٍ في الانسان والعالم، سواءً العاري من المادة او المملوء بها. ان لطافة الحجاب ورقته تعني ان الصانع (جلّت عظمته وعلا صنْعه) متفرد في التصوير، ولا يمكن للغير ان يلتفت الى تجدّد الامثال التي ينشئها متتابعة، بل ان المحجوبين لا يرون ولا يتصورون الّا شيئاً واحداً، والحجاب هو هذه المظاهر المتكررة ذاتها، فهي حجب الذات.

كما لو وقف شخص الى جانب النهر الذي يسير الماء فيه بسرعة، فانه يرىٰ صورته ثابتة في الماء مهما امتد الزمان وجرىٰ الماء، مع ان صورته تتكرر بتكرر انعكاس الصور في الماء الجديد الذي يسير خلف بعضه، مع اننا نعلم ان ماء النهر لا قرار له. وهكذا الصانع الماهر المصور الذي هو كل يوم في شأن، له القدرة على أن يوجد تجدداً في امثلة من الطبائع والقوىٰ والأملاك والعقول في الموجودات بحيث يتصور انها نفس الصورالسابقة والقديمة.

ان الحركة الجوهرية سارية في عالم الطبائع المادي فقط (لكاتب هذه السطور رسالة وجيزة في تجدد الامثال وفرقها عن الحركة الجوهرية مع تحقيق وتقرير في مسائلها ومطالبها بصورة مستوفية).

ذكر الحلقة في الجنّة «يا علي»

على الرغم من أن القلب ليس له قرار ولكني أتبرك بذكر الحلقة التي في الجنة واترك البحث: «**في الأمالي بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله قال: إنَّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنّت وقالت يا علي**».

حبذا لو اخترع ارباب الصناعات حلقة يكون رنينها يا علي.

لقد تمّ الفراغ من تأليف هذه الرسالة في سحر ليلة الثلاثاء **٢٢** شوال المكرم سنة ١٤٠٠هـ.ش.

«دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيّتهم فيها سلام، وآخر دعويٰهم ان الحمد لله رب العالمين.

قم ـ حسن حسن زاده الآملي

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

المعجزات القولية للسفراء الإلهيين أقوى حجة على كونهم حجج الله ٦
كلام رفيع للميرداماد في «القبسات» في المعجزة القولية والفعلية.......... ١١
قبلة المدينة المنورة معجزة الرسول الفعلية ١٥
أسانيد نهج البلاغة...................................... ١٩
كلام صدر المتألهين حول كلام امير المؤمنين عليه السلام ٢٠
عبيدالله بن أبي رافع جامع قضاياه عليه السلام ٢١
زيد بن وهب الجهني المخضرم جامع خطب الامام عليه السلام............ ٢١
عبيد وزيد هما أوّل من جمع قضايا أمير المؤمنين عليه السلام............ ٢٢
محمد بن قيس البجلي جامع قضايا علي عليه السلام ٢٢
ابراهيم بن حكم الفزاري جامع خطب أمير المؤمنين عليه السلام.......... ٢٢
الاصبغ بن نباتة من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣
نسبة العهد الى الأمير ليست منتلحة........................... ٢٣
اسماعيل بن مهران من اصحاب الامام الرضا عليه السلام وراويه وجامع
خطب الامام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٤
ابو اسحاق ابراهيم القمي جامع قضايا الامام عليه السلام ٢٥
صالح بن أبي حماد الرازي جامع خطب الامام عليه السلام.............. ٢٥
هشام الكلبي جامع خطب الامام عليه السلام ٢٥
ابراهيم النهمي والمدائني جامعا خطب الامام عليه السلام ٢٦

عبدالعزيز الجلودي جامع خطب الامام ورسائله وأشعاره ٢٦

السيد عبدالعظيم الحسني جامع خطبه ٢٨

ابراهيم الثقفي جامع خطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٨

محمد بن قيس ٢٨

محمد بن خالد البرقي ٢٩

محمد بن أحمد الكوفي الصابوني................................ ٢٩

محمد بن عيسى الاشعري ٢٩

الجاحظ أول من جمع الكلمات القصار للامام عليه السلام............. ٢٩

رسالتنا و«ما هو نهج البلاغة» ٣٠

ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة وجامع كلماته القصار............. ٣١

الآمدي و«الغرر والدرر».. ٣٢

ابو عبدالله القضاعي ودستور معالم الحكم ٣٢

احد طرق السند في النهج تنتهي الى كميل رضوان الله عليه............. ٣٣

كلام المسعودي حول خطب الامام عليه السلام ٣٤

خطب وحكم أمير المؤمنين ٣٨ـ٥٤

إمام الزمان في العصر المحمدي.................................. ٥٩

لزوم وجود نوعين من البحث على وجوب وجود الحجة القائم........... ٥٩

الباب الاول

خصائص الولاية.. ٦١

العارف يخلق بهمّته ٦٢

الولاية التكوينية والتشريعية ٦٧
تبصرة ٧٧
التمثيل في الولاية التكوينية ٧٨
الانماط الثلاثة الاخيرة للاشارات ٧٩
فضل النبوة ومقام الولاية ٧٩
تبصرة ٨٤

الباب الثاني

الانسان الكامل خليفة الله ٨٧
تعريف الاسم وتوقيفه واشتقاقه ٨٨
ان الاسم الذي يكون موجبا لارتقاء واعتلاء الجوهر الانساني هو
اسم عيني ٩٩
التجليات الاسمائية وغاية الحركة الوجودية والايجادية ٩٩
حديث الاشتقاق وبعض الاشارات واللطائف المستفادة منه ١٠١
مما أفاضه الفيض المقدس في تفسير تعليم الاسماء ١٠٩
خليفة الله جامع لجميع اسماء الله ١١٠
«الله» ليس مكرراً في الفاتحة ١١٠
الخلافة مرتبة جامعة لجميع مراتب العالم ١١٢
الانسان الكامل هو الاسم الالهي الاعظم ١١٢

الباب الثالث

الانسان الكامل قطب الزمان ١٢٣

الباب الرابع

الانسان الكامل مصلح برية الله ١٢٥
بقاء كل العالم مرتبط ببقاء الانسان الكامل ١٢٦

الباب الخامس

الانسان الكامل معدن كلمات الله ١٢٧

الباب السادس

الانسان الكامل حجة الله ١٢٩
البرهان على امكان دوام البدن العنصري ١٣١
اثر الكيمياء والمومياء ونفس الانسان الكامل ١٣٨
تاريخ الاهرام في مصر ودوام الحنطة ١٣٨
حفظ الكافور في ظل الشعير وحفظ الجسد في ظل الروح ١٤٠

الباب السابع

الانسان الكامل هو العقل المستفاد ١٥١
اتخاذ النفس وفناؤها في العقل الكل ١٥٢
من شأن كل شيء ان يكون معقول الانسان ومن شأن الانسان أن يعقل
كل شيء ١٥٣
كل الموجودات العينية بمثابة أعضاء الانسان الكامل وجوارحه ١٥٥
الطفرة محال مطلقاً ١٥٦

الباب الثامن

الانسان الكامل ثمرة شجرة الوجود وكمال العالم الكوني
وغاية الحركة الوجودية والايجادية ١٥٧
كمال عالم الوجود وغرضه الانسان........................ ١٥٨
الحركة الوجودية والايجادية........................ ١٦٠
غاية الحركة الوجودية والايجادية........................ ١٦١
في اتحاد النفوس المكتفية بالنفس الرحمانية والعقل البسيط............ ١٦٤

الباب التاسع

الانسان الكامل مؤيد بروح القدس والروح........................ ١٧١
الفكر والحدس ١٧٢
اثبات روح القدس ١٧٣
في النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ والوصي ـ عليه السلام ـ خمس أرواح ... ١٧٤
مراتب الناس من الغبي الى الغني ١٧٦

الباب العاشر

الانسان الكامل موضع مشيئة الله........................ ١٨١
تصرّف النفوس الكاملة للاعيان الخارجية........................ ١٨١
حديث الجوزجاني حول استاذه ابن سينا ١٨٣
النفس المكتفية والنفس الناقصة ١٩٠
الروح وروح القدس ١٩١

الاسم الاعظم ٧٣ حرفاً ١٩٣
مراتب الانبياء والرسل والاولياء ١٩٤

الباب الحادي عشر

الانسان الكامل صاحب مرتبة القلب ١٩٧
تعريف القلب ووجه تسميته ١٩٧
العلم والعمل يصنعان الانسان والعلم ماء الحياة ١٩٩
الحكمة جنة ١٩٩
معلّمو البشر «زرّاع» ٢٠١
الله تعالى هو الزارع والانسان الكامل سر الله واسرار الولاية بذور
والقلوب مزارع ٢٠١
وعاء العلم مجرد من المادة ٢٠٣
في سعة القلب ٢٠٤
أقوال النبي(ص) كلها رموز مشحونة بالمعقول ٢٠٥
قلب عالم الامكان وقلب القرآن وليلة القدر ٢٠٧
آيات القرآن خزائن الهية ٢١٠
لكل حرف من القرآن سبعون الف معنى ٢١٠
الحكمة جنة ٢١١
درجات الجنة على عدد آيات القرآن ٢١١
شكل القطاع ووجوه احكامه الهندسية ٢١٢
كلام في القرآن والعترة ٢١٣

حديث مع ابن أبي الحديد ٢١٥
لقد كان امير المؤمنين(ع) بين الخلق كالمعقول بين المحسوس.......... ٢١٨
ليس للقلب قرار ولا للتجلي تكرار.................................. ٢١٩
تجدد الامثال والحركة الجوهرية..................................... ٢٢٠
ذكر الحلقة في الجنة «يا علي»...................................... ٢٢١